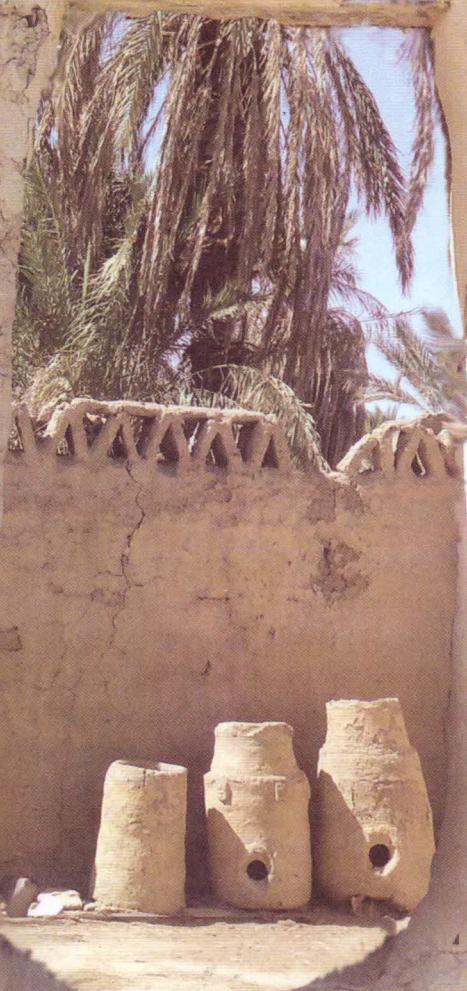


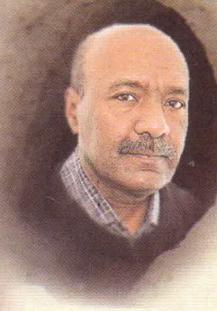
# نوماڻو ڪليلي آڦڻو



ڦڻو



## هذا الكتاب



لَكِ يَا مَنَازِلُ فِي الْقُلُوبِ مَنَازِلُ أَقْفَرْتُ أَنْتَ وَهُنَّ مِنْكِ أَوَاهِلُ

لَبِسٌ مُثُلُ الْأَسْتَاذِ مِنْ يَفِيثُكَ عِنْدَ حَوْجَةِ التَّعْبِيرِ، هُوَ يَوْسُوسُ لَكَ فَيُنْقِذُكَ، هُوَ الْمُتَنَبِّي

وَبِقُولِهِ أَسْتَشَهُ.. نَعَمْ... أَقْفَرْتُ مَنَازِلَ قَرِينَتِنَا... دِيَارُ حَوْتِ مَلْفُولَتِنَا وَصَبَانَا...

شَهَدَتْ مَحَاوِلَاتِنَا الْأُولَى وَنَحْنُ نَفْكُ الْحَرْفِ... عَاشَتْ حَكَاوِنَا... وَعَوَاطِفُنَا الْأُولَى...

وَلَكُنْهَا أَقْفَرْتُ... كَمَا أَقْفَرَ عَلَيِّ عَيْنِي مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ... أَرَاهَا مِنْ هَنَا... مِنْ هَذَا بَعْدَ السَّيْحِ

فِي ضَواحِي الإِسْكِيمِيُّو... أَرَاهَا مَرَةً تَلُوحُ كَبَّاقِي الْوَشَمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ... كَمَا لَاحَتْ لَطْرَفَةَ بَيْرَقَةَ

ثَهْمَدْ... أَوْ كَمَا لَاحَتْ لِلْحَارَثِ بَيْرَقَةَ شَمَاءَ وَرِيَاضِ الْقَطَّاعِ وَالْإِلَاءِ... لَا أَرَى مِنْ عَهْدِتِنَا فَابِكِي...

وَلَا يَحِيرُ الْبَكَاءَ... وَأَرَاهَا مَرَةً أُخْرِي كَمَا دَأَهَا إِمْرَأُ الْقَيْسِ بِسَقْطِ الْلَّوِي بَيْنَ الدَّخُولِ فَخَوْمَلْ... وَأَرَاهَا مَرَةً

ثَالِثَةً بَعْنَيْنِ زَهِيرْ... فَتَبِدو كَدِيَارِ الرَّقْمِيَّيْنِ... مَرَاجِعِي وَشَمْ فِي نَوَاشِرِ مَعْصَمِ... وَأَكَادُ أَشْكُو إِلَيْهَا وَأَكْلَمُهَا، كَمَا فَعَلَ ذُو الْرَّمَّةَ

بِجَرَاعَهِ حَزَويِّ... أَكَادُ أَدْعُ الدَّمْعَ يَنْهَدِرْ، لَعَلَهُ يَعْقَبُ رَاحَةَ... وَلَكِنْ لَيْسَ لِي رَوَاهِلْ... وَلَيْسَ لِي خَلَانْ... لَأَسْوَقُهُمْ إِلَيْهِ هَنَاكَ

: خَلِيلِي عَوْجَا مِنْ صَدُورِ الرَّوَاهِلْ == بِجَرَاعَهِ حَزَويِّ فَابِكِي فِي الْمَنَازِلِ

لَعَلَ اِنْهَادَ الدَّمْعَ يَعْقَبُ رَاحَةً == مِنَ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجْيِ الْبَلَابِلِ

وَأَرَاهَا مَرَةً رَابِعَةً كَمَا دَأَهَا الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ... وَمَثَلَمَا فَعَلَ قَلْبِهِ... تَلَفَّتْ قَلْبِي... وَمَا ذَالِ يَتَلَفَّ... أَقْفَرْتُ دِيَارَنَا كَمَا أَقْفَرْتُ

دِيَارَ بِالْجَوَاءِ عَلَيْهِ عَنْتَرَةً بَعْدَ أَمْ الْهَيْثِمْ... وَعَفَتْ دِيَارَ لَبِيدَ فِي مِنِي بِحَمِيَ ضَرِبَةَ وَمَدَافِعَ الْرَّيَّانِ... وَأَقْوَتْ كَمَا أَقْوَتْ دَارَ

مِيَةَ عَلَيِ النَّابِغَةِ بِالْعَلِيَّاءِ وَالسَّنْدِ... وَقَفَتْ مَنَازِلَنَا خَاوِيَةً عَلَيْهِ وَرَوْشَهَا.. هَاجَرَ مِنْهَا مِنْ هَاجَرَ شَرْقاً... وَهَاجَرَ مِنْهَا مِنْ هَاجَرَ

غَربَاً... وَهَاجَرَ مِنْهَا مِنْ هَاجَرَ مِنَ الدِّينِيَا الْفَانِيَةِ... أَقْفَرْتُ تَلَكَ الْمَنَازِلِ... وَلَكِنْ لَهَا فِي قَلْوَنَنَا مَنَازِلَ آهَلَةَ بَنْكَرَاهَا... مَلِيَّةَ

بِالشَّوْقِ إِلَيْهَا... طَالَ بِهَا الْحَنِينِ... وَفَاقَضَ بِهَا الشَّجَنِ... وَكَيْفَ لَا... فَبِهَا سَقْطُ الرَّائِسِ... وَذَكْرِيَّاتِ الْأَمْسِ... رَوْنَقِ الشَّبَابِ

وَمَوْطَنِ الْأَحَبَابِ... مَرَاطِعِ الصَّبِيِّ وَمَرَاطِعِ الْلَّهُو... حِينَ كَانَ لِلْحَسَانِ فِينَا إِربَ... وَلَنَا فِيهِنَّ مِثْلَ الَّذِي لَهُنِ... وَأَكْثَرَ... فِيهَا دَارَ

أَبِي... وَمَنَازِلَ قَوْمِي... أَغْنَامُ أَبِي وَدَجَاجَهَا... مَزْرَعَةُ جَدِيِّ الْتِي أَطْعَمَنِي... وَأَزْيَادُ جَدِيِّ الْتِي رَوَتَنِي... شَجَرَةُ الْلَّالُوبِ الَّتِي

ظَلَّلَتْ طَفُولَتِي... تَلَ الْوَرْلِمُ الَّذِي إِرْتَمِيَ عَلَيْهِ فِي لِيَالِيِ الْقَرِيبِ الْمَقْمُورَةِ... أَشْجَارُ النَّخْلِ الْبَاسِقَةِ الَّتِي تَحْفَ بَيْتَ الطَّلِيفِيِّ

وَالْوَدِيعِ... مَزَارِعُ الْقَمْحِ وَالْفَوْلِ وَالْبَرِسِيمِ... الْجَدُولُ وَصَوْتُ الْبَرِيَخِ... الْجَامِعُ وَالْخَلُوةُ وَالْمَدْرَسَةُ... كَانَ ذَلِكَ فِي سَنِينِ الْعَمَرِ

الْفَرَحَةُ الْمَرْحَةُ... الْمَلِيَّةُ بِالْتَّفَاقِلِ... كَانَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَمَاطِلَنِي زَمَانِي مَا مَنِيَّتْ نَفْسِي بِهِ مِنْ آمَالِ... كَمَا مَاطَلَ الْعِبَاسِيُّ مِنْ

قَبْلِ... حِينَ كَانَ (الْعَوْدُ أَخْضَرُ... وَالْأَيَّامُ مَشْرَقَةٌ... وَحَالَةُ الْأَنْسِ تَغْرِي بِي وَتَغْرِيَنِي)... حِينَنَّدَ كَانَتِ الدِّينِيَا مَمْتَدَةً أَمَانًا

كَسْهَلَ مَبْنِيَسْطِ... فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَمْ تَكُنِ الْمَدِنُ الْبَعِيْدَةُ مِنْ أَحَلَامِي... وَلَا الْمَرَافِقُ الْفَرِيقِيَّةُ مِنْ مَقَاصِدِي... وَلَا كَانَتِ الْهَجَرَةُ

مِنْ خَوَاطِرِي... لَمْ يَكُنِ الْمَتَنَبِّيُّ مِنْ مَعَارِفِي... وَلَمْ يَكُنْ شَعْرَهُ مِنْ رَفَقَائِي... وَلَمْ يَكُنْ (قَلْقَانِ الْرَّوْحِ تَحْتِي)... كَانَتِ الْبَلَدَةُ

مَلْمَئَنَّةُ... وَالحَالَةُ رَخِيَّة... وَالنَّفْسُ رَاضِيَّة... وَالرُّوحُ مَرْحَة... تَرَكَتْ كُلَّ ذَلِكَ وَهَاجَرَتْ... قَطَعَتْ الصَّهَارِيُّ وَعَبَرَتْ

الْمَحِيطَاتُ... فَقَطْ لَا كَتَشَفَ (أَنْ مَا جَنَّتْ أَبْحَثُ عَنْهُ هَنَا رَتَكَتْهُ وَرَأَيَهُنَا)... فَكَانَتِ الْعَوْدَةُ بِهَا الْكَتَابُ... لَعَلَّ لِي فِيهِ

. بَعْضُ مِنْ عَرَاءِ... وَلِلْقَارِيِّ بَعْضُ مِنْ مَتَعَةِ... ذَلِكَ مَا أَتَمَنِّ.



**نوافذ على الأمس**



# نوافذ على الأمس

محمد فقير



دار عزة للنشر والتوزيع

الخرطوم - السودان

ناشرون وموزعون ووكلاء. دور نشر

**للكتاب: نوافذ على الأمس**

**المؤلف: محمد فقير**

**رقم الإبداع: ٢٠١٥ / ٥٨٤٨**

**سنة الإصدار: ٢٠١٦**

**الطبعة الأولى**

**حقوق الطبع والنشر والاقتباس محفوظة**

**ولا يسمح بإعادة نشر هذا العمل كاملاً أو أي قسم من أقسامه. بأي شكل من الأشكال إلا باذن كتابى**

**الناشر: دار عزة للنشر والتوزيع**

**الإدارة: شارع الجامعة - الخرطوم - جنوب وزارة الصحة**

**ت: 200 83787200 فاكس: (+249-1) 8379084**

**التوزيع: دار عزة للنشر والتوزيع ت: 8378201**

**السودان - الخرطوم ص.ب: 12909**

**بريد إلكترونى: azzaph@yahoo.com**

**ردمك: 99942 - 54 - 500**

## إهداع:

- إلى والدي ووالدتي وأختي وزوجتي في عالم الخلود ، في الظل الممدوذ ، عند الخالق المعبدود.
  - وإلي شقيق عبد الله وشيخ طويل في عزيمهما المجيدين ، وعمرهما المديدة.
  - وإلي جدّي الأمين ، مربينا النبيل ، فقد تعلمت منه ، فيما تعلمت ، فضيلاتي الصمت والقناعة.
  - وإلي جدّي خديجة ، الملهمة الحقيقة لهذا الكتاب.
  - وإلي إخوان لي لم تلدهم أمي، أجدهم بجانبي كلما إدلهم الظرف . وдум الطرف . وعجز الحرف .
  - وإلي أصدقائي الكثُر النبلاء ، في أطراف الأرض وضواحيها ، لهم مني السلام حفياً ، والحب نقياً.
  - وإلي إنسانة عزيزة ، لها بين سطور الكتاب مخابن ، لعل كلماتي تصادفها وهي في تمام الصحة وكمال العافية.
  - وإلي كل من تعلمت منه حرفاً أو معنى .
- وفي البدء والمنتهى إلى أبنائى وفاء ، علي ، وأليسـا ، الذين . رغم فرحـتهم الكـبـيرـة بهـذا الكـتاب . إلا أنـهم لن يستـطـيـعوا قـراءـتـه ، فقد حـرـمـوا ليسـا منـ النـوـبـيـة فـحـسـبـ ، بل حتىـ منـ العـرـبـيـة ، لهمـ حـيـ فيـ مـدـاهـ إنـ كانـ لـلـعـبـ مـدىـ.



## شكر وتقدير:

خالص تقديرى للأستاذ الكبير والكاتب المعروف جعفر عباس . الذى شجعني على الكتابة ، ثم تكرم بمراجعة الكتاب ، ثم تفضل وأعطى الكتاب نكهة خاصة بتقديمه النفيس ، فله مني الشكر الذى مهما أجزله لا أوفيه حقه. وقد استفدت من كتاباته الكثيرة عن العادات والتقاليد النوبية، خاصة سلسلة الكتابات التى عنونها الأستاذ بـ (سيرة فى مسيرة) ، والذى تحدث فيها عن بدين كثيراً، والذى جمفت جزء من حلقاتها من سقط لقط .

وشكري الجزيل وإمتنانى الكبير موصول للكاتب الروانى البدين الأستاذ طه جعفر . صاحب رواية (فركة) الحائزه على جائزة الطيب صالح للإبداع الروانى في دورتها الثامنة 2009 – 2010 . وفركة رواية لا تقل في إفادتها وإمتاعها ولغتها وفنانيتها وشجاعتها وطريقه تناولها للقضية المعنية بها، لا تقل عن روايات عالمية لكتاب عباقرة تناولوا بعض (المسكوت عنه) كلّ في بيته ، لا أقول هذا لأن الأستاذ طه برني وشرف الكتاب بتمهيد ضافي. ثم ساعدنى في إعداد الكتاب للطباعة إنما لأن الرواية تستحق له صادق التقدير.

والشكر موصول لكل الذين شجعوني على هذا العمل ، وانتظروه كثيراً . كان منهم التشجيع ، وكان مني التأثير ، ولكن أليست الكتابة " كالصبار ... تحتاج إلى صبر". كما قال ماركوز . لهم اعتذاري ، والحقيقة أن إصدار كتاب بهذه الصورة كان من أحلام الصبا ، ولكنه حلم . كغالب أحلام الصبا . ظل مصلوبا على أبواب الرجاء والتمى . إذ أخذتنا الحياة مناحي شتى . وتوهنتنا في طرقاتها الموعجة . وأخذنا أنفسنا بالإهمال مرة . وبالकسل مرات . وعلى كل ، فيها هو الكتاب يصدر . إن أسعدت به أحداً فذاك ، وإنما قلني أكتفى بأجر المحاولة .

بالغ شكري وإمتنانى للاخ الشاب الرائع دكتور عاصم عبدون الذى لم اتعرف عليه شخصياً الا عبر الإيميلات . ولكنه رغم ذلك بذل جهداً خارقاً ليلى هذا الكتاب النور ولو لاه لقيع الكتاب في مكانه الذي كان فيه منذ سنوات عديدة. له تعيه وتقدير مستحقين.



تصدیر:

ليس هذا العمل سرداً للتاريخ جزيرة بدين . ولا هو بحث اجتماعي عن أهلها . ولا هو، بأي حال ، دراسة في التراث النبوى ، بل هو مجرد خواطر وذكريات ، يدأب كتابتها في شكل حلقات في الانترنت . وبالتحديد في سودانيز أون لاين . ثم ، وبنشجيع من الكثيرين . تطورت الفكرة ، إلى جمعها وإصدارها في كتب . فتوسعت فيها ، وضمنتها بعض العادات والتقاليد التي عاش عليها الناس في المنطقة النوبية الكبيرة ردها من الزمان . ومازالوا يعيشون على بعضها . وتطرقـت إلى الحياة الاجتماعية . والإقتصادية . والمعيشية لإنسان المنطقة . وذكرت طرقاً من التاريخ النبوى ، مع بعض التفصيل في بعض هذا التاريخ . وقامت بإلقاء بعض الضوء على اللغة النوبية ، والتي . وبكل أسف . أصبحـت قاب قوسين أو أدنى من الانقراض . تم حاولـت إعطاء بعض شخصيات الجزيرة حقهم في التوثيق . بذكر سيرة كل منهم . وليس في الإمكان ذكر كل الشخصيات مستحقة الذكر . فلمن فاتني ذكره العتى إن كان حياً . ولأمهـلـه إن ارتحـل . وجدير بالذكر أن بعض العادات والتقاليد التي سوف أسردهـا هنا . لم تكن مشتركة (بفتح الراء) كلها في كل مناطق النوبة . بل كانت هناك بعض الاختلافـات . وبعض العادات تختلفـ في تفاصيلها وأسمائـها من منطقة إلى أخرى . وحتى اللغة . كما هو موضح في ثانيا الكتاب . تختلفـ بعض مفرداتها وطريقة نطقها من منطقة إلى آخرـي ، كما أن اللغة النوبية الثانية (نشكرين) أو (الأشكر) أو (الأنداندي) . أو الدنقلاوية . تختلفـ اختلافـاً كبيرـاً عن الـ (نوبين) . وهي لغـة بقية النوبة في حـلـفا والـسـكـوت والمـحسـنـ . هذا وقد ختمـ الكتاب بـجزء تناولـ فيه باختصار مـأـرقـ

أريد أن أنوه إلى أنني أكتب من منطلق قاري مهتم . وليس من منطلق باحث ولا موثق ولا مؤرخ . ولذلك فلا تقسيم ولا تبوب للكتاب، ولا يوجد في الكتاب قسم خاص بذكر المراجع . ولا إشارة إلى صياغات منقولة إلا قليلاً. فانا أخذ المعلومة وأعيد صياغتها . وأضيف المعلومات بعضها إلى بعض . إلا بعض الفقرات التي شارك بها بعض الاخوة . فقد رأيت أن أغرضها كما هي . وعلى كل حال فمراجعة تتلخص في ذاكرتي الخفية . ثم أوراق قديمة كنت أسجل فيها بعض الغواطэр . والتي لا أنقلها كلهـا . ثم المنتديات النوبية وغير النوبية في الإنترنـت . وهذه المنتديات من الكثرة بحيث لا أستطيع ذكر أسمائها هنا . ولكنني أشير إلى منتدى واحد . هو (arkamani.org) ، فقد أستفدت كثيراً من ترجمات الراحل، الدكتور أسامة عبدالرحمن التورـ، الذي أرسـي إلى العضارة النوبية خدمة لا تضاهـي . والأـرـحـمـهـ اللهـ . ثم أـشـيرـ إلىـ كتابـ (الـسـودـانـ).ـ المـأـزـقـ التـارـيـخـيـ وـأـفـاقـ الـمـسـتـقـبـلـ)ـ لـلـمـفـكـرـ لـلـراـحـلـ محمدـ أبوـالـقـاسـمـ حاجـ حـمـدـ .ـ المـجـلـدـ الـأـوـلـ .ـ ثـمـ كـتـابـ لاـ إـسـمـ لـهـ .ـ عـنـ التـرـاثـ النـوـبـيـ وـالـلـغـةـ النـوـبـيـةـ .ـ أـصـدـرـهـ الـكـاتـبـ النـوـبـيـ مـحـمـدـ مـتوـلـيـ بـدرـ .ـ وـهـوـ مـنـ أـبـيـاءـ تـبـعـ .ـ وـلـكـنـ مـذـكـورـ فـيـ الـكـتـابـ أـنـهـ كـتـبـ فـيـ عـنـيـةـ عـامـ 1955ـ .ـ ثـمـ الـمـلـوـعـاتـ الـيـةـ جـمـعـتـهـاـ مـنـ هـنـاـ وـهـنـاكـ .ـ فـيـ الـسـودـانـ وـفـيـ بـلـدـانـ الـشـتـاتـ فـيـ الـفـرـيـةـ .ـ وـالـفـرـيـةـ فـيـ الـنـوـبـيـةـ تـسـمـيـ (ـبـارـيـاـ)ـ .ـ رـدـ اللـهـ غـرـيـتـنـاـ وـأـعـادـنـاـ مـنـ هـذـهـ الـبـارـيـاـ إـلـىـ بـلـادـنـ سـالـمـنـ .ـ أـمـنـ .ـ أـنـاـ الصـورـ دـاخـلـ الـكـتـابـ فـيـعـضـعـهـاـ كـمـرـقـ وـعـضـعـهـاـ مـنـ الـمـنـتـدـيـاتـ الـمـخـلـفـةـ .ـ



## مقدمة:

بقلم جعفر عباس

اختار شاعرنا الضخم الراحل محمد عبد العي البحث عن جذوره كسوداني بـ"العودة إلى سنار". وكان الله رحيمًا به فلم يمهله طويلاً ليشهد انها حلمه. وحلول عصر تهاافت المواطنين السودانيين للابتعاد عن سنار، والبحث عن أوطان بديلة، ولأن "النوى ترمي بالمقترن المراميا". فقد انتهى الأمر بصاحبنا محمد فقير في كندا، التي لجأ إليها بعد دهر قضاه في المملكة العربية السعودية. فإذا بالبعد العاطفي والوجداني عن وطنه الصغير "جزيرة بدين"، يتضاءل ويتقاشر متهدياً بعد المسافة الجغرافية. وسيكتشف كل من يقرأ هذا الكتاب، أن محمد يطل على بدين من نافذة الأمس القريب، ليس بحساب السنين ولكن بحساب مخزون الذاكرة. ورغم أنني شهدت مولد معظم فصول الكتاب هذا قبل سنوات من قرار مؤلفه إصدارها في كتاب. إلا أنه ما فتى يدهشني بقدرته على اجتاز تفاصيل الحياة والناس وحق الطقوس التي اندر معظمها وكأنه ظل بدون يومياته منذ أن تعلم فك الخط. وكتب فصول هذا الكتاب كلها داخل بيت أو مسيد في "شبة". أو "فتحي أرمنتو". وليس في تورتنا. وبيني وبين المؤلف قواسم مشتركة عديدة. لعل أقوالها اعزازنا الشديد بالانتماء إلى بدين وحبنا الشديد لها. ويدعي أن كل شخص يبلدته أو قريته أو مدینته معجب، ولكنني أقول بعد تسواح في أربع قارات. أنه لو كانت لدينا في السودان درية ودرية بفنون جذب السياح. لجلبت علينا بدين وصوبيحاتها ذوات الأعناق المطوفة بعراجين النخل التي تفرد فوقها القماري. مثل ما كان يجعله مشروع الجزيرة الزراعي قبل وأدء مع سبق الإصرار والترصد. ورغم أن كلينا عاش بعيداً عن الوطنين الصغير والكبير دهراً طويلاً قضبناه في المهاجر. فإن الغربة لم تزدنا إلا اقتراباً من بدين والسودان. فبدين شأنها شأن كل بلدات أراضي النوبة. يفوح منها عطر التاريخ، فينبشأ عيالها وهم مدركين أنهم يعيشون في أراض ورثوها عن أسلاف رحلوا قبل مئات أو آلاف السنين. ويفسر هذا احتفاء النوبين بالأرض والنيل. بسبب إدراكهم الغريزي بأنهم قوم راسخو الجذور في حوض النيل. خاصة وأن الشواهد على حضارتهم العريقة تبقى في مرمى أبصارهم في أي اتجاه حذقاً.

وكنت أحسب نفسي "موسوعي المعرفة" في كل ما يتعلق بدين والثقافة والتاريخ النوبين. ولكنني قرأت هذا الكتاب في شكله النهائي أكثر من مرة (ليس بهدف المراجعة والتصحيح والتنقيح - بدليل أن هناك أخطاء هنا وهناك تجاهلتها كي لا أفسد على نفسي متعة القراءة). واكتشفت أنني "كبشة" كما نقول في العامية السودانية. عن الشخص الذي لا يجيد شيئاً ما. فأمنت تقرأ عن طقوس الولادة في منطقتنا في ديار النوبة فتحسب أن محمد فقير كان داية (غير قانونية) دهراً طويلاً. وتقرأ له عن الزراعة وتحسب أنه ما زال "إروتي" أي ذلك الصبي الذي يجلس على "نكم" الساقية. وأنه لم يسمع بعد باختراع مضخات الماء التي تعمل بالكهرباء والمعروقات. وبصفعتك إلى حفل عرس. فتخرج بانطباع بأنه كان في الجوفة الموسيقية لـ"توربين جافر" أي جعفر ابن تور إكي. الذي كان معروفاً أيضاً باسم

جافر بادي. وهكذا أدركت كم كان فقير أكثر فرياً من تفاصيل الحياة في بدين. وكم هو أكثر "ثقافة" مني في الشأن النبوى عموماً.

وأود تنبئه القارئ إلى أمر مهم للغاية، وهو أن الكتاب هذا ليس مجرد خواطر وذكريات، كما يقول صاحبه في التقديم له. بل هو سجل وثائقى اجتماعي لمجتمع ذو تاريخ عريق، وبالتالي فإنه كتاب ينبغي أن يحتفى به من هم من غير أهل بيدين. قبل أهل بيدين، لكونه ذا قيمة ثقافية عالية، وبه معلومات رفيعة مثبتة بالرجوع إلى مصادر ثقة، ورغم أن المؤلف نبوي أعمى، وتعلم العربية بنفس الطريقة التي يتعلّمها به أبناء - مثلاً - نشاد أو بوركينا فاسو، إلا أنك تقرأ ما سطّره يراعه (أو الكيبورد بالآخر). فلا تملك إلا تتنشى طرباً لجمال ديباجته وعبارته الفصيحة الموسقة والمدوّنة، ولاستخدامه شواهد من حميا، الشع العبد، كلما ناسب المقا، المقام.

نعم يقر المؤلف أن بدين هي مليمة فصول هذا الكتاب. ولكنك تقرأه فيأخذك إلى منابع النيل في وسط وشرق أفريقيا متبعاً مساره، والنيل هو العجل السري الذي يربط معظم أهل السودان ببعضهم البعض، ولكنه عندنا في ديار النوبة ما زال محل تقديس وتجليل، وستجده في الكتاب شواهد كثيرة على طقوس ذات طابع مسيحي ما زالت تمارس في حالات الزواج والولادة والختان. ليس فقط من قبل التوبيين القابضين على جمر نوبتهم، بل أيضاً التوبيين المستعربين في عموم السودان الأوسط، ومنها غمز الأطفال حديثي الولادة في ماء النيل (النعميد). ومنها طقوس تعود إلى البيانات النوبية التي سبقت المسيحية، منها أن يغسل العريس والعروس وجههما بماء النيل طلباً للخصوصية، ومنها "الجرتي"، الذي صار في العامية السودانية "الجرق". لأن القاف غير المقلقة والكاف في أواخر الأسماء تفيد التعريف والتوكيد في اللغة النوبية. وهذا الطقس يكون بتطويع عنقي العروسين بالخرز والتمائم و"الجعارين" لدرء العين الحاسدة، كما كان يفعل قدماء التوبيين قبل آلاف السنين. حتى "الجنيه الإنجليزي" الذي يحمل صورة الملك البريطاني جورج في أحد وجهيه، والذي ما زال يوضع على جبهة العروس السودانية، لا يمكنه، في حمايتها من العين الحاسدة، إلا في الصليب الكبير الذي في الوجه الآخر من القطعة. وهذا من استمرار تأثير الثقافة النصرانية التي طبعت الكثير من جوانب الحياة يوم كانت مملكة النوبة تمتد من جنوب مصر إلى جنوب الخرطوم.. وبعد أن تقرأ هذا الكتاب ستعرف - مثلاً - لماذا يتغطر/يتشاءم أهل السودان الشمالي والأوسط من يوم الأربعاء، فلا يتزوجون فيه، وستعرف منشأ عبارة "أربعاء وعقب شهر"، وأن الأمر لا يتعلق بأن يصادف يوم أربعاء آخر الشهر حيث تكون الجيوب خاوية، بل تكون العبارة مترجمة من أصلها النبوي "أرباً أون أباق". وتعني أن أكثر أيام الأربعاء شؤماً هو ذلك الذي يأتي بعد اكتمال دورة القمر، ولربما لا يعرف الكثيرون أن مسميات الشهور المسائدة إلى يومنا هذا في أجزاء كثيرة من السودان كـ"ذكريات أيام الأجداد والحبوبات": أمشير وكهك وبونة وأبيب، قبطية وما زال أهل النوبة يستخدمونها خاصة لتحديد تقلب فصول السنة، تماماً كما ابتدعوا نظام الـ"تني" لتحديد المواعيد (الساعة) مستخدمن حركة الشمس خلال النهار. ومن طول ومسار ظل الـ"تني"، وهو وتد خشبي

يغرس في الأرض بارتفاع متعارف عليه، كانوا يحددون به مواعيد فتح جداول الري وتوزيع المياه بين أحواض المزروعات.

ومدخل الكتاب لا يعطي فقط "الانطباع". بل يؤكد بصرخة العبارة أنه عن بدین "بنت النيل وست الجيل.. عطر الأرض البكر والنوار". ولكنني ما زلت عند اعتقادي بأن من لا يعرفون بدین أو لم يسمعوا بها قط، سيجدون فيه متعة أكبر من تلك التي سيجدها أبناء وبنات بدین. فبالنسبة للأخرين سيتعلق الأمر بالعودة إليها بالذاكرة والتوسّالت إليها، أو حتى التباхи بالانتفاء لها، بينما هو بالنسبة لغيرهم وجبة دسمة من معلومات ذات قيمة وثائقية عالية. مصبوغة في قوالب لغوية شيقـة، ومسنودة بلقطات فوتوغرافية منقحة بعنـية لتضفي على المفردات الألوان والظلـال وتكمـل الضـياء، فكانت النـتيجة "أشـودـة" الحـبـ التي استـهلـ بها المؤـلفـ كتابـهـ هـذـاـ.

هـذاـ كـتابـ يـسـافـرـ بـكـ فيـ عـالـمـ حـقـيقـيـ تـكـادـ مـعـظـمـ مـعـالـمـ أـنـ تـنـدـثـرـ، فـأـرـكـبـ قـطـارـ صـفـحـاتـهـ لـتـسـمـتـ بـأـشـيـاءـ هـيـ خـلـيـطـ منـ العـاصـرـ وـالـغـابـرـ، وـخـالـطـ أـنـاسـاـ حـقـيقـيـنـ، وـقـمـ بـزـيـارـةـ مـوـاـقـعـ تـشـهـدـ أـحـدـاـتـ الـولـادـةـ وـوـقـائـعـ الـطـفـلـوـلـةـ وـالـصـبـاـ وـالـشـيـابـ وـالـرـجـوـلـةـ وـالـأـثـوـنـةـ، وـسـتـعـجـبـ فـيـ خـانـمـ الـمـطـافـ كـيـفـ أـنـ "ـتـورـنـتوـ"ـ بـكـلـ هـيـانـاـ لـمـ تـهـرـ مـحـمـدـ فـقـيرـ، بـلـ جـعلـهـ أـكـثـرـ إـحـسـاسـاـ وـاعـزـازـاـ بـأـنـ أـبـنـ بلدـ رـيفـيـةـ بـهـيـةـ رـغـمـ أـنـ عـاـشـ فـيـهاـ قـبـلـ أـنـ تـعـرـفـ الـكـبـرـيـاءـ وـالـهـوـاـنـ وـالـسيـارـاتـ.. وـسـتـعـرـفـ معـيـ الـوـفـاءـ لـلـنـاسـ وـالـأـشـكـنـةـ، وـأـنـ مـاـ انـغـرـيـسـ فـيـ جـينـاتـ الـبـيـولـوـجـيـةـ وـالـعـاطـفـيـةـ فـيـ سـنـاتـ نـشـوـنـ وـأـرـقـائـنـ، وـشـمـ فـيـ الـذـاـكـرـةـ لـاـ يـزـوـلـ طـالـمـاـ النـفـسـ طـالـعـ وـنـازـلـ، وـنـحـنـ جـمـيـعـاـ فـيـ السـوـدـانـ إـمـاـ سـلـالـةـ رـعـةـ أـوـ مـزـارـعـينـ، وـلـكـنـ الـمـدـنـ بـهـرـجـهاـ وـطـيـلـسـاهـاـ تـسـرـقـ كـلـيـنـ منـاـ، وـتـسـرـقـ مـاـ جـنـورـنـاـ، وـبـلـغـةـ "ـأـبـنـ حـلـالـ يـفـتحـ الـيـابـ"ـ، فـتـحـ مـحـمـدـ فـقـيرـ بـابـاـ أـنـتـفـيـ أـنـ يـلـجـ مـنـهـ غـيـرـهـ لـيـوـثـقـواـ لـلـعـيـاةـ فـيـ مـخـتـلـفـ أـصـقـاعـ السـوـدـانـ، وـبـاـ وـبـلـ أـمـةـ تـحـسـبـ أـنـهـ تـنـتـمـيـ لـلـقـرـنـ الـحادـيـ وـالـعـشـرـينـ وـهـيـ جـاهـلـةـ بـمـاـ كـانـ عـلـيـهـ حـالـهـاـ حـتـىـ قـبـلـ أـرـبـعـةـ عـقـودـ مـنـ الزـمانـ.

## جـعـفـرـ عـبـاسـ



## تمهيد:

بقلم طه جعفر

لقد اهتم المؤلف بتسجيل الواقع الذي عاشها بين أقرانه و وسط أهله . و أجد ذلك ذهاب بعلم التاريخ الأكاديمي لمرأق مهمة . ألا و هي سيرة صناع التاريخ من الناس العاديين في جزيرة بدين ومناطق النوبين بشمال السودان . و في تسجيله لتلك التفاصيل أورد المؤلف اوصافاً دقيقة للعادات المتبعة فيما يتعلق بالعمل والإنجاب و احتفالات تسمية المولود والزواج ، ثم وصفاً دقيقاً للماتم و ما يسبقها من أعلان و ما يستتبع الموت من مراسم للدفن. لم يكن التسجيل تقريراً مبسطاً او مسطحاً بل كان عميقاً يحاول ايجاد الصلات بالواقع المعاش في فترة ربما تمتد من الخمسينيات الى بداية الثمانينيات من القرن العشرين بجزيرة بدين بالماضي النبوي العريق بطبقات تاريخه القديم و المسيحي و الإسلامي. الكتاب شهادة على الواقع و الحياة و تشبه كتابة الرحالة نوعاً ما . و رغم جزالة اللغة و شاعريتها إلا أن الكتاب مليء بالمعلومات المهمة و الضرورية لدراسى الفلكلور و ربما لكل من يهتمون بدراسة السودانيات عموماً في التاريخ و الثقافة. عند قراءتك للكتاب ستتجدد متعة في المقاربات اللغوية التي يبذلها الكاتب بين اللغة النوبية و العربية الدارجة وهنالك اثبات لكل مفردة نوبية او تعبير نبوي احتاجه السرد الممتع لتفاصيل الموضوع المحدد بالنطق السليم. تابع المؤلف مجري نهر النيل بأفرعه من المتابع للمصب ليناقش أهمية الماء في اقتصاد المنطقة الزراعي و ارتباط الري بالساقية و الشادوف: آلات الري الرزاعية النوبية العريقة مع اسماء اجزائها و المناطق التي انتقلت لها تلك التقنيات حتى خارج حدود الوطن بدول الجوار. بالكتاب ايضاً تغطية لمشروعات التنمية الزراعية و مجهودات الحكومات المتعاقبة في تغيير ملامح الحياة بداخل الانتاج الزراعي الكثيف. اورد المؤلف سرداً لبعض الغرافات و الاساطير المرتبطة بالنيل مع محاولة لتحليلها. و صاغ الكاتب رأياً وجهاً حول موضوع استعراب و أسلمة النوبين بنقاش المعتقدات الشعبية حول الأصول العرقية و المعتقدات الراهنة. ثم ناقش باستفاضة أهمية الرقم سبعة في الالاهوت النبوي و المسيحي و أهميته في الإسلام و أهميته حالياً عند سكان جزيرة بدين. يستعرض الكاتب كل ما يتعلق بالتنخلاة و أهميتها في حياة الناس مع تفصيل للكلمات النوبية المتعلقة بزراعتها و استغلالها و رعيتها و ارتباط العرب من غير النوبا بعصاد التمور. وبالكتاب وصف دقيق لسوق بدين و سوق كرمة النيل و ما فيهما من طرافة في حقب زمنية مختلفة كانت هي فترات حياة المؤلف في تلك المنطقة. ثم سرد المؤلف وقائع لحياة الداخليات و مراحل الدراسة، الإبتدائية في بدين بمدرسة "شبئه" و ذكريات المدرسة الثانوية العامة في البرقيق. لقد درس المؤلف المرحلة الثانوية في عربي و حينها كان قد اشتدعده و انشحذت ذاكرته فلم تترك حتى الشوارد من التسجيل خاصة عندما كتب عن السفر باللواري عبر مناطق النوبة و شمل التوثيق تاريخ التعليم في بدين و سيرة حفظة القرآن و الخلاوي. وبالكتاب وصف دقيق للقباب في بدين مع تاريخ لسيرة ساكنيها

من الأولياء الصالحين وتفطيبة مفصلة للعادات الاجتماعية المرتبطة بصيام رمضان والعيد. ينخلل السرد الممتع فاصل من العنين ما ينفك يلاقيك وانت تنتقل في صفحات الكتاب . في سرده لـ تاريخ المالك الكوشية (اعتراض المؤلف علي اطلاق لفظة "حضارة نوبية" لأنها تخزل تاريخ السودان جفراقيا وعرقيا، ببساطة لأن الامر عنده تاريخ وطن كامل ومتراوهي الأطراف). وسجل الكتاب شهادات عن لغة او قل لغات سكان جزيرة بدرين . ومن اطرف ما في الكتاب سيرة الحمار ذلك الحيوان الذي رافق الانسان خادما له باخلاص واهميته في حياة سكان جزيرة بدرين . بالكتاب أيضاً توثيق لم يُذكر بعض الشخصيات المؤثرة في حياة الجزيرة خاصة الذين امتد تأثير بعضهم ليشمل كل السودان. وينهي الكاتب سفره بكلام في العنين وافتقاد الوطن في قالب سردي متamasك لا يترك فنانا او شاعر اصيلا صاغ جمالا في دواخل السودانيين .

## طه جعفر

## مدخل : -

### كنتِ وكُنْتَا

:::::::::::

أنتِ فدين وانتِ بدين  
 كان الإسمُ وكنتِ وكُنا  
 إسم نبوي . نصراني ، وثنى ، أو عربي  
 كلّ مقبول

فلكلِّ فيكِ حديثٌ وعبارة  
 لكُلِّ فيكِ مقالٌ وإشارة  
 لكُلِّ فيكِ رموزٌ وحضارة ،  
 لكلِّ فيكِ إمارة ،  
 لكُلِّ فيكِ مَزاز  
 لكُلِّ اثْرٍ منقوشٌ فيكِ  
 لكُلِّ تذكاز

:::::::::::

كنتِ هناكَ، وكنتِ بدين  
 وكنتِ وكنا

منذ خرجتِ عروسًا من جوف النيل

يا بنت النيل وست الجبل  
 يا لؤلؤة الوادي . يا فاتنة سمرة  
 كنتِ هناكَ، وكان الفصلُ ربيعاً  
 كان الطقسُ جميلاً

حين خرجتِ إلى الدنيا  
 مُشرقة، الوجهِ وقاراً ونضاز

حين خرجتِ إلى الدنيا طارث نحوكِ كل ، الأطياف  
 من كل بقاع الحسن . الأخضر . من كل ، الأشجار  
 إمتدت نحوكِ كل ، الأ بصار

حين خرجت الى الدنيا فاخ العطر العطاز  
 عطر الأرض، البكر، عطر الأرض العذراء، عطر النواز  
 حين خرجت الى الدنيا  
 غني القمرى بلحن الحب  
 زغردت الأشجار  
 رقص الموج على الضفة  
 وإنشت الأزهار  
 حين خرجت الى الدنيا  
 تجمعت السُّخُبُ من الآفاق  
 إشتعل البرق ضياء  
 إحتفل الرعدُ فدوى  
 وابتلت أرضك بالأمطاز  
 حين خرجت الى الدنيا  
 هبَّت نسماتك باردةً، نشوي  
 أسركت الغطّاب على طول الوادي  
 جاء العرسان: رجال سمرٌ أخياز  
 من مملكة النوبة جاءوا  
 من تلك الأدياز  
 جاءوا يسعون الى أرض الخير المدراز  
 من كرمة جاءوا، جاءوا من كجباز  
 من أرقوا، من دلقو، من عبri  
 من حلفاً أرض الحجر الناطق بالأسراز  
 جاء بعاني، جاء الفائد تهراقا،  
 جاءت (كنداكة)\*، في (شُوقر).\* عز، جرزاً  
 جاءوا في (سِقِر)،\* نوبى الرئيس والبخاَز  
 عبروا النيل إليك  
 والقوا فيك عصا التسياز

في ساحتك الخضراء  
 أناخوا قافلة، الأحراز  
 قافلة التاريخ، الموجل، في الأطواز  
 قافلة المجد العابق بالاثار  
 عندك ناموا، قاموا  
 عبدوا (آمون)\* الجبار  
 عبدوا النيل خرافي، المجرى والنياز  
 عندك جاء كتاب التوراة وجاء الإنجيل  
 عندك جاء الفرقان  
 شملتهم رحمات الرحمن  
 فصاموا، قاموا بالليل، وصلوا في الأسحاق  
 فكنت بدين وأنت فدين  
 أنت الأصل وأنت الفصل  
 أنت الداز  
 أنت القيمة والمقدار  
 أنت بدين وكنت فدين  
 وكنت وكنا

:::::::::::

(كنداكة) لقب ملكات النوبة.

(شُوَقْر) يعني سيرة (سيرة العرس).

(سِقْر) بكسر السين والكاف يعني مركب شراعي.

(آمون) اسم إله النوبة والمصرىين القديم.

بنفسي تلك الأرض ما أطيف الزئي :::: وما أحسن المصطاف والمترئعا  
وأذكر أيام الجمى ثم أثني :::: على كيدي من خشبة أن تصندعا  
فلبسن عشيّات الجمى بزواجه :::: عليك ولكن خل عننك تندععا  
سلام على الدنيا فما هي راحة :::: إذا لم يكن شفلي وشملكم معا  
الصمة القشيري

نعم، هكذا تركت عيني تدمع، وتركـت قلبي يدمـع، وتركـت قلمـي يدمـع. عليـ تلك الأرضـ ما أطـيفـهاـ ربـيـ، وـماـ أحـسـنـهاـ  
مـصـطـافـاـ، جـزـيرـةـ بـديـنـ، مـسـقـطـ الرـأسـ، مـلاـعـبـ الطـفـولـةـ وـمـرـاقـعـ الصـباـ، غـبـتـ عـنـهاـ، وـعـدـتـ إـلـيـهاـ بـعـدـ عـشـرـينـ عـامـاـ.  
وـلـاـ وـطـنـتـ قـدـمـايـ أـرـضـهـاـ أـحـسـتـ وـكـانـيـ ولـدـ لـلـتوـ، غـمـرـنـيـ دـفـنـ العـشـيرـةـ، وـطـافـ فيـ ذـهـنـيـ ذـكـرـياتـ الطـفـولـةـ وـالـصـباـ.  
إـسـتـعـدـتـ مـعـ بـعـضـ آـنـدـادـيـ آـيـامـ الـخـلـوةـ وـمـرـاحـلـ التـعـلـيمـ الـأـوـلـ، طـفـلـ بـالـبـلـدـةـ أـنـجـسـسـ أـمـاـكـنـ عـزـيزـةـ.  
مـسـحـونـةـ بـالـشـجـنـ وـالـعـنـينـ، كـانـ كـلـ وـاـحـدـ مـنـ يـجـدـ نـفـسـهـ فـيـ حـدـيـثـ الـأـخـرـ، طـفـلـ بـالـبـلـدـةـ أـنـجـسـسـ أـمـاـكـنـ عـزـيزـةـ.  
وـقـفـتـ عـلـيـ شـاطـئـ النـيلـ كـمـاـ كـنـتـ أـفـعـلـ، سـيـطـرـ عـلـيـ شـعـورـ حـزـينـ وـمـؤـبـ، كـمـ كـنـتـ قـاسـيـاـ عـنـدـمـاـ غـبـتـ كـلـ هـذـهـ  
الـمـدـةـ عـنـ بـدـيـنـ وـأـهـلـهـاـ، تـغـيـرـ الـكـثـيرـ مـنـ مـعـالـمـ الـبـلـدـةـ، عـشـرـونـ عـامـاـ، لـمـ يـعـدـ الـمـكـانـ هوـ الـمـكـانـ وـلـاـ الـزـمـانـ هوـ الـزـمـانـ  
. وـلـكـنـ بـدـيـنـ هـيـ بـدـيـنـ، يـأـرـضـهـاـ وـسـمـاهـاـ، بـلـلـيـهـاـ وـنـهـارـهـاـ، بـشـمـسـهـاـ وـقـمـرـهـاـ، بـأـهـلـهـاـ الثـابـتـونـ كـالـنـخـيلـ، كـانـتـ بـدـيـنـ  
هـنـاكـ، دـانـهـاـ كـانـتـ هـنـاكـ، حـيـثـ هـيـ، مـنـذـ أـنـ خـرـجـتـ مـنـ جـوـفـ النـيلـ، مـقـ؟؟ مـالـنـاـ وـمـقـ، كـيـفـ جـاءـ إـسـمـهـ؟؟ لاـ  
نـدـريـ، الـمـهـمـ جـاءـ إـسـمـهـ وـكـانـ فـدـيـنـ أوـ بـدـيـنـ، وـكـانـتـ وـكـنـاـ، هـنـاكـ خـرـجـتـ مـنـ جـوـفـ النـيلـ، عـروـسـاـ كـامـلـةـ الـزـيـنةـ،  
حـورـيـةـ شـامـلـةـ الـجـمـالـ، زـنـنـهـاـ الـطـبـيـعـةـ، زـفـفـهـاـ مـلـاـنـكـةـ النـيلـ بـالـعـدـيـلـ وـالـزـيـنـ، فـيـ ثـوبـ زـفـافـ أـخـضـرـ طـبـيـبـ، ثـمـ تـرـكـوـهـاـ  
فـيـ حـضـنـ النـيلـ، وـأـيـ حـضـنـ كـحـضـنـ النـيلـ، تـمـدـدـتـ هـنـاكـ مـحـاطـةـ بـمـاءـ مـنـ كـلـ جـانـبـ، وـأـيـ نـعـمـةـ كـلـمـاءـ، توـسـدـتـ  
صـخـورـ الشـلالـ الـثـالـثـ شـمـالـاـ وـتـمـدـدـتـ نـحـوـ الـجـنـوبـ بـضـعـةـ أـمـيـالـ، إـسـتـلـقـتـ هـنـاكـ عـلـيـ بـعـدـ حـوـالـيـ خـمـسـةـ وـثـلـاثـونـ  
مـيـلـاـ شـمـالـ مـدـيـنـةـ دـنـقـلاـ، إـكـنـمـلـتـ أـنـثـيـ خـصـبـةـ، بـكـراـ، لـوـدـاـ، تـرـنـوـ بـعـينـ حـسـنـاءـ إـلـيـ أـبـوـفـاطـمـةـ وـكـبـرـنـارـتـيـ وـكـرـمـةـ وـوـادـيـ  
خـلـيلـ شـرـقاـ، وـتـنـظـرـ إـلـيـ مـقـجـورـ وـأـكـدـ وـالـحـفـيرـ غـرـبـاـ، وـهـمـ يـتـغـزـلـونـ فـيـ جـمـالـهـاـ الـخـلـابـ، دـخـلـ عـلـيـهـاـ إـخـوانـ بـيـاـ (ـبعـانـغـيـ)  
وـتـهـارـقاـ، وـأـلـقـواـ رـحـالـهـمـ فـيـ سـاحـتـهـاـ الـخـضـرـاءـ، حـضـنـهـمـ بـصـدـرـ أـمـ رـوـومـ، أـعـطـهـمـ الـأـمـنـ وـوـهـبـهـمـ الـأـمـانـ، أـرـضـهـمـ الـطـبـيـبـةـ  
وـمـسـقـتـهـمـ الـحـنـانـ، فـسـكـنـوـ فـيـ مـوـدـةـ وـرـحـمـةـ، وـتـوـالـدـوـ عـنـهـاـ، عـاـشـوـ مـطـمـئـنـنـ سـعـادـ، مـارـسـوـ حـيـاتـهـمـ فـيـ ظـلـ وـثـنـيـةـ أـوـ  
حـنـيفـيـةـ، مـنـ يـدـريـ!!، جـاءـهـمـ دـيـنـ مـوـسـىـ فـقـبـلـوـهـ، جـاءـهـمـ دـيـنـ عـيـسـىـ فـعـاشـوـ عـلـيـهـ دـهـوـرـاـ، حـقـ جـاءـهـمـ الـإـسـلـامـ  
فـأـهـتـدـوـ بـهـ بـعـدـ أـنـ عـقـدـوـ مـصـالـحةـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ عـادـتـهـمـ وـتـقـالـيدـهـ الـقـدـيمـةـ، وـمـاـ تـزالـ بـعـضـ تـلـكـ العـادـاتـ الـهـبـجـينـ  
سـارـيـةـ وـقـيـدـ المـارـسـةـ إـلـيـ يـوـمـنـاـ هـذـاـ، وـمـاـ زـلـنـاـ نـذـكـرـ طـقوـسـ الـوـلـادـةـ وـالـسـمـاـيـةـ وـالـعـتـانـ وـالـزـوـاجـ، مـيرـاثـ أـجيـالـ وـأـجيـالـ،  
مـنـ فـجـرـ الـتـارـيخـ، طـقوـسـ عـبـادـاتـ مـتـراـكـمـةـ، حـضـارـةـ إـنـسـانـيـةـ تـعـاـيشـتـ فـيـهـ الـوثـنـيـةـ وـالـنـصـرـانـيـةـ وـالـإـسـلـامـ.

سارت عملية التكاثر على فطرتها السهلة. ت العمل النساء وتلدن في بساطة. لم يكن هناك طبيب ولا جدول شهري ولا أسبوعي للمراجعة، لا أجهزة ولا سمعاء ولا موجات صوتية ولا بصرية، لا بنج ولا تعقيم ولا مضادات حيوية ولا يعززون. عندما يحين موعد الولادة تصرخ المرأة وتولول بطريقة معينة فتجمع حكيمات العي قرب سريرها مع الداية البلدية، التي تعرف ما عليها. وعلى دراية فطرية تامة بكل تعقيدات العملية. ورغم الصعوبة في التوليد بسبب خصوص نساء أجبار متتالية للطهارة (الختان) الفرعونية اللعينة، إلا أن العملية كانت تتم بدون نتائج كارثية في الغالب. فيخرج الطفل إلى الدنيا صارخاً في وجهها ووجهه من فيها. يحدث ذلك دون الخضوع لكل الإجراءات الطبيعية المعقّدة التي رأيناها لاحقاً في بلاد الله، والتي توصف بـ "المتحضرة". أثناء الولادة كانت الأم تمسك بحبلين أو فرعين من السعف (جريدة النخل) تعلق في السقف فوقها. كانت الولادة تتم بطريقة بدائية في غرفة بلدية بأدوات بلدية. هكذا ولدنا، أما أبناؤنا الأعزاء فقد ولدوا بطريقة أخرى. في مستشفيات عالمية من الدرجة الأولى، في غرف فيها من الأجهزة الحديثة ما لو رأها أجدادنا وجداتنا لأصيبوا بالذهول الدائم. وهنا يحضرني موقف طريف، فأخذ هؤلاء الأبناء هو (طلب) أو طلوي كما يحلو للأسرة أن تناديه. وهو ابن أخيها وصديقنا العزيز الصادق فرحان، وقد ولد طلوي في إحدى مستشفيات تورنتو الراقية. ونشأ في هذه المدينة الساحرة مستمتعاً بترف الحياة فيها. وفي سنواته الأولى أصبح مولعاً بالحيوانات حد الهوس، فما أن يرى حيواناً في التلفزيون أو في أفلام الأطفال حتى يقفز ويقتلد شخصية الحيوان. ومن كثرة مشاهدته للحيوانات أصبح يجيد تقليداتها بصورة مذهلة وظرفية. ثم تطور موهبته في التقليد فيما بعد فأصبح يقلد الناس بنفس الطريقة. وكان للفيل نصيب الأسد من إعجاب طلوي. ثم لما علم أن كل أنواع هذه الحيوانات موجودة في أفريقيا فقد ترسخ في ذهنه أن أفريقيا ليست إلا غابة كبيرة يسرح فيها الحيوانات في الشوارع جنباً إلى جنب مع النبي أدم الأفريقي المتخلف. وحينما بلغ طلوي من العمر الخامسة عشرة قررت الأسرة السفر إلى السودان، وما أن علم طلوي بذلك حتى هلل صنانعاً بمجموعة من أصوات الحيوانات، معبراً عن فرحته الغامرة بغزو أفريقيا واكتشاف مجاهلها المثيرة. وهكذا أخذ طلوي في تهيئته نفسه لرحلة العجائب والغرائب. وفي اليوم التالي من معرفته بالسفر ذهب إلى المدرسة وتبخرت بين أصحابه ناشراً للخبر بإنجليزية فصيحة لا تأنها العربية ولا الرطانة من بين يديها ولا من خلفها، وأصحابه يتسللون في دهشة:

( Really ? You are going to Africa? WOW!! That is cool )

وطلوي كغيره من أبناء المهاجرين لا يعرف عن أفريقيا إلا ما يشاهده في برامج التلفزيون. والتلفزيون لا يعرض من أفريقيا إلا الحيوانات ومناظر الكوارث والجفاف والتصحر والناس الذين يموتون جوعاً. ذهب طلوي إلى السودان. وبعد أيام قضتها في الخرطوم سافر إلى البلد، إلى الحفير، وهناك طاف به عمه معرفاً إياه بأهل البلد ومعاملها. من هذه المعالم بيت عتيق متهدّم مهجور، كان يوماً ما عرينَ أسد حصور، هباهي الغادي والرانج، وقف طلوي على أطلال قصر جده متعجبًا. فقال له عمه يا طلوي: أبوك مولود هنا. في البيت ده. فقال طلوي على الفور:

(دا كان Hospital؟)، جزاک الله عننا يا حلوي . (ده ما كان هسبتال ) . كان بيتأ عامراً لرجل كريم مضياف . بيت ولد فيه رجال ونساء . نشوا وتربيوا وتعلموا، ولما ضاقت بهم الحياة ، ولما كانت أرض الله واسعة ساروا في مناكها يأكلون من رزقه . هكذا رمت الأقدار بوالديك في تورنتو . فولدت ولادة (محنكشة) . أما عندنا فقد كان الأطفال يولدون (ولادة حبل) . ورغم بدانية العملية كان الطفل يولد ويستمر في النمو سليماً معااف . لا سميلاك ولا سيريلاك ولا داير، لا تابلنول ولا تعليم ضد الشلل أو التاييفود أو ... أي شيء . كل الذي كان متوفراً من مستحضرات الطب الحديث شيء يسمى (ماء غريب) وكان غريباً فعلاً . علاج سحري لكل أمراض الأطفال ، رغم انتهاء صلاحيته قبل زواج الألب والألم بكثير.

أشرت في المقدمة وأعيد الإشارة هنا إلى أن بعض الفقرات منقولة من عدة منتديات نوبية بتصرف . وذكر هذه المنتديات أو الإشارة إليها باسمها صعب لسببين . أولاً لكثرتها . وثانياً لأن المعلومات متفرقة فقمت بإضافة بعضها إلى بعض ، وهي في النهاية لا تخرج عن كونها معلومات شعبية متداولة بين الناس، منها ما عايشناه ومنها ما كان قد انقرض قبل جيلنا . وهذه الإشارة لتثبت الحق الأدبي لمن نقلت عنهم وأخذت منهم.

أكثر ما كانت تقوم به المرأة النوبية قديماً . أثناء فترة العمل . والعامل تسمى (جنتي)(Junty) . هي الزيارات الدائمة لنهر النيل . للتبrik بمانه المقدس . وللقاء بعض الهدايا لملانكة النهر (أنجلسرى Angelesry) ... هل تسمع ثمة صدى للكلمة angel التي تعني "الملائكة" في العديد من اللغات الأوروبية؟ وتذكر أن ديار النوبة ظلت مسيحية لفترة طويلة بعد دخول الإسلام . وكانت هذه الزيارات تتقارب وتكثر في الشهر الأخير من الحمل . وكانت تلك البدايا تتمثل بصورة أساسية في العصيدة الـ (قيري) تحملها إلى النهر مع الصباح الباكر . وتلقها فيه، متممية أن يتحقق لها ذلك ولادة سهلة ميسرة . أما إذا تعثرت الولادة فكانت النساء تستغيث بـ (ماريا) (السيدة العذراء) في إبهال باللغة النوبية . وكان يطلب من الزوج الإنبعاث من البيت . ومن الإعتقادات التي كانت تسود عالم العمل والولادة قضية طائر الشؤم (البومة) والتي كانت تمثل خطراً كبيراً على العامل وطفلها . إذ كانوا يعتقدون أن في مقدور البومة إسقاط الجنين بالتحليق فوق رأس الأم . ولتحفظ المرأة نفسها كان عليها أن تضع قطعة معدنية (إبرة أو دبوس) في شعر رأسها ليكون حاجباً بينها وبين البومة . ولهذا الحقد الذي تكتنه البومة على المرأة العامل جذور في الأساطير النوبية إذ يقال إن البومة كانت في الأصل بنتاً إسمها (فانة) ولم يتقدم لها أى شاب حتى فاتتها الركب . وذات مرة، وهي في حزنها من عدم تقدم الخطاب لها ضربتها أنها بعود . فإنقلبت في الحال إلى طائر (البومة) الذي نراه اليوم . ومنذ ذلك الوقت تكره البومة عنصر الرجال . لأنهم لم يتزوجوها . ولذلك فإنها تحاول إسقاط الجنين من الأرحام حتى لا يرزق أحد بولد . وكان يعتقد أنها تتعين الفرصة لإرضاع الطفل الذكر في غياب أمه . لذا اعتاد الناس على تعليق أوراق العُشر في سقف الحجرة . ولا أدرى ماذا كانت الحكمة من وراء ذلك . فالبومة تعيش أصلاً فوق أغصان أشجار العُشر . ولا تخرج إلا بعد صلاة العشاء . وكانوا يسمون الإنسان الغشيم الذي لا يعرف الوقت بـ (بومة العشي).

بعد الولادة مباشرة كانت الداية وبعض النساء اللائي تواجدن أثناء الولادة، يذهبن إلى النهر. وتحمل احدى القريبات الحجارة التي جلست عليها الأم (كانت الولادة تتم في وضع الجلوس على قطع حجرية ملساء كبيرة نوعاً ما) والرمال التي سقطت عليها دماء الولادة وسبع تمرات والمشيمية، ثم يلقين تلك الأشياء في النهر. وكان الغرض من إلقاء الحبل السري (المشيمية) في النيل في حضور نساء القرية اللاتي يشهدن الحدث هو منع أي امرأة تعانى من العقم من سرقة الحبل السري واستعماله في تعويذة تبعد لها الخصوبة وتحرم الأم منها . وفي بعض الحالات كان الآب يأخذ المشيمية وهي في النوبية تسمى (سين) كان ياخذها ويدفعها في المزرعة ، إذا كان المولود ولدأ. أما إذا كانت بنتاً، فتدفعها الأم في المطبخ (التكل) (إيقن شا) . وفي مرحلة متقدمة أصبحت المشيمية تدفن في المسجد تفاولاً بأن يتعلق الطفل بالمساجد.

كانت الأم ترقد في المنزل (في غرفة خاصة) مع مولودها ولا تخرج منها . كانت تلك الغرفة تسمى (مارين نوق) يعني بيت ماريا ، في إشارة إلى مريم (العنزراء) ، والتسمية فيها تخويف ضمفي. إذ توحى بـ"قدسيّة المكان". لتخويف النساء من ممارسة أي من (أعمال) الشر التي تضر بالأم أو المولود. وكانت هناك أشياء خاصة بهذه المناسبة توضع بجوارها وتحفظ في إناء نحاسي كبير يوضع بالقرب من سرير الأم، كانوا يضعون في هذا الإناء روانع وحنة . وكحلا، وسكرا، وماء ، وسكنينا وشينا من البلح والقمح والقرنط (القرض). وهو ثمرة شجر السنط. وقطعة حديدية، كما يوضع إناء به زيت وقطن مشتعل. وعند إرضاع الطفل كانت الأم تضرب ذلك الصحن النحاسي بالملحيل حتى يصدر رنينا ثم بعد ذلك تعطى ثديها للطفل ليبرضع. وهذه الأشياء لم تزاح عن مكان رقاد الأم النساء إلا بعد الأربعين. أي مرور 40 يوماً على الولادة ، وعادة ما كان الإحتفال بالسبعين، أي إكمال المولود لسبعة أيام – وهو اليوم الذي يتم فيه اختيار اسم للمولود – حافلا بالطقوس والمراسيم. إذ تذبح الذبائح وتقام الولائم. ويسمى ذلك اليوم في السودان الأوسط "السمامية" وسميه النوبيون (كُلدن أق) وكذلك colod في النوبية تعني "سبعة" . وأق يعني يوم . كـ (بلين أق) يعني يوم العرس، (فوشن أق) يوم الثلاثاء. ولكن عند النطق يدمج النون والألف فيبني (كُلدنق) وأسماء الأيام عند النوبين هي :-

السبت : سنتي Sante (هل تسمع صدى لكلمة سينت "القديسين" اللاتينية؟)  
الأحد : كِرْقَ Kirege (وباليونانية كرياكى ويحدر بالذكر ان الكنيسة النوبية كانت قبطية وان اللغة النوبية كانت تكتب بالحروف القبطية أي اليونانية القديمة)

الاثنين: فوش . Foosh

الثلاثاء: فوشنوقو . Foosh nugu

الأربعاء: فوشنباق . Foosh nabag

الخميس: ميسقو دب Missogo dip

ال الجمعة: ميسقو. Missogo (ميسى في اللهجة النوبية الشمالية هو "الصوم" ويوم الجمعة هو يوم الصوم عند الأقباط)

كان النوبيون يعتقدون ان يوم الأربعاء يوم نحس . وكان هناك يوم في السنة يسمى (أرها مري) يكون يوم أربعاء، كان يوما غير محظوظ، يتشاءمون منه كما يتشاءم الأفرنج من الرقم (13). وكانتا يمنعون الأغراض في هذا اليوم. ولا يمنعون الحليب أو أي من مشتقاته . ولا يتناولون الأشياء بينهم . ولا يغسلون الملابس، ولا يمارسون الزراعة ولا الحصاد، والا (مرى) هو الكعب او السى، (كديس مرى) هو الكديس الذي بعض او يؤذى. وأكثر أيام الأربعاء شؤما

كان ذاك الذي يأتي بعد اكتمال دورة القمر ويسمى "أرها أون أباق" Oon abag

، كما أن يوم السبت يسمى (سبت جز مرى) ومعنىه اليوم الذي يقطع الظهر (جز)، والغربي أن يوم الأربعاء كان يوم شؤم عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، وهو أيضاً يوم شؤم عند بعض الشعوب الأوروبية.

كانوا يفضلون يوم السبت لبداية إرضاع الطفل. وبعد الإحتفال بالسبوع، ومع بداية أول هلال من الولادة كانت الأم تحمل المولود وتتفنّز فوق النار سبع مرات، وتخرج للشاهد البالل. وتثثر الماء نحوه مع الدعوات والإيمالات، ثم تنخض بخوراً يتكون من سبعة رؤوس من الشوك، وقليلًا من القرفظ/القرضن، وورق البصل، وقليلًا من الملح. وتتنخض هذا البخور سبع مرات وهي تحمل المولود. وفي حالة عجزها عن ذلك، تقوم امرأة أخرى بتلك الطقوس نيابة عنها (المشاهرة). وأول هلال من الولادة هو الهلال الذي كان يتعلّق به مفهوم

(المشاهرة)، ولا أعرف ما إذا كانت هذه الكلمة نوبية المنشأ أم لا لكنها مستخدمة في أنحاء السودان الناطقة بالعربية. والإصابة بالمشاهرة هي أن تصاب العروس (نُفدو) أو البنت المختونة/المطبرة (بُرُو مَرْفِي) أو المرأة النساء (إدين أنادافي) وطفليها (يتان) أو (أسَرَ) أي الأذى الذي يلعقهن نتيجة الإخلال ببعض الطقوس التي يجب مراعاتها، وهذه الطقوس هي أن لا تتعامل أو ترى أيًا من هؤلاء . . .

### ١. من رأى جنازة ٢. من قتل عرقياً ٣. من قتل دمًا

وإذا كانت هناك وفاة . كانوا يصرون على العرس الذهب ورثوة الجنازة . وبذلك يمنع الباقيين من "مشاهرة" عروسه . وكان من غير المسموح لمن رأى دمًا أو جنازة، أن يدخل على العريس أو العروس، ومن نتائج الإصابة بالمشاهرة حدوث نزيف للمرأة النساء، أو جفاف لها، أو إصابتها بالعمق بعد ذلك، أو إصابة الطفل بأمراض خطيرة، أو إصابة العروس بالعمق، أو الجنون، أو حدوث عدم وفاق في الزواج. أو إصابة البنت المطبرة بإلتهاب الجرح، وكان علاج المشاهرة يتم بالآتي:

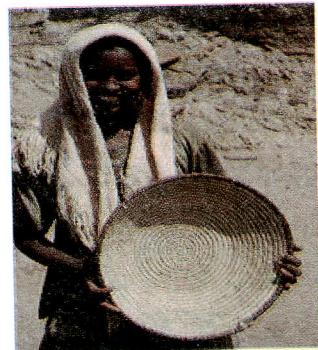
وكما في كل المعتقدات البشرية عبر التاريخ الإنساني، يتعلّق الأذى بكلّ انتشار شريرة، وتنوع وتدخل طقوس إرضاء هذه الكائنات والفكاك من أذارها حسب تقييم الجماعة الشعبية المعينة للأذى وطريقة العلاج، وفي المشاهرة إذا كان المتسبب من رأى جنازة، يأتون بزراب من فوق القبر الذي دفن فيه الميت، ويداب هذا الزراب في ماء ثم تستحم به المصابة، أو تغسل المصابة بالصابون الذي تم غسل الميت به، وإن لم يغسل على نفس الصابون، فبصابون متوفّ

آخر يتم تسربيه من وراء ظهور أهل المتنوي، ولذا كانت المشاهدة لسبب آخر تنزل المصابة في الصباح الباكر، أو بعد أذان المغرب، إلى النيل، ترافقها امرأة كبيرة السن، تحمل مبخرًا وسبعة رؤوس من سوس، وتحمل ماء زهرة، وحبوب ذرة، ثم تشعل المرأة النار في المبخر، وتقف المصابة بالمشاهد فوق المبخر، وتستنشق الدخان المتتصاعد، ثم تذهب إلى النيل، وتأخذ من مائه إباناء، وتغسل وجهها فوق المبخر، بشرط أن تساقط ذرات الماء من وجهها على المبخر حتى تنطفئ النار، وتعالج المشاهدة أيضًا بتخطي ثعبان يتم قتله وبالاستحمام في البيت مع وضع قطعة ذهب تحت القدم، وبعد إحتفالات الأسبوع تتوجه الأم وبصحبها الفتيات الصغيرات والداية وبعض القربيات إلى النهر، وتقوم الأم بالقاء سبعة قطرات من العطر/الريحة، وكمية من العنقة في النهر، وبعدها يتم وضع الكحل في عيون الولود، وعند العودة إلى المنزل تملأ بعض الأواني بماء النهر، ليسكب هذا الماء في حجرة الوليد لكي تباركه وتصاحبه ملائكة النهر طيلة الأربعين يومًا التي تمكث الأم فيها في المنزل، وبنهاية "الأربعين"، تتم زيارة النهر مرة أخرى فتغسل الأم وجه الطفل وبديه ورجليه بماء النهر (هل تسمع هنا صدى التعميد الكنسي؟) ثم تملأ سبعة جرادل من الماء لتأخذ الأم (حمام الأربعين) وكانت الأم تسكب الماء أربعين مرة فوق جسدها لكي تتطهر، وكانت تتلقى بعض النساء، اللاتي لم يحالفن الحظ في العمل، بعض من هذا الماء، كهدية من الأم، علىأمل أن يحالفن الحظ بعد ذلك، وفي بعض القرى كانوا يستدعون طفلاً حسن الأخلاق، ويطلبون منه أن يمضغ بعض التمر ثم يمس شفتي الوليد بلسانه، أملاً في أن تنتقل إليه الأخلاق الحميدة مع حلوة البلح، ويقال أن هذه العادة في الأصل سنة فعله الرسول (ص). وفي اليوم الأربعين كانوا يذهبون إلى قبة/ضريح "الشيخ" وهو يحملن الطفل وفراصه (قرصن سميك يصيغ من عجينة دقيق القمح بالسمنة) لها سبعة قرون، يسمونها "كرامة أو نذر". ويتبركون بزيارة القبر ويتولسون بالشيخ أن يحفظ طفلهم من شرور الإنس والجن، ودائماً ما كانت هذه الإحتفالات تنتحصر على النساء والأطفال، ولا يشارك الرجال فيها، أما الأم فكانت لفترة طويلة تتمتع بعنادٍ جمِيع نساء الحي، ومن ناحية غذائية كانت الأم تعتمد على الد (فنتي قري) وهي عصيدة مركزة من البلح، أو الد (كزمن قري) وهي عصيدة الحلبة، أما الزوار فكان يقدم لهم شئ يسمى (الأسلبي) يتكون من بلح مع قمع (كوشى) مقللين على النار، ولا أعرف للكوشى اسمًا بالعربية وهي من الحبوب التي تنتهي إلى عائلة الشعير.

والغباء، ويشتملها بأقذع الألفاظ ، وبضمها ضرب غرائب الإبل. كان يفعل ذلك رغم أنه لم يكن بليداً ولم يكن يجلد (كثيراً) . والجلد المؤذن كان شائعاً في المدارس ، وكان هناك من المدرسين من يمارس الجلد كهواية ، ليس لأن التلميذ يستحق الجلد إنما لأن المدرس كان يستطيع أن يجلد ، فلا معنى إطلاقاً لجلد التلميذ 20 و30 و40 جلدة ، هذه الطريقة العبيطة في العقاب كانت من الأسباب المباشرة التي دعت الكثير من التلاميذ لترك المدرسة والهروب من البلد ، ولا أدرى ما إذا كان أسلوب الجلد هذا متبعاً حتى الآن ، أتعنى أن يكون قد إنتهى.

وعلى كلٍ ففارق أيضاً لم يغترب، إستقر في الخرطوم، منتقلًا من عمل إلى آخر، إكتفى من الدنيا بالقليل، فعاش في هدوء وقناعة . أما الصديق الأقرب فقد كان الأخ فضل عبدالمطلب فضل، أخ لم تلده أمي ، كان يأتي في البيت فأقوم بتوصيله إلى بيتهم، فيقوم هو بتوصيلي إلى بيتنا، وهكذا حتى يتصف الليل، إفترقنا بعد مرحلة الثانوية العامة، ولكن إستمرت صداقتنا. سافر إلى العراق حيث درس المرحلة الجامعية، ثم إجتمعنا في السعودية، وتركناه هناك وهاجرنا، وهو رجل يحمل قلباً كبيراً، ثم ذكر علي محمد إبراهيم، كان صديقاً مقرباً، إفترقنا بعد البريق، ولم أقابله بعد ذلك إلا مرة أو إثنين، أين أنت الآن يا علي؟ كلهم تزوجوا وخلفوا وعاشوا في أمان، أبقاهم الله حتى يكملوا مشوار التربية الصعب.

أعود الآن إلى مراسم الزواج وما كان يتبعها من أمور، كان هناك نوع من الأعراس طريف، كان اسمه (تُوقن بلي) والترجمة الحرافية ( عرس الريح). وكان عرساً كاذباً، بدون عريس ولا عروسة، إحتفال تقوم به إمرأة ليست لديها أولاد أصلاً، أو ليست لديها أولاد في سن الزواج، وهي تقوم بهذا الإحتفال لتجمع من الناس مقابل عطاياها التي شاركت بها في مناسباتهم.



لتجمع ما دفعته في الكشوفات، وتسمى تلك المساهمات (كسي) بفتح الكاف، أو (كري) والكري نادراً ما كان يكون في شكل مبلغ كاش، فقد كانت المساهمات عينية، ديك أو دجاجة أو ملوا قمح مع زجاجة سمن بلد (مسلي)، تحمله المرأة في (كُنْتِي) وهو طبق عميق أو مسطح منسوج من سعف النخيل، ومقابل هذه المساهمة تعود المرأة إلى بيتها بقدر بسيط من اللحم يسمى (أود) ، ومن العجائب أن كل إمرأة كانت تحفظ تماماً كل (الكسنات) التي اعطيتها للأختيرات، وإذا تأخرت واحدة عن الحضور، أو لم تحضر الكسي تقوم ملائنة أعمجمية نوبية رهيبة، تسمع فيها العجب العجاب، ولم يكن الزواج مكلفاً، كان المهر (الشيلة) تتمثل في أشياء محلية بسيطة، ويوم العقد كان يتم تقديم التمر والكعك للضيوف على صحون نحاسية تسمى (السلم).



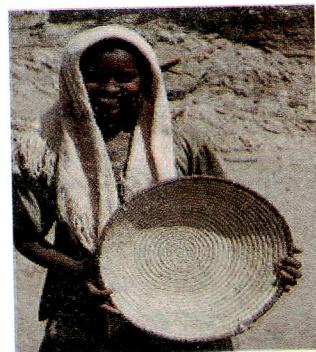
وقد يبدأ وقبل وصول الطاحونات الحديثة ، كانوا يطحنون الحبوب يدوياً، في عملية مضنية وطويلة ، ولذلك أن تخيل الكمية التي كان

(ب Yoshi) و (قرى) و (دكتشوا و تفني) و (تفنج) وهذا الألقح هو أكثر أنواع الأسمالق قاتلة للدقوع في السناد، وهي سمة صغيرة لا تسمن ولا تغنى من جوع . فكنا نعيدها إلى الماء . وكان لحيي الدين موهب عديده، فقد كان عذراءً وكان يجيد (نط الجبل) وكان بارعاً في صناعة عربات الصفيح . ومن خلال نظاراته الطبية التي إضطر إليها منذ الصغر، كان (يشريلك) نفسه في أعمال دقيقة، وعندما كبر أخذ يعمل في تصليح الساعات وأجهزة الراديو والمسجلات، ثم كان من أوائل من افتتحوا استديو للتصوير في بدین. رجل نبيل ووديع، صبور على الدنيا، قنوع بما تجود به عليه، يستقر به المقام في البلد، ولم يحاول الإغتراب الذي كان هاجس الجميع، والذي أضعنا فيه عمراً كان جديراً أن نقضيه في البلد، ولكن أراد الله غير ذلك، وما زال يكافح وينافح في البلد، تاجر ومزارع، يتذرأ أمر نفسه وأسرته في صير جميل، ومن دفعه في الحي، وزملاني في المدرسة أيضاً، أخي محمود محمد طه، كان عاقلاً بالميلاد، فيه من حكمة والده الكبير، قضي جل وقت الطفولة مع والده الشيخ محمد طه، وفي عمر مبكر تعلم أصول الحساب ومسك الدفاتر، ووالده كان من تجار البلد المعترفين، ومن حفظة القرآن، مؤمناً من جميع أهل البلد، كانت الأسرة تأخذ حوجتها من دكانه بالذين، "تحت" الحساب، وكان له طريقة معينة في تسجيل هذه الديون، طريقة فيها دقة كبيرة وأمانة بالغة، وكان يكتب ويوقع بخط مميز، وكنا نتعجب كيف أن محموداً تعلم طريقة والده في الكتابة والتقييم بذلك التشابه، إنغرب في السعودية وما زال، ومنهم أخي تاج السر عكاشه، الذي كان يهوي السباحة، ويعشق كرة القدم، أما في الكشتيبة، فلم يكن يقبل المزيمة، إذا غلب يلغي ويجوّط ويخرّ، يكسب الجولة ويستمر في اللعب، حتى لو استبدل زميلاً، وربما لم يكن من قبيل الصدف أن يتخرج من كلية الحقوق، ويزاول مهنة المحاماة، لم يغترب، يستقر في الخرطوم، حباء الله عقلًا راجحاً ونفساً مطمئنة، يمد يد العون لهذا وذاك، يسعى في مصالح الناس بماله ووقته، ومنهم أخي الجزولي سعد الدين، الذي زاملني من الخلوة إلى الثانوي، كان من ظرفاء الشلة، ذوروح مرحة، ساخر أحياناً، لم يكن مشاغباً، كان حريصاً على سلامته الشخصية ولم يدخل نفسه في متابعة الأطفال الكثيرة، كان يلزم البيت بعد الغروب . دخل الحياة العملية تاجراً، كافع في التجارة كفاحاً مستعيناً، ينتقل بين بدین والخرطوم، وبين وادي حلفاً، عمل شاق وممل، حالفه العحط مرات وخدله مرات آخر، إنغرب لمدة قصيرة نسبياً، ثم عاد، وأخذ سيرته الأولى، والعود أحمد يا صاحي، ومنهم أخي فاروق عبد القادر، الذي كان أطولنا، ورغم أن الطول عزّ كما يقولون، إلا أنها كانت تندر بطوله، كان حريفاً في الكشتيبة، يدمن التبغ المعروف عند النوبة بالقامشة، كان يأتي بالقامشة ويصفها من الشوانب، ويحتفظ بالشوانب، وعندما لا يجد شيئاً من القامشة يعود إلى تلك الشوانب ويطحّنها في الجو بتلك الطريقة البدائية، ثم يرميها ببرمة محترف حريف، يشعّلها بولاعة أو كبريت أو جمرة، كما إنفق، وينفتح دخانها في السماء وكأنها بنسون أو روثمانز أو برتعي، وكانت له هواية غريبة، وهي (جلد) المساطب والأشجار، بين المدرسة والبيت كان يحمل عصا طويلة يجلد بها المساطب أمام البيوت، وكانت مسطبته المفضلة في بيت مهجور غرب الجدول، قرب كيري قبة، بين (قبة) و(تون مار)، هناك كان يقف شامخاً كالمدرسین، يلقي الدرس على المسطبة المسكينة، ثم يقرر أن المسطبة لم تفهم الدرس، ويتهمنها بالبلاد

والغباء، ويشتملها بأقذع الألفاظ ، وبضمها ضرب غرائب الإبل. كان يفعل ذلك رغم أنه لم يكن بليداً ولم يكن يجلد (كثيراً) . والجلد المؤذن كان شائعاً في المدارس ، وكان هناك من المدرسين من يمارس الجلد كهواية ، ليس لأن التلميذ يستحق الجلد إنما لأن المدرس كان يستطيع أن يجلد ، فلا معنى إطلاقاً لجلد التلميذ 20 و30 و40 جلدة ، هذه الطريقة العبيطة في العقاب كانت من الأسباب المباشرة التي دعت الكثير من التلاميذ لترك المدرسة والهروب من البلد ، ولا أدرى ما إذا كان أسلوب الجلد هذا متبعاً حتى الآن ، أتمنى أن يكون قد إنتهى.

وعلى كلٍ ففارقوا أيضاً لم يغترب، يستقر في الخرطوم، منتقلًا من عمل إلى آخر، إكتفي من الدنيا بالقليل، فعاش في هدوء وقناعة . أما الصديق الأقرب فقد كان الأخ فضل عبدالمطلب فضل، أخ لم تلده أمي ، كان يأتي في البيت فأقوم بتوصيله إلى بيتهم، فيقوم هو بتوصيلي إلى بيتنا، وهكذا حتى يتصف الليل، إفترقنا بعد مرحلة الثانوية العامة، ولكن استمرت صداقتنا. سافر إلى العراق حيث درس المرحلة الجامعية، ثم إجتمعنا في السعودية، وتركناه هناك وهاجرنا، وهو رجل يحمل قلباً كبيراً، ثم ذكر علي محمد إبراهيم، كان صديقاً مقرباً، إفترقنا بعد البريق، ولم أقابله بعد ذلك إلا مرة أو إثنين، أين أنت الآن يا علي؟ كلهم تزوجوا وخلفوا وعاشوا في أمان، أبقاهم الله حتى يكملوا مشوار التربية الصعب.

أعود الآن إلى مراسيم الزواج وما كان يتبعها من أمور، كان هناك نوع من الأعراس طريف، كان اسمه (تُوقن بلي) والترجمة الحرافية ( عرس الريح). وكان عرساً كاذباً، بدون عريس ولا عروسة، إحتفال تقوم به إمرأة ليست لديها أولاد أصلاً، أو ليست لديها أولاد في سن الزواج، وهي تقوم بهذا الإحتفال لتجمع من الناس مقابل عطاياها التي شاركت بها في مناسباتهم.



لتجمع ما دفعته في الكشوفات، وتسمى تلك المساهمات (كسي) بفتح الكاف، أو (كري) والكري نادراً ما كان يكون في شكل مبلغ كاش، فقد كانت المساهمات عينية، ديك أو دجاجة أو ملوا قمح مع زجاجة سمن بلد (مسلي)، تحمله المرأة في (كُنْتِي) وهو طبق عميق أو مسطح منسوج من سعف النخيل، ومقابل هذه المساهمة تعود المرأة إلى بيتهما بقدر بسيط من اللحم يسمى (أود) ، ومن العجائب أن كل إمرأة كانت تحفظ تماماً كل (الكسنات) التي اعطيتها للأختيرات، وإذا تأخرت واحدة عن الحضور، أو لم تحضر الكسي تقوم ملائنة أعمجمية نوبية رهيبة، تسمع فيها العجب العجاب، ولم يكن الزواج مكلفاً، كان المهر (الشيلة) تتمثل في أشياء محلية بسيطة، ويوم العقد كان يتم تقديم التمر والكعك للضيوف على صحون نحاسية تسمى (السلم).



وقد يبدأ وقبل وصول الطاحونات الحديثة ، كانوا يطحنون الحبوب يدوياً، في عملية مضنية وطويلة ، ولذلك أن تخيل الكمية التي كان

يجب طحنا لنكتفي مناسبة زواج. كانوا يستعملون آلة حجرية تسمى (أرشى) أو (رحابي) والرحابة كما هي واضحة في الصورة السابقة (من متحف كرمة) فكرتها بسيطة. يؤتي بحجرين كبيرين مدورين، واحد أصم والأخر به فتحة نافذة في المنتصف، تثبت خشبة صغيرة في وسط الحجر الأصم ويوضع فوقها الحجر الآخر الذي به فتحة في المنتصف فتخرج الخشبة الصغيرة بتلك الفتحة، تم تثبت خشبة طويلة بعض الشئ في طرف الحجر العلوي. وتوضع الحبوب المراد طحنه في تلك الفتحة ثم يدار الحجر الأعلى باستمرار عن طريق الخشبة الفوquie. فيتم طحن الحبوب. وبعد وصول المطاحن الحديثة كانت الرحابة تستعمل في طحن الحبوب الأخرى غير الذرة والقمح. وكانت هناك طريقة أخرى لطحن الحبوب بدرجة ناعمة. وهي طريقة إستعمال (الجو). الذي كان يسمى في السودان الأوسط "المرحاكة". وهي حجر كبير مقعر توضع عليه الحبوب ويستعمل حجر أملس صغير لمرس الحبوب وطحنهما وصولاً إلى النعومة المطلوبة. والحجر الصغير تسمى الـ

(جون تود) أي الجو الصغير. تظهر في الصورة الرحابة والجو والجونتود والعنقريب والكى الصغير المعلق في الشجرة.



والذهاب إلى الطاحونة لطحن الحبوب كان برنامجاً مملاً لا يحبه الصبية. وكان يمكن لأي إمرأة في العي أن تكلف أي صبي للذهاب إلى الطاحونة. وكان هناك نظام دقيق متبع في طاحونة "مشروع شبة وتشي". قام عليه لفترة طويلة عمنا سعيد هاشم رحمة الله. فكان يحمل دفتره ويجلس تحت شجرة نيم قرب الجدول الرئيسي بجانب الطاحونة. ويسجل أسماء الواردين حسب وصولهم. ثم تبدأ الطاحونة بطحن القمح أولاً. أما من يريد طحن الذرة فكان عليه الانتظار حتى النهاية. وكان الناس يتسابقون إلى طحن ذرتهم بعد آخر كيس قمح مباشرة، لأن باقي القمح في الطاحونة يختلط بالذرة فيعطي دقيقاً أفضل طعمًا ونعومة. والعكس تماماً. فإذا حدث أن جاء دور القمح بعد الذرة يتتجنب الناس طحن قمحهم بعد الذرة مباشرة، وعندما تصل ومعك ذرة كان عمنا سعيد يقول لك (بابور أليل منجي) وذلك يعني أن عليك الانتظار لأن الطاحونة مشغولة بالقمح. وكان الحديث عمنا سعيد نكهة خاصة متأثرة باللهجة المصرية. فقد قضى سني شبابه بارض الكنانة. أما إذا حدث عطل في طاحونة شبة فكان الصبية يتجمسون للذهاب إلى بابور (تفي) في شبه، الذي يقع على مسافة بعيدة من شبة. فالمشوار ذهاباً وإياباً بالحمير في مجموعة، كان فيه نوع كبير من التغيير وزياره منطقة أخرى في الجزيرة.



كان هناك الـ (نافرينوق) وهو البيت الذى يخفون فيه العروس فتخضع هناك لترميمات كثيرة. يصلحون بالعطاارة ما أفسد الدهر. كانوا يجتمعون صغاراً وكباراً في بيت العرس (بلين نوق) . يأكلون ويشربون هناك ل أيام.

جلس البنات مع العروس في الـ (تقون تتو) وكانت أعتقد أن التقو هو البرش، ولكن صحجي البعض بان التقو هي المصطبة التي تكون أمام البيت، أما البرش فهو الـ (نيد)، بروش طويلة منسوجة من سعف النخيل والـ (هسد) وهي عيدان القمح، ومصبوغة بألوان مختلفة من (التفتة). تفتة (دسي) يعني أحضر وتفتة (قيل) يعني أحمر (هندبوسا) وهذا إسم غريب كان يطلق على الفتة البنفسجية. تسمى هذه البروش بالـ (فجري) أو (القلجي). يعلقون هذه البروش في غرفة تسمى الكجرة يكسون بها الجدران الأربع مع الأرضية. ويفصلون بين البروش الملونة ببرش أبيض، تجلس البنات هناك ويفنین طوال النهار. وتحول هذه الغرفة إلى غرفة النوم حيث يقضى العرسان شهر العسل، وكانت هناك فتحة مابين الحائط والسلف تسمى الـ (ناشي) وفي ليلة الدخلة كان الشباب وبالذات أصحاب العرس يحاولون المتأواة (البصبة) عبر تلك الفتحة، وبعد إنتهاء طقوس العروس تلف هذه البروش داخل بعض وتعلق في (الكبس) او تعلق في شيء كالملهي (أرل) ودائماً ما تعلق هذه البروش في (تنون نوق)، أي الغرفة الغربية، وهي عادة المخزن المجاور للـ (إيقن شا) أو (ديون نوق) أي المطبخ ويفصل بينهما الـ (أسمنون نوق) وهي بمثابة صالون نسائي، وكان هناك الـ (بتنة نوق)، والبيت هو وهي النند أو الدفعه في العمر (لا يوجد تأثير وتذكر في النوبية، وذلك ما يفسر عدم إجاده النوبة للتذكرة والتأثير عندما يتحدثون العربية كما ذكرت في موضع آخر)، وكان هناك الـ (إسكنرين نوق) أو (اسكنرين أوده) وهو البيت الذي يتزل فيه الضيوف القادمون من بعيد، والـ (تقون تتو) هي الغرفة التي كانت تحول إلى غرفة النوم، ويقضي فيها العرسان أسبوع شهر العسل، وقد تطورت العادات الآن وتغيرت، فما أن ينقضي الزواج حتى يختفي العرسان، فلا تجد لهم ثراً، وإذا سألت عنهم يقولون لك إما أنهم سافروا أو أنهم في اللغة، أي لفة؟، اللغة، يعني شنو؟؟ يعني ما تسأل، وهي فكرة إبتدعواها أو (أبدعواها) عندنا في البلد، اذ يخصصون بيتنا سريباً لا يعرفه غير المقربين، يقضي فيه العرسان بعض الوقت الهادئ، ويطلقون على هذا البيت مصطلح اللغة. أي لفة يا هداكم الله والبلد كلها لفات.

في الصباح الباكر من يوم العرس يذبح تور كبير، وتكون النساء كبريات السن قد قمن بقطيع كمية ضخمة من البصل، ثم تقوم نساء مشهود لهن بالمهارة بمهمة الطبخ، فيطبخن الـ (أويي سما) وبكة، التي هي البامية المجففة، بكميات كبيرة من البصل واللحام، فيأتي بطعم خرافي لا يقاوم، لا تجده إلا في بيوت الأعراس، يأكله الناس بذلك الأنجoid أو الأدرا البائت فلا يشعرون، ومن العادات التي

نذكرها أنه عندما ينتهي المأذون من عقد القران كانت النساء يقمن بما كان يسمى (أجلن كفرى) أو (اجلنا كفينان)، وفيها تقوم إمرأة بقفل الـ (أجل) وهو وعاء خشبي زاهي الألوان من قطعتين مجوفتين، توضع فيه عادة مكونات العطور الشرقية، وكان الأطفال يستخدمون ماكينة العلاقة القديمة وأعواد الكبريت لعمل بعض التجفيرات التي تصدر صوتاً كصوت



البنديقية. في مساء يوم الزواج يخرج الجميع رجالاً ونساء إلى الساحة . يشعلون الرتanan . والرتينه هي أداة الإضاءة أيام زمان ، كانت بمثابة الكشافات الحالبة في العفلات. وهي أكبر حجماً من الفانوس. ومن شدة إضاءتها وجمالها سميت بها البنات . كما في حكاية الرتينه بت سالم، الرتينه كان لها شريط أبيض ناعم جداً ومقاومة للحرارة فلا يحترق، يربط في مكان الإضاءة. وكانت تعمل بالسيربتو الأبيض. والسيربتو كما واضح من لفظه جاء من الأصل الإفرنجي لذلك السائل سريع الاشتعال (والكحول). سيريت spirit وليس بالجاز كما الفانوس. ثم عرفنا فيما بعد أن ذلك الشريط أو الشاش الأبيض نسيج مشبع باكسيد المريوم، وهو الذي يولد ذلك الضوء الساطع. يخرجون إلى الساحة ويبدون الـ (الأزقـ) وهو الرقص. يصفط الرجال في نصف دائرة والنساء في النصف الآخر. ثم تبدأ الحفلة بأن تنزل إلى الساحة فرقة مكونة من خمسة أو ستة رجال. يدخلون العلبة وهم يصفقون بكافوفهم صفقة متقطعة مصحوبة بمحممة منغمة من الحلوى. يسمى (البـمـيـ) وفي المقابل سرعان ما تنزل إلى الساحة فرقة من النساء كашفات الرأس مستعرضات بشعر منسوج طويل، ضفائر رقيقة طويلة غزيرة منسوجة من شعر صناعي يسمى (الجورـسيـ). ترقص النساء وبضرـبـينـ الأرضـ بأقدامـ حـافـيـةـ فيـ تـنـاغـمـ معـ صـفـقـةـ الرـجـالـ. ثم تبدأ المجموعتان في الإقتراب من بعض، فتشتد الصفقة وتنسـارـعـ. ويرتفـعـ صـوـتـ البـمـيـ. وتشـتـدـ ضـرـبـاتـ النـسـاءـ للـأـرـضـ. وفي التـحامـ سـرـيعـ وـخـاطـفـ يتمـ أـخـذـ الشـبـالـ. وهو ان تـنـثـرـ المـرـأـةـ شـعـرـهاـ عـلـىـ أحدـ الرـجـالـ "المـصـفـقـيـنـ". وتـنـتـهـيـ (عـشـرـةـ) الفـرـقـيـنـ لـتـدـخـلـ إـلـىـ السـاحـةـ فـرـقـتـانـ جـدـيـدـيـانـ. كـانـتـ هـذـهـ الفـرـقـ تـسـمـيـ الـواـحـدـةـ مـهـنـاـ (قرـبةـ) ولاـ أـدـرـيـ مـنـ أـيـنـ جاءـ الـإـسـمـ. وـعـنـدـمـاـ تـدـخـلـ السـاحـةـ فـرـقـةـ مـعـيـنـةـ مـنـ الرـجـالـ. تـدـخـلـ فـيـ المـقـابـلـ فـرـقـةـ مـعـيـنـةـ مـنـ النـسـاءـ. بـاتـفـاقـ غـيرـ مـعـلـنـ تـنـتـهـيـ مـقـاصـدـهـ بـإـنـهـاءـ الـحـفـلـةـ. وـلـمـ يـكـنـ هـنـاكـ فـنـانـ يـغـيـرـ ولاـ أـلـةـ تـعـزـفـ. بلـ صـوـتـ البـمـيـ كـانـ هـوـ الـمـوـسـيـقـيـ وـالـإـيقـاعـ. وـلـاحـقاـ صـارـ الرـقـصـ فـيـ الـعـفـلـاتـ مـصـعـوبـاـ بـالـأـغـانـيـ وـالـطـمبـورـ.

وكانت إحدى النساء تغـيـرـ (كلـكـيـةـ) وهي طـرـيـقـةـ لـلـلـقاءـ نوعـ منـ القـصـاـدـ الطـوـلـةـ فيـ وـصـفـ العـرـسـ وأـهـلـ العـرـوـسـ بـصـفـاتـ الـفـخـرـ وـالـاعـتزـازـ. وإـيـرـادـ التـسـلـسلـ الـخـاصـ بـالـتـسـبـ، وـكـانـ مـنـ الـذـيـنـ يـجـيـدـونـ هـذـاـ الفـنـ عـمـنـاـ جـعـفـرـ مـرجـانـ (جـعـفـرـ بـادـيـ). فـقـدـ كـانـ مـوـسـوعـةـ فـيـ الـأـسـابـ، تـوقـ حـرـمـهـ اللهـ دـونـ أـنـ يـوـثـقـ مـنـهـ أـحـدـ كـلـ تـلـكـ الـمـعـلـومـاتـ الـبـاهـمـةـ. وـالـكـلـكـيـةـ يـعـنيـ الـذـيـ جـاءـ مـنـ الشـمـالـ (كـلـوـ) فـهـيـ فـيـ الـأـصـلـ حـلـفـيـةـ الـمـنـشـأـ ثـمـ إـنـتـقـلـتـ جـنـوـبـاـ. وـالـكـلـمـةـ كـانـتـ تـطـلـقـ أـيـضـاـ عـلـىـ الـمـجـادـعـاتـ الـتـيـ كـانـتـ تـتـمـ بـيـنـ النـدـامـ فـيـ قـعـدـاتـ الشـرـابـ. وـهـيـ مـجـادـعـاتـ لـحظـيـةـ التـأـلـيفـ. وـإـيـضـاـ كـانـتـ هـنـاكـ كـلـكـيـاتـ فـيـ مـنـاسـبـاتـ الـوـفـادـ. رـثـاءـ مـنـظـومـ فـيـ شـكـلـ مـنـاحـةـ. وـكـانـتـ هـنـاكـ فـيـ كـلـ أـسـرـةـ إـمـرـأـةـ تـجـيـدـ هـذـاـ الرـثـاءـ وـتـقـومـ بـهـ. وـعـنـدـ أـهـلـ الـجـنـوـبـ الـنـوـبـيـ (الـدـنـاقـلـةـ) حـرـقـتـ الـكـلـمـةـ قـلـيلـاـ فـأـصـبـحـتـ (كـلـكـيـةـ). وـفـيـ هـذـهـ الـعـفـلـاتـ كـانـ الـرـجـالـ بـصـحـبـةـ الـعـرـسـ يـمـرـونـ مـنـ أـمـامـ صـفـ النـسـاءـ وـهـمـ (بـيـشـرونـ) (وـيـرـشـونـ) الـرـبـحـةـ. يـحـمـلـ كـلـ وـاحـدـ مـنـهـ (فـتـيـلـةـ) أـوـ قـارـوـرـةـ عـطـرـ يـفـرغـهـاـ فـوـقـ رـؤـوسـ النـسـاءـ. كـماـ كـانـواـ فـيـ هـذـهـ الـإـحـتـفـالـاتـ يـتـبـارـونـ فـيـ توـفـيرـ كـمـيـاتـ كـبـيرـةـ مـنـ شـرـابـ الـ(دـكـاـ)ـ أيـ الدـكـايـ. الـذـيـ يـصـنـعـ بـنـقـعـ التـنـرـ فـيـ الـمـاءـ لـعـدـةـ أـيـامـ، وـيـصـبـحـ مـسـكـراـ كـلـمـاـ مـرـوقـتـ طـوـلـ عـلـيـهـ. وـهـنـاكـ مـلـحـمـةـ نـوـبـيـةـ طـوـلـةـ وـقـدـيمـةـ (سـمـهاـ (سـرـقـدـنـ دـكـاـ)). سـمـعـهـاـ مـسـجـلـةـ بـصـوـتـ الـأـخـ محمدـ الـهـادـيـ حـسـنـ مـنـ

جزيرة صاي، كما أن العبري محمد وردي تحدث عن الدكاي بصورة شاملة في ملحمته (صواردن شو). وكان الناس يحتسون الدكاي دون حساسية، كالنبيذ العلال، أو كأنه فرض من فروض الإحتفال، ربما كان جزءاً من أدبيات إتفاقية البُقط أو (البَقِد). الشبيهة، التي عقدت بين العرب الغزاوة، وبين النوبة، الذين تمسكوا بعدهم في تناول الخمور، فسمحت الإنفاقية بذلك، وقد كانت جزيرة بدين جزءاً من المالك النوبية المسيحية القديمة التي سادت قبل الإسلام، إذ كانت تابعة لملكة كرمة الكوشية، ثم لملكة مروي، ثم أصبحت جزءاً من مملكة المرة النوبية المسيحية. كانوا يصنعون الدكاي في أواني فخارية (أزيار صغيرة تسمى الواحدة بـ (كُي) يضعون في هذا الكُي كمية من البلح مع ماء مغلي. ثم يحكمون قفلها تماماً. ويتراوونها ل أيام، فيختمر البلح هناك ويتحول إلى نبيذ. وكما قال الحسن بن هانى . . .

يستودعوها رواقيداً مرفقة - من أغبر قاتم منها وغبراء  
وكم افواهها دهراً علي ورق - من حر طينة أرضٍ غير ميثاء  
حيٌ اذا سكنت في دنها وهدت - من بعد دمدمة منها وضوضاء  
حيٌ اذا سكنت وهدأت، جاؤوا بهذه (الدنانى) أو (الكبيبات) وفتحوها، ثم جاؤوا ببعض (الأشميق) وهو ليف شجر النخيل . وغسلوها ووضعوها فوق الدكاي داخل الكُي ، ثم أتوا ببناء مصنوع من (الكُي) أي القرعة . (والنطق هنا يختلف عن الكُي الذي سبق ذكره ) . وهو فدح أو مغرفة (بمثابة الكأس) . بدخلها الساق في الكُي وبضغط على الأشميق فيرتفع الدكاي ويملا المغرفة . وفي هذه الحالة يكون الدكاي مصفى من الشوائب . ثم تبدأ عملية السُّقِيا (ومجرها اليمين) . أو في بعض الحالات كانوا يفرغون الدكاي في أواني كبيرة، يغرون منها النبيذ بأقداح (الكُي) فيستفي القوم وينتشرون، وتعتم البهجة، ويكثر الهرج والمرج (ما هو المرج ؟)، ويبدو انهم في هذه المسألة أخذوا بفقه ابو حنيفة، واستشهدوا بقول ابن الرومي . . .

أهل العراقي، النبيذ، وشربته - وقال العرامان المدامة والخمر  
وقال العجازي الشرابان واحد - فحلت لنا بين اختلافهما السكر  
سأخذ من قولهما طرفيهما - واشربها لا فارق الوازز الوزر  
أو ربما بقول الآخر:

وابو حنيفة قال وهو مصدق - فيما يبلغه من الأحكام  
شرب المثلث والمنصف جائز - فاشرب علي طرب من الأيام  
فسريوه علي طرب من الأيام وحبور، ودون أن يتلشهه أونتصفوه ، وربك الفغور. وكان هناك شراب آخر يسمى بالخشوة يصنع من الذرة أو الدخن، المعجنونة بالتمر، تطيخ عجنتها في قدور مفلطحة (مفرودها صاج في العامية السودانية). ثم يتم تقسيم العجينة تلك الى قطع مضغوطة ومكورة، بما يسمح باستخدامها لفترة طويلة دون ان

تعفن او تتلف، وكانت الحسوة تسمى بـ"شراب الفقرا" أي شراب علماء الدين لخلوها من الكحول، وكانت وجبة غذائية كاملة تعطي من يتناولها بعد تذويمها في الماء طاقة جسدية عالية .

من ضمن طقوس الزواج، كان علي العريس أن يذهب في سيرة إلى قبة الشيخ، وأن يطوف بالقبة جرياً سبعاً أشواطاً وخلفه الـ (د شاً) أي وزير العريس، يلهب ظهره بالسوط حتى يكمل الأشواط السبع، ثم تنزل السيرة . والسيرة تسمى (إرم). إلى النيل كجزء أساسي من إحتفالات الزواج، وكان العريس يحمل سيفاً يضرب به الماء في شكل صليب، أما في اليوم السابع من الزواج، ومع نهاية الإحتفالات كان تتم فعاليات الـ (كُلدن كاشي) وكلد هو العدد سبعة وكاشي يعني يمزح ويخلط ويسيوط، وكان ذلك الطقس يقام في غرفة العرسين (الحجرة)، وهي غرفة تزدان حواتها وأرضيتها بالبروش الملونة، وفي هذا الطقس كانوا يأتون بذبيحة يذبحونها عند باب غرفة العريس في سبيل الدم، وب يأتي العريس والعروسة ويقفزان أو ينطان (تلاشا) فوق الذبيحة سبع مرات، بعد ذلك تدخل العروس الغرفة فيتقاها العريس ويحملها ثم (يرمها) برفق وحثية على كومة من البروش، ثم يجلسان متقابلين وتضع إحدى السيدات خليطاً من القمح والكوشيه في يد أحد الطرفين فيتبادل العريس والعروس ذلك الخليط لسبعين مرات، والذي تنتهي عنده الجولة يضرب الآخر في وجهه بتلك الحبوب، وبعدها تشتعل معركة يتبارى فيها الجميع الضرب بالحبوب المخلوطة ويرشون بعضهم بالحليب، متفائلين بالبركة والخصب والنماء، وعند زيارة سيرة العريس للنيل كان من التقاليد المتتبعة أن يرموا سبعة تمرات في جوف النيل، ارضاء له، خوفاً من غضبه ورغبة في بركته، وربما كان هذا بدليلاً عن التقليد الفرعوني الذي كان يمارس في مصر بـالقاء أجمل فتاة في جوف النيل كل عام في إحتفال كالعرض يشارك فيه الجميع كما عبر عن ذلك أمير الشعراء أحمد شوقي:

ونجيبةٌ بين الطفولة والصبا - عذراءٌ تُشرِّبُ القلوبُ وتعلُّقُ  
كان الرفافُ إلَيْكَ غَايَةٌ حظًا - والحظُّ إِنْ بَلَغَ النَّهَايَةَ مُوبِقٌ

وكما كانت مناسبات الزواج تتم بمشاركة جماعية من جميع أهل الحي فقد كانت حالات الوفيات كذلك ، وكان في الماضي عندما يتوفى أحدهم يخرج الـ (كُبُر) وهو شخص حافي الرأس والقدمين ويربط وسطه بعمامته يركب على الحمار ويطوف البلد وهو يصبح معلناً وفاة (فلان او فلانة) وكان يقول مثلاً (أحمد ميمدنتو قايبفين هو) أو (فاطنة ميمد قايبفين هو) ، يذهب الكبدر بـ (دورن دوو) أي الطريق الذي يعتبر فوق الحلة، ويعود بـ (تون دوو) أي الطريق تحت الحلة، وفوق وتحت دائماً يقاس بعد الطريق عن النيل، فكلما كانت أبعد تسمى (فوق)، يطوف الكبدر معلنًا الخبر وكل من يسمع الخبر ينقله للآخرين، كان هذا في زمان ولي، قبل إنتشار السلكي واللاسلكي من أدوات الإتصال ونقل



المعلومات . وعند سماع الخبر يترك كل فرد عمله وينوجه في الحال الى مكان الوفاة أو المقابر . وفور وصوله يشارك الآخرين في العمل . وبنشاط وبسرعة ينتهي من تجهيز القبر ودفن الميت . في نفس الوقت تكون النساء كل واحدة في بيتها قد جهزت ما تيسر من الطعام وينذهب الرجال الى بيوتهم بعد الدفن ويحملون صواني الأكل الى المسجد حيث يجتمع الناس . وقبل وصول الطعام يقوم الشباب بإحضار شوال بلح ثم يقومون بتوزيع البلح على أواني نحاسية تسمى (السلم) ويجلس الناس في مجموعات حول هذه الأواني النحاسية ويفرضون البلح الى حين وصول الطعام . وفي الأربعين يقام تأبين الميت وتوضع ألف قطعة حصى ملمساء (كدا) في كوم يبدأ الصغار في الأخذ منه واحداً واحداً مع ترديد عبارة ( لا الله إلا الله ) وكلما انتهوا من الألف توضع علامات في العانط . يهبون هذا التسبيح لروح المتوفى . وخلال ذلك ، يقرأ من يعرف القراءة ما تيسر من القرآن . ويهدون ثوابه لروح المتوفى . ثم يذهبون الى القبر ويتساوون كوم التراب . ويغزون جريد النخل الأخضر على طرفي القبر . ويضعون الشاهد . وينثرن تلك العصي فوق القبر . أما إتفاقية (البقط) التي ورد ذكرها . أو معاهدة (البقط) كما تُعرف في التاريخ . فهي المعاهدة التي تمت بين المسلمين العرب في مصر من جانب ودولة النوبة من الجانب الآخر . وتعرف الإتفاقية أيضاً (بعد النوبة) . وهناك خلاف كبير بين العلماء والباحثين والمؤرخين العرب والمستشرقين والسودانيين . حول كلمة (البقط) ومعناها . يرجح البعض أن تكون كلمة (بقط) مشتقة من الكلمة اللاتينية (Pactum) . كما ذهب الى ذلك البروفيسور يوسف فضل . ويقول آخرون أنها ربما تعود الى كلمة قبطية أو يونانية . ويعتقد الكثيرون بأنها لفظة نوبية من "البقد" وتعني (البعض) أو القسمة . وقد ذكر ذلك الأستاذ الطيب محمد الطيب في كتابه "المسيد" . كما ذهب الأستاذ محمد إبراهيم نقد إلى نفس الترجيح في كتابه (علاقات الرق في المجتمع السوداني) . فالنوبة ينطقون البقط بطريقتين . (بقد) و(بقت) . ولا توجد (ط) في اللغة النوبية . وقد قصدت المعاهدة أن تُسمى بكلمة يعرفها وبعدها النوبة .

بعد فتح المسلمين لمصر علي يد عمرو بن العاص . بدأت المناوشات بين المسلمين والنوبة . وحدثت بعض التعديات النوبية علي صعيد مصر . فأرسل عمرو بن العاص قائده عنية بن نافع الفهري ليقاف هذا التعدى . وذلك سنة 641 م . وقد قاومت النوبة هذه الحملة مقاومة عنيفة . الأمر الذي أجبر المسلمين علي مهادتهم ومصالحتهم . وعلى الرغم من هذا الصلح الذي تمثل في المبادنة فإن المناوشات بين الطرفين ظلت تحدث بين أونة لآخر . حتى عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر سنة 645 م وتولىها عبد الله بن أبي السرح . وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان أرسل عبد الله بن أبي السرح عام 31 من الهجرة (652 م) جيشاً كبيراً لمحاربة النوبة وفتح السودان . فقاتله النوبة قتالاً عنيفاً . وكان النوبة يجيدون رمي السهام . فأصابوا عيون الكثيرين من الغزاة . حتى أطلق عليهم المسلمون (رماء الحدق) . والنوبة حتى الآن يعتبرون (فقا العين) عقايا رادعاً . فنحن نسمع حتى الآن إذا أخطأ أحدهم علي الآخر يقول (أي إِكَّا ماجائق فدكتيل) أو (أي تكا ماجتنق فدكتيل) يعني سوف أفقاً أو أقلع لك عينك . أو عندما يحرضك أحدهم علي الآخر فيقول لك (دمًا ماج تنق دُكتر) يعني امسكه وافقاً له عينيه . ولم يكن هناك

إنصار حاسم لأحد الجانبين . ورغم أن المسلمين أصابوا مباني العاصمة دنقا العجوز بالمنجنيق . إلا أنهم لم يستطعوا دخولها، وتکبدوا خسائر فادحة فعقدوا الهدنة مع ملك النوبة (قبيلدروث) (ملك المقرة) ، وبعد مفاوضات بين الطرفين توصلوا إلى اتفاقية أو معاهدة (البقط) . وهي ليست معاهدة إسلام ، ولا هي إعتراف بالدين الجديد . بل هي في مجملها معاهدة عدم اعتداء ، التزم الطرفان بمقتضاها إلا يعتدي أحدهم على الآخر . وقد ذكرت معاهدة البقط في العديد من مؤلفات المؤرخين . مثل المسعودي والمقرizi والبلذري وأبن عبدالحکم والطبری وغيرهم . غير أن المقرizi هو الذي أورد بنود الاتفاقية بالتفصيل في كتابه (الخطط) . ويوجب هذه الاتفاقية بلتزم النوبة بأن لا يدخلوا بلاد المسلمين إلا محتازين غير مقيمين.\* وأن يردوا كل أبق من عبد المسلمين وكل من يلجم إليهم من مسلم يحارب المسلمين ، وأن يحفظوا المسجد الذي بُني بوسط مدینتهم ، وأن يقوموا بكل نسخه وإسراره وتكريمه . وأن يخرجوا ثلاثة وستين رأساً يدفعونها لإمام المسلمين كل عام من أوسط رقيقهم غير المعيب ، يكون فيها ذكران وإناث . ولبس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم .

وفي المقابل يلتزم المسلمون بأن يدفعوا للنوبة ألف أردب من القمح ، وألف أردب من الشعير . وألف اقنين من الخمر ، ومن أصناف الملابس المختلفة مائة . كما يلتزمون بعدم دخول بلاد النوبة إلا محتازين غير مقيمين.\* وقد كتب المعاهدة عمر بن شرحبيل سنة إحدى وثلاثين من الهجرة . وقد تعرضت المعاهدة لكتير من التعديل في بنودها وفقاً للعلاقة السياسية بين ملوك النوبة وحكام المسلمين علي مر الزمن . كما أن أهل المقرة رفضوا العمل بها في فترات كثيرة . وقد استمرت ستمائة سنة على وجه التقرير . أي حتى عصر الماليك في مصر . وكما فعلت المسيحية وتعاملت مع الكوشيين بتسامح كبير فقد فعل المسلمون ، والإتفاقية كما وردت وكما تم العمل بها جعلت من كوش دولة مستقلة سياسياً ودينياً عن دولة الإسلام . فلم تكن كوش دار حرب وفي نفس الوقت لم تكن دار سلام . واحتفظ سكان كوش بالحق في ممارسة شعائرهم والتمسك بعاداتهم وتقاليدهم ماداموا يراغبون بنود المعاهدة . ولم يكن كل ذلك مأثوراً لدى المسلمين العرب في البلاد الأخرى التي فتحوها .

\* (الجمل التي وضعـت تحتـها خطـ سوفـ أتناولـ العـدـيـثـ عـهـاـ فـفـرـةـ لـاحـمـةـ).

بحيرة فيكتوريا (Victoria) وتعرف أيضاً باسم نيانزا و أوكريوي ونالوبي، باللغات المحلية، أما إسم فكتوريا فقد أطلقه الرحالة البريطاني جون هانينق سبيك (John Henning Speck) الذي يعتبر أول رحالة أوربي يصل إلى البحيرة. وكان ذلك في سنة 1858م، أما أول من ترك خريطة دقيقة للبحيرة فقد كان الرحالة العربي المعروف الشريف الإدرسي في سنة 1160م، وتعتبر البحيرة ثانية أكبر بحيرة للمياه



العذبة في العالم من حيث المساحة ، والأكبر في أفريقيا ، كما أنها أكبر بحيرة إستوائية في العالم ، تبلغ مساحتها 68870 كيلومتراً مربعاً مقسمة بين كينيا (6 في المائة)، وأوغندا (45 في المائة) ، وتنزانيا (49 في المائة) ، وتوجد في بحيرة فكتوريا أهم مصايد البحيرات العظمى الإفريقية ، كما تضم البحيرة حوالي 3000 جزيرة ، وهي تقع على ارتفاع 240 قدمًا فوق مستوى سطح البحر ، ويبلغ طول البحيرة حوالي 337 كيلومترًا ، ويبلغ أقصى إتساع لها نحو الـ 240 كيلومترًا ، و تستمد البحيرة مياهها من العديد من الأنهار الإستوائية المنحدرة إليها من الغرب والجنوب والشرق ، وأهم هذه الأنهار هو نهر كاجира (Kajera) الذي ينحدر من الجهة الغربية ، أما تصريف مياه البحيرة فيتم من الناحية الشمالية ، ومن هناك يبدأ النيل الأبيض ، بعد مغادرة بحيرة فيكتوريا، يعرف النيل في هذا الجزء باسم نيل فيكتوريا ، ويستمر في مساره لمسافة 500 كم (300 ميل) مروراً ببحيرة كيوجا - حتى يصل إلى بحيرة ألبرت ، بعد مغادرته بحيرة ألبرت،



يعرف النيل باسم نيل ألبرت ثم يصل النيل إلى السودان ليعرف عندها باسم بحر الجبل، وعند اتصاله ببحر الغزال يمتد النيل لمسافة 720 كم (445 ميل) ميلًا يعرف فيها باسم النيل الأبيض، ويستمر في مساره حاملاً هذا الإسم حتى يدخل العاصمة السودانية الخرطوم.

أما النيل الأزرق فينبع من بحيرة تانا، وتعرف أيضاً باسم تسانا، الواقعة في مرتفعات إثيوبيا بشرق القارة ، وهي أكبر بحيرات الحبشة وتقع في شمال غرب هضبة الحبشة. على ارتفاع يصل إلى حوالي 6000 قدم (1840 مترا ) ، فوق سطح البحر. بينما تصل مساحتها إلى 3673 كيلومتراً مربعاً. أي ما يعادل 1418 ميلاً مربعاً، غير أن هذه المساحة تزداد في موسم المطر الغزير، حيث يرتفع مستوى مياه البحيرة وتغطي مساحة أكبر من السهل الواقع في غربها وتعرف بسهل فجارات وتحتل مساحة منطقة تصريف البحيرة. أي المنطقة التي تنحدر مياهها إلى البحيرة حوالي 11655 كيلومتراً مربعاً (4500 ميل مربع) . وتصب في البحيرة عدة أنهار، أهمها نهر "ماجاش" و "دمبرا" من جهة الشمال وهرا "رب" و "جومارا" من جهة الشرق، ونهر أبيا الصغير من جهة الجنوب.

صورة من الفضاء لبحيرة تانا يشكل النيل الأزرق نسبة (80 إلى 85) في المائة من المياه المغذية لنهر النيل في موسم الصيف بعد الأمطار الموسمية على هضبة إثيوبيا ، بينما لا يشكل في باقي أيام العام نسبة كبيرة حيث تكون المياه فيه ضعيفة . وبينما يطلق عليه اسم (النيل الأزرق) في السودان. ففي إثيوبيا يطلق عليه اسم (أبياتي) ويستمر هذا النيل حاملاً اسمه السوداني في مسار طوله 1,400 كم (850 ميلاً) حتى بلتقي بالشرع الآخر - النيل الأبيض - عند الخرطوم في المنطقة التي تحمل اسم المقرن (الاقتران النهرين فيها) ليشكلا معاً (النيل) حتى المصب في البحر الأبيض المتوسط.

طول نهر النيل الإجمالي حوالي 6,695 كم ، وبذلك هو أطول أنهار العالم، ويفعل حوض النيل مساحة 3.4 مليون كم مربع، ويمر بعشر دول إفريقية يطلق عليها دول حوض النيل . وهو مسمى يطلق على 10 دول إفريقية يمر فيها نهر النيل . سواء تلك التي يجري مساره مختلفاً أراضيها، أو تلك التي توجد على أراضيها منابع نهر النيل، أو تلك التي تجري عبر أراضيها أنهار المغذية لنهر النيل . وهذه الدول العشر هي أوغندا . إثيوبيا . إريتريا . السودان . الكونغو الديمقراطية . بوروندي . تنزانيا . رواندا . كينيا . مصر . وبلغ عدد سكان هذه الدول 336 مليون نسمة. يعتمد معظمهم على النيل مصدرًا للحياة. بعد اقتران النيلين الأبيض والأزرق ليشكلا معاً نهر النيل لا يرفرفه بال المياه إلا نهر واحد هو نهر (أتبه) عطبره . والذي يبلغ طول مساره 800 كم 500 ميل تقريباً . وينبع هذا النهر من المرتفعات الإثيوبية أيضاً. شمالي بحيرة تانا، ويحصل بنهر النيل على بعد 300 كم (200 ميل) شمال مدينة الخرطوم ، ويسمى هذا النهر في الجانب الإثيوبي بنهر (تكاري). يواصل النيل سيره في اتجاه الشمال ولكن له إنحناءة عظيمة في منطقة أبو حمد يكاد معه أن يقف عائداً نحو الجنوب. ولكنه يستعيد سيره للشمال عابراً الحدود المصرية السودانية إلى أقصى الشمال المصري ليتفرع إلى فرعين: فرع دمياط شرقاً وفرع رشيد غرباً، ويكونان فيما بينهما دلتا النيل . وبصب النيل في النهاية عبر هذين الفرعين في البحر المتوسط . ومن المعروف أن النيل هو النهر الوحيد في العالم الذي يجري من الجنوب إلى الشمال تبعاً لميلان الأرض. (راجع British Encyclopedia).

من أي عبد في القرى تتدفق  
وبأي كف في المدائن تتدفق  
ومن السماء نزلت أم فجرت  
من عليا الجنان جداً لا تترقرق  
وبأي عين أم بأية، مزنة  
أم أي، طوفان تفيف وتفهق  
أحمد شوقي

هو النيل. ليس إلا. فمرحي بالجلال المقيض. سليل الفراديس. نبيل موفق في مسابه. كما أفاد التيجاني يوسف البشير رحمة الله . ولكن أين منا النيل، إنه بعيد (إلا من أمانينا). النيل. أطول شرائين الحياة علي سطح البسيطة.

من أي عهد في القرى تتدفق؟، من عهود سجينة يا أمير الشعراء، منذ الأزل، حُلُق مع الزمان والمكان، تحسه كانناً حيَا، وهو كانَ حي، بل كان به تحيا الكائنات، (وجعلنا من الماء كل شئ حي)، خرج من منابعه غداة يوم، مبكراً خرج، شفر عن سعاديه، ثم هجر وسار وهجر، وما زال يسir ويهاجر، للم في طريقه أطراfa كثيرة يستقى بها على المحن، ويواجه بها صعوبة الطريق ووعناء السفر، إمتنى صهوة نفسه وإنطلاق شماًلاً وهو يسرع الخطى، حدد غايته وعرف مصيره، اتخد مجراه عجباً، وإنساب في قوة وإصرار، (ربما عاكسه الخصر قليلاً فمال) يميناً أو شمالاً، أو ربما التف عاندأ نحو الجنوب لتفادي بعض العوائق، ولكن سرعان ما يعود وينطلق نحو دلتاه في صبر جميل، نعم، هو النيل، الأفي الغرافي المقدس، يسir ويندأ وهو ينفرغ علي الشاطئين جنة من رضابه العذب، علي كتفيه قامت حضارة الإنسان الأولى، تحت ثيابه يختى تاريخ الشرق،

وبأي نول أنت ناسج بربدة  
للضفتين جديدها لا يخلق  
تسود، ديباجا إذا فارقتها  
فإذا حضرت إخضوض الإستيق  
في كل آونة تبدل صبغة  
عجبًا وأنت الصابع المتألق

نعم، بنول الجمال والكرم، بنول النعمة الخيرة، والعطاء غير المحدود ، ينسج للضفتين بربدة خضراء، تتجدد كل يوم، هناك حيث تمر أحلام ليالي كيلوباترا الجميلة . تطوف بالمح، فيبني ، ويغنى الشاطئان . هناك يفوك كل فؤاد . ويشدو كل لسان، هو النيل، هناك في شاطئي النيل . تتحدث الرياح مع النخيل . تهمس لها بسر الحياة . فتثمر رطباً جنباً، هناك يسبح الطير ويشرح الحب للخمير . هناك علي امتداد شاطئه الفشيب، تنتشر العذاري ، تعرف من ماءه العذب السلسيل . هناك حيث أنين السوق يحرك الأشجار وبهيج الهوى . فهتف القلب بلحن نبيل .  
نعم، هناك في شاطئ النيل لو إنفردت بنفسك فلا بد أن تسمع أصواتاً غامضة، تأتيك من الماضي السحيق، زغاريد ملائين الأغواص، أشباح ألف الفتنيات اللاذى دفعن حياتهن ثمناً كقرابين للنهر "الله". صور الغرقى من عصر نوح . هناك تتشم رائحة النيل المضمخة بمسيرة مئات الآلاف من السنين، هناك عندما يهبط المغيب فوق الماء والأسجاج ينتشر في الجو حلم هادى، في مثل ذلك الجو ثرثر أنيس ذي مع شلته في عوامة نجيب محفوظ فوق النيل، هناك قرر صاحبنا أنيس أن الزمن التاريخي لا شيء بالقياس بالزمن الكوني، وعليه فكلنا معاصرلون لأدم وحواء، هناك عندما يتقدم الليل تبدو الأشياء نصف واضحة، تبين وتختفي، بين النور والظلام، لا تستطيع أن تتبين إذا كان النيل ساكناً أم أنه متحرك، إحساسك بغيث ثم يتعى، وكأنك في حلم أبدى، هناك يسري بك الخيال، ويتفرق ذهنك، تخفف من عقد الدنيا فتحس وكأنك ولدت للتو، هناك تعيش الطبيعة في ربيعها الدائم، ((كل الحياة رببع مشرق / في جانبيه وكل العمر رباع)). نعم، وماذا أيضاً يا جماع، أنها العبقري الحزين، ((ما من طول السري يوماً

وقد دفنت / علي المداجن أزمانٌ وأزمان)). ونعم مرة أخرى، زدنا من هذا القول العذب.((وللخمائشدو في جوانبه / له صدي في رحاب النفس رنان)), ليس إلا مثلك أن يحدتنا هذا الحديث البديع، الذي له صدي رحيب في نفس كل عاشق للنيل، فهناك الجمال في شرخ الصبا. ملعبه سهول نضيرة، ووشاحه الشفق الزاهي، هناك علي شاطئ النيل، ما أجمل الغروب، تتحول الشمس الوهاجة تدريجياً إلى شفق، إلى لوحة متداخلة الألوان، في تلك اللحظات تحلو مراقبة الليل وهو يتسلل بخطاه الوئيدة، في تلك اللحظات تتحقق من ولوح الليل في الهاجر.

أنت الدهور عليك مهدك متزع  
وحياضك الشرق الشهية دفق  
تُسقي وتنعم لا إناؤك ضائق  
بالواردين ولا خوانك ينفق  
والماء تسكبه فيسبك عسجاً  
والأرض تغرقها فيحيا المفرق

أي تعبر وأية إجاده، (الأرض تغرقها فيحيا المفرق)، هو كذلك، يفيض النيل ويُغرق الجروف، ثم ينسحب إلى مجراه فيبيدا الناس عندها ما يسمى (التاقري) زراعة الجروف وهي ما تزال رطبة، يزرعون إله (الأشرنكي) اللوببيا، والـ (كوشي) الذي لم أعرف إسمه بالعربية رغم انه من قبيلة الشعير، والـ (فتـو) الدخن، والـ (أكتندي) الترمـس، وبعض المحاصيل الأخرى. وهذه الزراعة لا تحتاج إلى ري، فلا تسقي بل يكتفي الزرع بماء الطمي، وفي زراعة الجروف كانوا يستعملون إلة إسمها السلوكـة (فتح السين وتشديد اللام المضمومة) إلة من الخشب حدباء مقوسـة ذات رأس مخروطي تستخدم لإحداث حفرة في الأرض يوضع فيها (التيراب) وهو التقاوى أي البذور، والسلوكـة والساقـة كانت تطلق على الأرض المعينة والمملوكة لأسرة معينة ، كان يقولوا (سلوكـة ناس فلان ) أو (ساقـة ناس علان).

دين الأوائل فيك دين مروءة  
لم لا يؤله من يقوـت ويرزقـ  
جعلوا الهـوي لك والوقار عبـادة  
إن العبـادة خـشـية وتعلـقـ.



لم يكن كثيراً على النيل أن يعبدوه، إذ كانوا يعتقدون أن النيل ينبع من بين أصابع الآلهة ، وأن ماءه يهبط من السماء ، وقد كان النيل مصدر الرزق الأول والأخير . وفيضاته العارم شكل لغزاً مخيافاً لإنسان وادي النيل، وعن طريق عبادة النيل إنما عبد ذلك الإنسان آلهة النيل، نيلوس وهابي وبابة، وكان لهذه الآلهة ملائكة يسكنون في

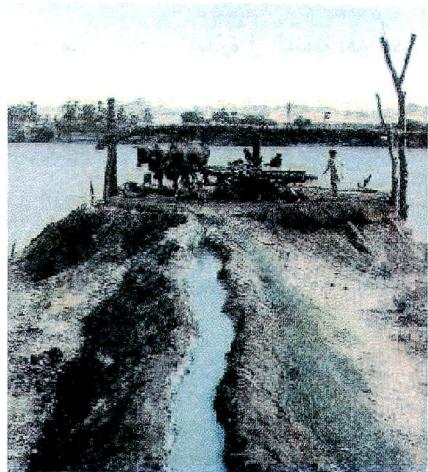
النيل، وكان في إمكان الملائكة المسيطرة على حياة الناس، فكان من الطبيعي، والوضع كذلك، أن يتعلّق سكان الوادي بالنيل وبخسونه في نفس الوقت، رغبة وريبة، وكان لمسكان الجزر رهبة أكبر، فقد كان النيل بالنسبة لهم هو مصدر الخير كلّه، عليه اعتمادهم، عليه يتوقف وجودهم نفسه، يحيط بهم من كل جانب، لواه ما كانوا، وكما هو مصدر الخبر فهو مصدر الخوف، هادئ هو، كالشيخ العمر، عطوف نبيل، يفيض بالخير دون حساب، يعطي ويعطي، يسقي ويطعم، ولكنه عند الغضب يثور كطالب الثأر، يتعول إلى وحش كاسر، يفرق الديار ويختلف الحقول، ولكنه سرعان ما يتراجع، فيتسامع الناس معه، ينسون له ما فعل، فهم دونه لا شيء، كان سكان جزيرة بدین كما سائز ساکنی الجزر النيلية، يستقون من النيل مباشرةً، يمهدون لأنفسهم طريقاً متدرجةً على جزء من (الأبل) وهو الشاطئ، يسمى هذا الجزء بالـ (أني) للتسهيل عملية النزول والطلوع لأخذ الماء.

تنزل البناء بهذا الأتي إلى الماء وهن يحملن جرادل من الصفيح، (تحولت إلى جرادل بلاستيكية ثم وصلت الماء إلى البيوت جرياً على الماسبر)، يملأن الجرادل بالماء ثم يضعن فوق رفوفهن شنا يسمى (التفل) وهو وسادة دائمة من القماش المبروم، تمتص ثقل الجرجل عند وضعه على الرأس وتحفظ توازنه، يسكن الجرجل بيد وتبقي اليد الأخرى طلقة، يتبعثرن في مشية إستعراضية فيها من الدلال غير قليل، يصلن البيوت ويفرغن الماء في الأزيار حتى تمتلئ، أما البعيدات من النيل فكن يملأن من الا (مترى) أي الجدول، وكان برنامجاً عصراًوباً فيه بعض التزهـة والفسحة، كان ذلك يا صاحجي على أيامنا في الزمن الجميل، قبل ان تحول الجزيرة الوداعة إلى شبه مدينة إمتدت فيها مواصلات المياه إلى البيوت مصحوبة بكل ضجيج المدن وأفاتها، حتى الكهرباء إمتدت إليها، وكان الظلام جزءاً مهماً من جو الجزيرة ، إذ يعطي لليل سره المخيف والأمن في الوقت ذاته، وأنت تسير في الظلام ، ذاكرتك تحفظ الطرق والمنعطفات ، ويعزرك إحساس الإنسان الأول ، الخوف، ذلك الإحساس الغامض الذي يزيدك مكون الليل رهبة، هو نفس الإحساس الذي أدي بالإنسان الأول إلى إخلاق الآلهة، في تلك اللحظات تظهر لك أشكال غير مكتملة، تقلب الأشجار إلى مخلوقات متحركة، وبالذات أشجار (البيد) أي العشر ، تعبّر في ذاكرتك حكاوي الذين ساقهم الجن إلى الغربات أو الـ (ذكي نلو)، أي التل الرفقي في أقصى الجزيرة من الناحية الشمالية، قرب الشلال، كانوا في الماضي يذهبون إلى هناك في المناسبات وينبحون الذبائح، وكان طفساً متعلقاً بشئ مقدس، ويقال أن المنطقة التي تقع بين حركة حي مشارف بدین ساب القديمة كانت خلاة مسكنة بالجن، ويعك عنها اساطير كثيرة تتشعر لها الأبدان، يسيطر كل ذلك على احساسك، فيسرح خيالك في تلك الأساطير عن الجن والشياطين التي تخج للناس في شكل الحيوانات، أو في شكل إنسان بأرجل حيوانات، أو تتوهم أنك ترى نيراناً تشتعل وتنطفئ، أو تتوهم أن هناك أصواتاً تنادي اسمك، أو توسرس في أذنيك، فتتألفت ولا تجد أحداً، أما في الليالي المقرمة فكان ليل الجزيرة يتحول إلى شيء آخر، إلى طقس ساحر، صامت وناطق في نفس الوقت، في الليالي المقرمة تبدو الطبيعة أكثر قرباً منك، تبدو الصور أكثر ضياءً، ويعزرك شعور دافٍ، ويتمالكك إحساس بالتسامع، فتحس بالتصالح مع نفسك ومع من أساء إليك، لو وجدت عدوك لعائقته، ولو وجدت من تحب ليبحث له بما تتحفظ في قوله هارا، وربما أقيمت

القبض على نفسك وأنت تغفي، ما أجمل ليالي القمر، هي جميلة أينما كنت، في الطرق، فوق التلال الرملية، علي شاطئ النيل، هي جميلة حتى لو إستلقيت علي سريرك في (سمن تو) أي (حوش) البيت، تحمن بالسرير بارداً ناعماً، تسامرك الفيوم القليلة التي تمر وهي تشكل لوحات رائعة، يخلب لك منظر النجوم المبعثرة في السماء بغير نظام، يتركز نظرك علي نجمة صغيرة، تحمن وكأنها تلوح لك بالتحية، ثم فجأة تتحرك نجمة أخرى غاضبة، تتنطلق كسمة مشتعلة، تضي السماء لجزء من الثانية وتنطفئ، تلك هي سماء الجزيرة، بقمراها ونجومها، أما هنا، في مدن النيون، فالقمر حزين باهت اللون، لا يحتفي به أحد، ربما كنت أنا الوحيد الذي أبحث عن القمر في هذه المدينة، أبحث عنه، فهو صديقي القديم، بيبي وبينه ود طارف وتليد، كنت أنتظره إذا غاب، في شوق عارم، في فجر الطفولة أحبيته، وفي مقتبل الصبا تعلقت به، ومع طوالع الشباب عشقته، هو صديقي القديم، وكلما امتد عمر الصداقة تحولت إلى شجون، إلى ذكريات، تهرب إليها كلما ألمت بك المحن، هو مخزن الأسرار، هو دفاتري القديمة، هو القمر، في طرف السماء، دانما هناك، يغيب وهيل، ينتظرك، يتبعك أينما ذهبت، أفتح النافذة، وأنظر إليه، أبحث عنه كما أفعل، فانا أبحث عنه، وأسائله عن ذكريات أثيرات، شهد عليها في السنين الخوالي، وإذا تذكرت السنين وخانت، فالقمر وفِي، وهل يستطيع القمر أن ينكر أو يخون؟.

### . ٣.

عاش سكان الجزيرة ( وهو حال ينطبق على ديار النوبة كلها ) في تواافق إجتماعي عجيب، خلطة، بعض نوبية وبعض عربية وبعض زنجية، عاشوا في رغد من العيش وسعة، كان اعتمادهم الكلي على الزراعة، يزرعون أرضهم الخصبة في تقسيم شتوي وصيفي، كانوا يحفرون الأرض بسواعد رجال ذوي بأس وشدة، يدفون التيراب أو التقاوい (البنور) ويغطونها ويسوقونها بمحبود يدوى قاسٍ لو قام به (حناكيش) هذه الأيام لرهقت أرواحهم.



كانت الساقية هي ماكينة الزراعة الرئيسية لسكان الجزيرة، وهي فكرة قديمة إسمرت حتى عهد قريب، فكرة عبرية

لجلب الماء من النيل الى الزرع، ومن الصعوبة بمكان شرح فكرتها، ولكنها قائمة علي فكرة الحلقات ذات التروس، كانت تدار عن طريق بقرتين مربوطتين إلى الساقية وصي يجلس خلف البقرتين على مقعد يسمى "النُّكْمُ" ، صي يسمونه (اروتي أو أورتي) وأورتي هذا من (أوري) او (أورر) وهي الزراعة، تدور البقرتان ومن خلفهم الصبي في دائرة كاملة ، وتدور الـ (فيشينجي) جمع فيشي (القواديس) وهو الأوانى التي تحمل الماء في دائرة رأسية كاملة لتنقل الماء إلى بداية الجدول، في بعض الحالات كانوا يربطون ثوراً واحداً بدلاً من البقرتين وكان يسمى (أرقوق)، وبينما تسمى الساقية (كلي) عند الدنائلة، تسمى (أسكلي) عند المحس، وواضح أنها نفس التسمية، فالكلمة أسكلي مكونة من كلمتين، (أسي) و (كلي) (أسن كلي) أسكلي.

كانت هذه السوافي تبدأ عملها في الـ (شايبق) أي الفجر المبكر، وتظل تعمل حتى وقت متأخر من الليل، وكانت حلقاتها وتروسها تصدر أنغاماً موسيقية شجية، كأنها تستعطف الرزق، فيأتيها رغداً، كان يوم العمل في الري بالساقية ينقسم إلى (فجرن تقي) أي القسم الصباحي ، (وذكرن تقي أو دهرن تقي) أي الذي يبدأ بعد الظهر، كانت زراعة السوافي مباركة ، يزرعون مساحة ليست



كبيرة، فتفتح الأرض مواطن الخصوبة ويفغموها بالماء فتهتز انتشاء، وتحبل بالبذور، ويعم من الخير ما يكفي، فيأكل البشر ويأكل الطير وتأكل الهائم، وتمتلئ الأثداء والأضرع، فيحليبون منها حليباً كامل الدسم، يستخرجون منه السمن، يغلونه ويشربونه، ويأكلون القراصة بالسمن، صحة وعافية، لا كلسترون ولا حبس بول.

كان الـ (السو) اللبن الطازج ومشتقاته مع الـ (إلى) القمع (والفُنُو) الدخن والـ (فني) البلح والـ (أرجي) البليلة والـ (همرين) كابد ( وهي قراصنة بالعجوة، أو جنقرة كابد Gangra Kabid تؤكل باللبن، والـ (كرمن قري) مديبة الحلبة . والـ (جدى قري) يتكون من عطرون وقمع ولبن ، ثم قراصنة الملوحة (التركين) وهي أكلاتي المفضلة ، كان ذلك هو الأساس الغذائي للسكان، وكان المزارع يأتي بالحليب حين عودته إلى البيت مع المغرب ، فتقوم النساء بـ (شك أي خضن الحليب لاستخراج الزبدة بوضع الحليب في (السعن )

وهو ما يسمى بالنوبية (بينج) ثم تغلي تلك الزبدة فتحول إلى سمن ثم يعبأ السمن في زجاجات للبيع أو للإستعمال البيتي ، أو إرسالها كهدية للأهل في المدن ، أو حفظها للمساهمة بها في كشوفات الأعراس، ويتحول الحليب بعد استخراج الزبدة إلى روب (سو نري) وهو يُشرب أو يستخدم للأكل بغمس (الكبا نري) أي الكسرة البلدية فيه، وكان محصول البلح هو الأساس الاقتصادي، ويقيس الناس في غناهم بعدد النخلات التي يمتلكونها، والنخيل والهائم كانت هي مفتاح الحل في لحظات الضيق المادي.

وفي تقسيم العمل كان هناك "البصير" الذي يصلح أعطال الساقية، و"الصمد" الذي يحدد توزيع المياه وحصة كل مزرعة منها، والحداد (التيد) الذي كان يصلح ويصنع الأدوات الزراعية والمتنزية، مثل الترب (المجل) والتوري (فأس عزق الأرض والتي حرفاها أهل السودان الأوسط إلى طورية) والكارندي (الجرافاة اليدوية الخشبية، والألد (الفأس) والكندي (السكن)، وهناك رئيس المركب، وإمام الجامع أو شيخ الخلوة أو المرأة التي تملأ أزيار السبيل. كل هؤلاء كان لهم نصيب معين من محصول كل حقل من القمح والذرة، وكان المزارعون يتعاملون مع شيخ الخلوة وإمام الجامع بكثير من التقدير والإحترام، كانوا لا يدخلون عليهم بإنتاج مزارعهم، وعندما تلد البقرة كانوا يعطون الشيف الدفعية الأولى من (السو) الحليب، فتجد بيوت (الفقرا) عامرة بالمنتجات الزراعية رغم أنهم لا يقومون بأي عمل زراعي ولا يفهمون فيه شيئاً، ولكنهم كانوا يوفرون الأكل للعاشرين في المساجد في كل الأوقات، وكانت الساقية مؤسسة أو شركة لها قوانينها ولوائحها، كان الصمد هو المستول الأول، والصمد هو رئيس مجموعة المزارعين المنضوين تحت ساقية واحدة ، أو رئيس الساقية كمؤسسة، أي رئيس العمال الزراعيين ، وهو الذين يطلق عليهم اسم (الترابلة) المفرد بالنوبية (تريرا) والجمع (تريري)، وعادة ما يكون الصمد كبير السن، وأكثر خبرة بأعمال الساقية، وأكثر نصبياً في أراضي الساقية في بعض الحالات، والصمد هو المسؤول عن كل ما يتعلق بالساقية من صيانة وتوزيع أعمال على



المزارعين، ويشرف الصمد أيضاً على جمع المحصول وتوزيعه. كما أنه المسؤول لدى السلطات المحلية في ما يتعلق بالساقية من ضرائب.

أجزاء الساقية (اعتنى لاستحالة ترجمة معظمها لعدم وجود مقابل لها بالعربية:

ديو - أرقدنتود - سلقدى - توندى - سندقى . إسلنق . فيشي / بيشي . مِشى . تُكُم - كرب - ساب - أَسْنَى - أَسْكَاق - بُقْدو . سوي - قُرمدي - الْوَيل . كُرْانج . جومب . أَلس - أَفْلو . قردي . سبلو . دلو - شيقر . كودي - دُنقر و كان لصبيان الساقية (الأورتي) أغان يتزمنون بها لطرد الملل والنعاس والخوف من (الدُّقُر) والـ (أَمْن دال) و (السُّرْنَق جدي) وهي كائنات عدوانية وشرسة تخرج من النيل وكان البعض يؤمن بها لدرجة أنهم بعض الأحيان كانوا يطلقون أرجلهم للريح هرباً من هذه الكائنات، عندما يخيل للواحد منهم انه سمع وشوشة او دمدمة. ولا أنسى أني والحبيب

محى الدين عبدون كنا نصبطاد السمك مرة،

وكان الوقت بعيد المغرب، وكان الموسم موسم فيضان، وبينما نحن مشغولون بتجهيز (الجكار) أو السنارة، إذا بقطعة كبيرة من الطين تقع في الماء نتيجة النخر (الهدام) وتحدث صوتاً داوياً. وكان هو في الجانب الأقرب من الصوت، وفي اللحظة التي التفت فيها رأيه وقد أطلق ساقيه للريح ، وكان



محى سريع العدو. ولم أفهم أنا ما حدث. فتجمدت في مكاني من الخوف. وزحفت إلى أعلى قليلاً قليلاً ثم جريت. وعندما وصلت منزلهم وجدته أمام الباب قلقاً. وعندما رأي جاءني متسانلاً (منامنو). يعني كان شنو؟. ورغم أنني كنت أستطيع البقاء على الشاطئ منفرداً بالليل إلا أنني في تلك الليلة أصبحت بخوف بالغ، وبقيت تلك ذكري لم أنسها.

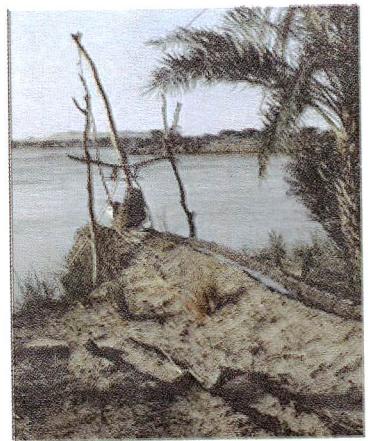


هذه الصورة النادرة (لبرج) خشبي يسمى (هيلو) كان يُبني وسط الزراعة على ارتفاع ثلاثة أو أربعة أمتار وفيه مكان (منصة) لجلوس شخص أو أكثر ، تمتد من المنصة حبال طويلة إلى أطراف المزرعة في كل الاتجاهات وهذه الحبال تعلق بها علب فارغة بداخلها بعض الحصى أو الحجارة الصغيرة ، يقوم الشخص الجالس بهز هذه الحبال بصورة مستمرة فتحدث صوتاً يبعد الطيور عن الزراعة.

كانت الزراعة تقوم على نظام الري النبوي الذي كان يعتمد على السوافي والشواطيف، وتسمى الساقية (أسكلي) كما سبق الذكر، وانتقلت هذه الكلمة من (عندينا) عكس التيار إلى ضفاف نيل الخرطوم مع النوبين الذين سكنوا جزيرة توتي، وحتى أواخر سبعينيات القرن الماضي كانت هناك ساقية على الطراز النبوي على شارع النيل في الخرطوم على مقربة من نقطة انطلاق عبارة/ معدية توتي، قبالة المتحف القومي، وتلك العبارات تسمى في السودان "بنطون"، وهي مأخوذة من الأصل الإنجليزي *pontoon* وقد كانت كامل المنطقة الممتدة من الموقع الحالي لوزارة الصحة حتى موقع قاعة الصدقة في الخرطوم تعرف بـ (سوافي المحس) ويبدو أن كلمة أسكلي تحولت إلى "أسكلا". ولعل ذلك مردود أن رصيف تحمل الركاب في العبارات والزوارق من وإلى جزيرة توتي كان هو المزلقان الذي يقود إلى تلك الساقية (الأسكلي)، ثم كان ما كان من أمر الذي (من الأسكللا وحلاً وقام من البلد ولي). عندما ذاب قلب شيخنا الشاعر دوالرضي و"اختل". فكتب تلك القصيدة الرائعة التي تتبع فيها درب بابور النيل (الباخرة) ذاكراً كل المحطات الهرية من الخرطوم حتى الرجاف في أقصى الجنوب. والحقيقة أن السوافي كانت منتشرة على إمتداد نهر النيل، محتفظة بالأسماء النوبية لأجزائها، وإمتدت إلى أرض الجزيرة والنيل الأبيض ونهر عطبرة ، وعلى ضفاف نهر القاش في كسلا، حيث أوحى إلى الشاعر الكبير توفيق صالح جبريل برائعته كسلا، عندما حل ضيفاً في حديقة العشاق، في ذلك الفجر الندي، طلق المحيا، إذ نغم الساقيات حرك أشجانه، وأهاج هواه أنين السوافي، وكيف لا وهو النبوي، فهو من جزيرة معاصر، ولم تكن اللغة العربية هي لغته الأم، إلا أنه أبدع بها كما فعل النبوي خليل فرح، ورغم أنه يعتبر أبوالوطنية، ورغم إنتاجه الشعري الغزير، إلا أن توفيق غير معروف بالدرجة التي يستحقها. ووصلت الساقية إلى إرتريا في تسني وأغردت بنفس الأسماء النوبية، وبجانب الساقية كانت هناك آلة

واضحة في الصورة ففكرتها بسيطة، تتلخص في عودين من الخشب مثبتتين بموصليتين بعارضة من الخشب، وترتبط في وسط العارضة خشبة أخرى طويلة في طرف منها يربط جردل لغرف الماء، وفي الطرف الآخر كتلة ثقيلة من الطين اليابس، وعندما ترفع تلك الكتلة إلى أعلى ينزل الجردل في الماء ويمتلئ، ثم تضغط الكتلة إلى أسفل فيرتفع الجردل فتمسك به





وتفرغه في الجدول. وهكذا، هي عملية مرهقة للغاية، ولذلك كان الشادوف يستعمل في زراعة مساحة صغيرة للخضار، والشادوف الوحيد الذي شاهده أبناء جيلي في بدين كان في جروف العنابيج . وكان يدبره المرحوم عبد اللطيف (أخضر).

(الصورة على البساز لبعض الأدوات الزراعية وهي مأخوذة من متحف كرمة). كان كل العمل الزراعي يتم بدواياً كما ذكرت، بدءاً من حراة الأرض وتسويتها ورفع أحواضها ورش البذور وتقطيبتها، والسيطرة على سقایتها وحراستها، وتنظيفها من الحشائش المتطفلة، وتنظيف هذه العشائش كانت مناسبة طيبة لمن يملكون بهائم ولا يملكون زراعة، ففي نفس الوقت الذي يذودون فيه خدمة لصاحب الزراعة كانوا يوفرون غذاء لبهائمهم، كانت الزراعة تأخذ كل وقت المزارع، إذ كان عليه أن يبقى فوق أرضه وزرعه أطول وقت ممكن من اليوم، وغياب يوم واحد لم يكن ممكناً، حتى أنه كان يقال (تربياً تلدين أجمِن) اي أن التربى . من كثرة إنشغاله . لا يمكن من البكاء العداد على أمه المتوفاة، وكانتوا في الزراعة يتعاملون بالأشهر القبطية . كانت اللغة القبطية هي اللغة الرسمية للممالك النوبية لفترة طويلة، وكانت الكتابات تتم بها، وسوف نتحدث عن ذلك في فقرة لاحقة عندما يأتي الحديث عن اللغة النوبية، عموماً في الزراعة اعتمد المزارع النبوي على الشهور القمرية القبطية ، وهي كالتالي:

1. توت سبتمبر / أكتوبر
2. بايه أكتوبر / نوفمبر
3. هانور نوفمبر / ديسمبر
4. كهك ديسمبر / يناير
5. توبه يناير / فبراير
6. أم شير فبراير / مارس
7. برمبات مارس / أبريل
8. براموده أبريل / مايو
9. بشنس مايو / يونيو
10. بؤونة يونيو / يوليو
11. أبيب يوليو / أغسطس
12. مسرى أغسطس / سبتمبر.

في عام 1948 صدر قانون الجمعيات التعاونية . وكانت الفكرة فيما يختص بالزراعة هي دمج المزارع الصغيرة في مشروع واحد كبير ذو جدوى اقتصادية أكبر، يستخدم المضخات التي تعمل بمشتقات النفط، وهذا قامت المشاريع الزراعية الكبيرة . من ضمنها مشروع شبة وتشي الزراعي في بدين . ومشروع آخر في سقدان . ومشروع شبة وتشي قام في 1948 . بـ ماكينات ضخمة تم جلبها من إنجلترا ، وقد تعاقب عليه عدد من (الأسطوانت) أشهرهم هو الأسطو

سعد ، من أبناء دنقالا المدينة على ما أعتقد ، وقد أقام في بدين مدة طويلة ، وكون أسرة كبيرة . وقد درس أبناؤه محمد سعد ومصطفى سعد معنا في مدرسة شبة ، وقد استمر المشروع يعلم بكفاءة عبر السنين . ووضع للمشروع قوانين ولوائح دقيقة تفصل العلاقة بين إدارة المشروع والمزارع ، وكان من نتائج المشروع أن المساحات المزروعة أصبحت كبيرة جداً بدلاً من المساحات الصغيرة التي كانت تزرع عن طريق السوق . وانضم معظم المزارعون للمشروع ، وهناك من جلب مضخات (بواير) صغيرة (دونكى، ومفرداتها دونكى) ركبوها في مزاراتهم، والمتربكسير الماء وفتح الباء مع التشديد. أصلًا هي البئر، وصارت تطلق على الأراضي التي تسقي بماء بئر عوضاً عن ماء النهر، وكان البعض يحفر المترب/ البئر على مسافة قريبة من النهر ويملاها ماء بجدول يأتي من ساقية صغيرة تسمى "كلو تود" ، ويقال أنَّ كلمة (دونكى) Donkey . وهو تسمية شعبية إنجليزية لهذه الآلة البخارية . يقال أنه عند قيام الثورة الصناعية في إنجلترا في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، عجب العمال الزراعيون الإنجليز لأمر هذه الآلة التي تعمل طويلاً وبلا كلل ولا ملل مثل العمارة . مقارنة بالإنسان ذو القدرات المحدودة . وخافوا من أن تحل محلهم وتؤثر على أرزاقهم . ونظروا إليها بشيء من الاحتقار والفيض وأطلقوا عليها اسم (دونكى) أي الحمار! . ولكن الجمع (دونكى) هو مصطلح سوداني ، كثيرون من المصطلحات المعربة التي دخلت اللغة السودانية كمفردات لا ينتبه الناس إلى أصلها . وعلى كل حال فقد وفر المشروع ترعة رى كيبرتان ، وتفرعت من الترعتين جداول صغيرة إمتدت إلى داخل المزارع ، وهكذا فقد أصبح المشروع هو شريان الحياة الذي اعتمد الناس عليه في معاشهم . وأختفت السوق التي كانت حنينة الصوت . وإمتلاً الأثير بصوت الوابور الغليظ الذي يوقي الناس مع الفجر . ثم صوت الدونكى المقطقة ، ولكن ، وفي كل العبود ، عاش الناس متحابين متعاونين . كانت هناك وما زالت إشتراكية فطرية في مجتمعهم البسيط ، لم يكن هناك جائع ولا سائل ولا محروم ، ولا من يعدم غذاء ولا كساء ولا سكن . الكل بالكل ، والكل أهل وصحاب ، الكبير موقر ومطاع ، والصغير ابن الجميع . لا شرطة ولا قضاء ولا محاكم . يتحاكمون إلى بعضهم البعض ، وإذا استدعي الأمر تدخل العمدة . فيتصافون إحتراماً له . وأشهر عمد العجزية هو العمدة محجوب ، الذي كان ذو شخصية أمراً راجرة . فإذا قال لك يا ولد أملاً الإبريق . وقلت له (أباً أمدة أمبرق جنقاقي) أي الإبريق مليان . يقول لك (فوقجا جنقدا كن) (أفرغه وأملأه تاني)

هم الفلاحون الذين قامت الثورات باسمهم . وباسمهم سقطت حكومات . عاشوا دون أن يفهموا ما هي الحكومة ، وما معنى ثورة . هكذا عاشوا في بساطة ، يملكون أمرهم جميعاً ، آمنين في سريرهم . معافين في بدنهم . عندهم قوت يومهم . سبقت إليهم الدنيا في شبيبة الزمان فسرتهم . ولم يفتروا بها . أخذوا ما أعطتهم الدنيا على إستحياء . فكانوا سادتها الفقراء .

كان الأطفال يقضون يومهم بين المدرسة وبعض العمل الزراعي واللعب بين نخلات الجزيرة الباسقات وبين السباحة في عرض النهر، في بعض الأحيان يقضون أكثر يومهم داخل الماء يلعبون (الأبيداد) أي الغطليس، يتتسابقون في السباحة، يقطعون النهر من الشاطئ إلى الشاطئ الآخر ثم يعودون، وهم يقاومون تيار الماء القوي، لا يخافون من التنسابع، ولا الدُّفُرولا (أمن دال)، وهو (كانن) اسطوري كان يقال أنه يخرج من الماء ويشرب دماء البشر، (دراكونلا). يأكلون (الكجكول) أي الرطب ويشربون من ماء النهر العكر، صحتين وعافية، ماء الد (ميسوري) (الدميري) كما نطلق وهي التي صارت "دميرة" على السنة النبوية المستعربين، أو الفيضان إن أردنا التعرّيف، ماء طفي عكر لو شرب منه أبناء سام لقضي عليهم في الحال. يلعبون السيجة والناب والشراك وفي الليل المقصرات. ويا لها من ليال مقمرات. كانوا يلعبون (الدَّيَّ والكود والنَّافَاتِري). شفاعة طفولة ممتنة ، والطفولة في الريف تختلف عنها في المدن ، إذ في الريف يحس الطفل بالإنتهاء الجماعي أكثر من المدن ، فكل أطفال العي من أسرة واحدة ، أبناء عمومة وخولة ، وكل كبار العي أما أعمام أو أخوال (خيلان) ، وهذا التداخل الأسري يعني في أطفال الريف حميمية وتقارباً . كما أن وجودهم أمام أعين الكبار من الأعمام والأخوال والعمات والغالات طوال الوقت يقلل من احتمالات تعلم سلوكيات وألفاظ سوقية، كما أنه يعني لهم إحترام الكبير والهندب أمامه، أكثر من أطفال المدن. وتربية الريف أفضل للطفل من تربية المدينة ، وعلى كل حال وبعد ان سافرنا وإغتنينا، وعندما نعود في إجازتنا نقف في تلك الأماكن ممثلين أبيات إيليا :

وطن النجوم أنا هنا... حدق أنتذكر من أنا؟  
ألمحت في الماضي البعيد .. فتى غريباً أرعنَا  
جنلان يمرح في حقو ... لك كالنسيم مُدندنا  
المقتني المملوك مد... عبه، وغير المقتني  
يتسلق الأشجار لا ... ضجرأ يحسن ولا ونى  
ويعود بالأشخاص بى... رهبا سُيوفاً أو قنا  
ويخوض في وحل الشفاء ... مهلاً مُتيمنا  
لا يتقى شر العيون ... ولا يخافُ الألسنا  
أنا ذلك الولد الذي.. دنياه كانت ها هنا  
أنا من طيورك ببل.. غنى بمجدك واغتنى  
ولكم تُشيطن ، كي يقول الناس عنه : تشيطنا!

نقف هناك، نستعيد الذكري، نتساءل هل كان أجدربنا أن لا نسافر، أن لا نفترب، هل كنا نقيم هناك فنبقى سعداء كالذين أقاموا وسعدوا، هل كل الذي تعلمناه، وعرفناه، ورأينا في الغربة أفادنا؟ لا أدرى .

كانت أيام الصبا أيام ، ليها تعود ، لا لأخوها بما فعل المشيب كما تمنى أبو العناية . ولكن لأنعيش تفاصيلها مرة أخرى . تفاصيل المكان والزمان . وبينما الحياة . هناك حيث كانت الليالي صافيات، منعشات، هادئات، و كان القمر قد سكب علي تلك البقعة كل ضوئه، فتکاد تقرأ كتاباً علي وجهه، والطقوس صافٍ ونظيف . خال من كل شائبة، والنسيم بارد عليه، هبّ عليك من أطراف الجزيرة حاملاً صوت صفقة هنا أو زغرودة هناك، وصوت وردي أو الشفيع او عثمان حسين ينبعث شجاعاً من المذيع ، وصوت ثغاء أو مواء أو هيق يقول لك أنها أيضاً تستمتع بسحر الليل، واوركسترا كاملة من الضفادع تعزف مقطوعة التناسل، وصباح ديك متعب، نام مبكراً، وما بعد يوم حافل، فاختلط عليه الوقت فلم يعرف الفجر، ومثله نسميه بالنوبية (كُلُول فجرك ارميقي ) يعني الديك الذي لا يعرف الصبح، وصوت الشلال عند رأس الجزيرة يعيكي عن سير النبل، يختلط كل ذلك عند الفجر بصوت الماءن ينادي إلى الصلاة والفالح، وصوت الدوانكي ينادي إلى العمل، وعند الشروق تنضم الطيور إلى تلك السمفونية بشخصية عذبة، فيصحو البشر وتدب الحركة وتبدأ البلدة فعاليات يوم جديد، تلك الأيام من عمرى خوالد في ذاكرى، ورغم البعد الزمني والمكاني من هناك، إلا أن يومي يبدأ وينتهي بذكريات دين، تفاصيل الطفولة والصبا لا تفارق مخيلتي، أتذكر مراتع اللعب في تل الرمل (سيون ذكي) أمام منزل جدنا النذير عبدالقادر، كنا نسميه يوم عجابين سبيو، أتذكر الخلوة والمدرسة، والمداخن النبوية وليلي الذكر، أتذكر صوت البابور وصوت البريج، صوت الساقية والنورج، أشم وانحة مزارع القمح والفول والبرسيم، وانحة أشجار التين عند الغروب، مراحات البقر والغنم، برد أمشير ورياحه، وتلك العشرة الشتوية المزعجة، الا (كتي ماج أو النبيق) التي كنا نرتدي لتفاديهما أكياساً من القماش الشفاف على رؤوسنا نسميه الا (كتن قبا)، أصوات اليهانم وهي تتناغي أو تتحجج على الجوع، أصوات الزغاريد في الأفراح، أصوات البكاء والنوح في الأتراح، أصوات النساء وهن يعانين من آلم المخاض، طعم (القلو) التمر الأخضر و(البميو) الدوم، كل ذلك يمر بخاطري كل يوم، لا أحلم قط إلا بذكريات البلد، فهل من عودة هل؟.

هذا وكان لي صاحب رفيق الحال، مغرم بالنيل أي غرام، يعشق الليل أي عشق، كان يقضي الساعات على الشاطئ ليلاً، في ذلك الجو الهادئ الملائم الجميل، هو والليل والنيل والقمر، واسماك صغيرة تففر من الماء ثم تغطس فيه، محدثة صوتاً نغيمأً يسبل الأذن شجاعاً، ثم يفني صاحبنا في مناجاة حورية تزاءه له فوق سطح الماء أمامه، فلا يكاد يستتبّنها حتى تختفى ، لتظهر عن يمينه، وتغمره بإنسامة عذبة كالطفولة، دافقة كالشلال، فيكاد يقفز فوق سطح الماء، فتختفى ، لظهور عن شماله، وما أن يلتفت حتى تختفى ثم لا تبين، فيبطول ليله ويطول، و( ليل العاشقين طويل ).

كانت الجزيرة تتبع إدارياً مجلس ريفي أرقو، الذي يخضع بدوره لسلطة "مركز دنقالا"، وأرقو لي فيما ذكريات، فقد كانت أسرتنا من (خلفاء) الأدارسة، وهم يقولون أنهم من أشراف الحجاز، وكنا نجمع لهم محصول البليح، وكان العادة عندها أن المزارعين وأصحاب الجواش كانوا يهدون نخلة أو اثنين للأشراف، طلباً للبركة، وتقريراً لله، وكان لهم خلفاء أو وكلاء في كل منطقة يقومون على هذه الممتلكات والبيات بالرعاية وجمع المحصول في الموسم، وزرت مع والدي في أرقو بيت الأشراف، أو الأسيد، أسرة السيد الإدريسي فرع أرقو، وكان في الأمر استغلال للبساطة، وقد تمردت علي ذلك الحال لاحقاً، (وتلك قضية أخرى، وما أكثر القضايا الأخرى)، فمثلاً لم يكن والدي يسمح لنا بأخذ بلحة واحدة من محصول "سيدي" كنا نتعجب في جمعه دون مقابل، لا رحمة الله، فقد علمنا الصدق والأمانة، وكانت له ارتباطات روحية وأسرية بتلك المناطق تمتد حتى بلدة "شيخ شريف"، وكانت هناك صدقة أسرية وزماله خلوة تربط أسرتنا مع أسرة الشيخ الكبير (حسن بُجة) في الترعة، وخلوة الشيخ حسن بُجة من أكبر وأقدم الخلاوي في المنطقة كلها، ويقدر عمرها بأكثر من 800 عام، أي قبل ان يصبح الاسلام دين الدولة النوبية الرسمي، وكان يقوم عليها اجداد الشيخ حسن، ولم تزل الخلوة موجودة حتى الآن، وبشرف عليها الآن عمنا الشيخ أحمد كامل حسن بُجة، وكان الأستاذ الطيب محمد الطيب قد سجل حلقة عن الخلوة في برنامجه (صور شعبية) عرضت في تلفزيون السودان، كما ان الأستاذ الطيب قد ذكر هذه الخلوة في كتابه القيم (المسيد)، وفي عهد مايو أخذت بعض الأشياء



من الخلوة الى متحف الخليفة عبدالله التعايشي، منها (جريدة أنقري) أو (انقري دوول) أي (السرير الكبير)، وهو عنقريب/سرير ضخم وواسع وارتفاعه عن الأرض كان نحو متراً تقريباً، وكان ظيره موجوداً في كل الخلاوي، وكان يستعمل لأغراض كثيرة، والشيخ حسن بُجة هو جد أخينا مهتمي الخليفة محمد نور، ووالده هو الشيخ محمد نور المقرى المعروف، وسوف آتي علي ذكر الخلاوي في بدین والمنطقة في فقرة لاحقة.

في زمان العموديات كانت في الجزيرة عموديتان،

عمودية سقدان وعمودية توши/شبه، وعلاقة سقدان ببقية الجزيرة عجيبة، هي احدى مشيخات بدین الخمس، وليس جزيرة منفصلة ، ولكنها الى عهد قریب كانت تنفصل في مواسم الفيضانات، لأن هنرا موسمياً كان يشق جزيرة بدین ويجعل من سقدان جزيرة موسمية، كما كان هناك هنرا آخر يسمى "فاسي" يجعل من عثمان آرتى جزيرة موسمية، ولذلك أبقيت على اسم جزيرة سقدان، مع أنها الآن ليست جزيرة ولم تعد تنفصل حتى في الفيضانات الكبيرة ، بعد أن أحكم الأهالي سد المجرى بحيث لا يخرج النهر عن مساره حتى في أعى الفيضانات، عمودية سقدان كان أول عمدة لها العمدة حمد حاكم وخليفه العمدة محمد حمد الله ابراهيم الى ان تم حل النظارة

والعموديات في الشمال في بدايات نظام جعفر نميري العسكري الشهير بـ"نظام مايو" نسبة للشهر الذي حدث فيه انقلابه العسكري عام 1969 . وأول شيخ لشيخوخة سقдан هو الشيخ فضل حاكم وخلفه ابنه شريف فضل حاكم ومن ثم خفيده الشيخ عبدالرحيم محمد فضل حاكم في بداية نظام "الإنقاذ" وهي التسمية التي أطلقها الإسلاميون على حكمهم بعد وصولهم السلطة بانقلاب عسكري في 30 يونيو 1989.

أما عمودية بدين فكانت بقيادة العمدة محبوب عبدالكريم، كان يُعرف باسمه الأول (عمدة محبوب)، وعند تصفية الإدارة الأهلية في العام 1969 بقيت في الجزيرة خمس شياخات. هي بالترتيب من الجنوب إلى الشمال سلناوري وسقدان وشئي وشيبة. ثم شياخة جزيرة دقرني، حتى جاءت اللجان الشعبية، وما أدرك ما اللجان الشعبية .

من الملاحظ أن أهل الجزيرة من المجموعات التي أبقيت على العادات والتقاليد النوبية حتى إلى عهد قريب، بل وحتى الآن. وبحكم أن الجزيرة كانت شبه معزولة، وكان إختلاط أهلها بأهل (البر) شرقاً وغرباً، إختلاطاً محدوداً. فلم يكونوا يخرجون من الجزيرة إلا نادراً، إما لسفر أو لعلاج، وهناك أناس كثيرون ولدوا وتوفوا دون أن يروا البر وما فيه. وابقاء اللغة النوبية حية ساعد كثيراً على إبقاء الثقافة النوبية. فالكلام بالعربية، كان لفترات قريبة "فلسفة" غير محببة، ولم يكن بإمكان الشباب المتعلم أن يتحدث مع الكبار باللغة العربية. كان تصرفًا غير مقبول وغير لائق . مثلاً جدتي من أمي كان اسمها خديجة، ولكنها لم تكن تعرف أن اسمها خديجة، ولم تكن تعرف من هي خديجة أصلاً، ولو ناداها شخص باسمها الأصلي جاء الاسم "هجيبي". كلنا نناديها (بوجة خجي) (بوجة او بو) يعني الأم، كانت بوجة حجي نوبية (فع)، ولم تكن تصدق أن هناك في الدنيا من لا يربطن، لأنها كانت تعتبر اللغة العربية لغة دخلة، لغة يتفلسف بها أولاد المدارس، في لغة المدرسة ولا لزوم لها في البيت. وكانت تتضايق تماماً إذا تحدثنا أمامها بالعربية، ولم تكن تفهم منها لا قليلاً ولا كثيراً، وكان الناس عندنا يستمعون للإذاعة لتتابعية أخبار الوفيات، وكانوا يسمون فقرة الوفيات في نشرة أخبار الثامنة مساء والتي كانت تقتصر على الأخبار المحلية (تُوقيباً)، وهذه هي الفقرة الوحيدة التي كانت تهمهم من كل أخبار الدنيا، وكانت بوجة حجي تستمع للمذيع كل ليلة وهو يقول (توفيت فلانة حرم الأستاذ فلان، توفيت فلانة حرم السيد علان، حرم.... حرم...) فما كان منها إلا أن سالت بالنوبة (أنتو يا جماعة نسوان الغرطوم ديل كلهم اسمهم حرم؟) . وليقل لي كل الذين يدعون العروبة كيف كان يمكن تعريب جدتي هذه؟، كان الناس بالنسبة لجدي ينقسمون إلى ثلاثة أصناف لا رابع لهم، إما نوبية، أو عربي، أو نُفُدْ، يعني من به سواد، لم تكن تقبل أن نقول أتنا عرب، كان هذا الكلام مثل الشتيمة بالنسبة لها، وأنا من شيعة جدتي في مسألة العروبة، فنحن لسنا عرباً، ليس فيينا من العروبة غير اللغة والأسماء، التي تبنيناها بحكم أتنا مسلمون، ولا شيء هناك يجعلنا نستجدي الإنتماء العربي من العرب، الذين لا يعترفون بنا أصلاً كجزء من نسيجم الإثني أو الثقافي، فنحن نوبة ودماؤنا نوبية، وهذه قضية تحتاج إلى وقفه . فعند الحديث عن إتفاقية البقط . ذكرت أن الإنفاقية نصت على لا يدخل المسلمون بلاد النوبة (المسيحية وقتها) إلا مجنائزين غير

مقيمين ، وألا يدخل النوبة بلاد المسلمين إلا مجنازين غير مقيمين ، ولذلك وتاريخياً لا يمكن نسب النوبة الحالين إلى أجداد عرب . كالحدث عن أن سكان بدين ينسبون إلى فلان أو علان من العرب . فكل مناطق النوبة كانت مأهولة بالسكان لآلاف السنين . ولم تكن هناك فسحة من الأرض تصلح لاستيعاب العرب البدو المهاجرين من مصر حتى يتغذوا العرب ويتوالدوا فيها . فمجرى التبر في ديار النوبة مخنوظ بالصحراء شرقاً وغرباً، والرقة الزراعية حوله ضيقة لا تسع حتى لأهليها الأصليين . فكيف يمكن نسب سكان محلين كانوا موجودين منذ فجر التاريخ . كيف يمكن نسبتهم إلى عدد قليل من الغزاة القادمين . رضينا أم ابینا فقد ورثنا الموروث الثقافي العربي لأننا ورثنا اللغة والدين . ولنا أن نتفاخر بالإنتماء إلى الثقافة الإسلامية . ولكن لا يجدر بنا إدعاء الإنتماء العربي، فالعرق هو العرق، والعرق ليس إمتيازاً . بل ميزة . وليس هناك عرق صافٍ وعرق معكر . ولا عرق راقٍ وعرق منحط . اعتماداً على قول الرسول (ص) نفسه، إذ يقول لا فضل على عربي ولا عجمي إلا بالتقى . ومن الجد الكبير التذكر لعرقنا النبوي . ولو كنا من أبناء العرب لتعذرنا العربية باليقان . واستمرار التعذر باللغة النوبية ، والحفاظ عليها إلى الآن . يدل على أن التأثير العربي على مناطق النوبة كان تأثيراً طفيفاً . وكل الذي حدث أنه وعندما جاء الإسلام قامت بعض الخلاوي في مناطق متباينة من بلاد النوبة . سافر إليها بعض أبناء النوبة وحفظوا فيها القرآن . وبدورهم عادوا إلى مناطقهم الأصلية وفتحوا فيها الخلاوي . وهكذا انتشر الإسلام . وإنشرت معه الأسماء العربية . فقد كان الناس عندما يسلمون يستبدلون أسمائهم بأسماء عربية بإعتبارها أسماء إسلامية . ثم أخذوا في تسمية أبنائهم بتلك الأسماء . وهكذا اختفت الأسماء النوبية وإنشرت الأسماء العربية . وبذلت اللغة العربية في الإنتشار ببطء شديد وما زال إنتشارها بطيناً حتى يومنا هذا . ولم يكن للعرب وجود إلا في مناطق محدودة وبعد قليل جداً . ولم يتم التزاوج بين العرب والنوبة إلا في حالات نادرة . والغريب في الأمر أن أسماء نسانية نوبية ظلت وما تزال مستخدمة (مسكة، هول، نفرن، هجلة، دانه، شيره، جوقة، أليسا)

فكيف يمكن القول بأن أجداد النوبة الحالين عرب . هذا حديث، بجانب أنه غير صحيح وغير موضوعي، فإنه إدعاء سخيف لا لزوم له أصلاً . وفي رأي الشخصي فالتفسير الوحيد لهذا الإنناساب هي نظرية (الغرير الحكيم) أو (الرجل المبارك) كما يقول المؤرخ (مولت). إذ يوضح أن الناس عادة يحاولون الإنناساب إلى من يعتبرونه مميزة إما لدين أو مل أو جاه أو عرق أو لون . كما كان معظم العرب في الماضي يحاولون الإنناساب إلى قريش لمكانها بهم . والحقيقة أن الإحسان بالدونية الذي يؤدي إلى محاكاة الغازى الغربي ومحاولة الإنناساب إليه والتسمى بأسمائه حدث في أماكن عدة في العالم . إذ في كثير من الدول التي فتحت أو استعمرت ترك السكان أسمائهم الأصلية وتسموا بأسماء الغازى . ولدينا في السودان أسماء كثيرة استخدمتها عائلات سودانية أصلية نقلة عن الإنراك مثل شوكت وفرحات وهمت . حدث ذلك في كثير من الدول الأفريقية إذ هناك الآن أسماء إنجليزية أو فرنسيّة أو إيطالية للناس والمناطق في أفريقيا . وينطبق ذلك في كثير من جزر المحيطات كالهاما وهايبي وجامايكا . كما ينطبق ذلك على السكان الأصليين في كندا وأمريكا وأستراليا ونيوزيلندا وغيرها . والكثيرون في هذه الأماكن المذكورة لا يتحدثون إلا

لغة المستعمر، ولكنهم لا يذعنون إلى إنتماء عرق لذلك المستعمر، ولكن الناس عندنا يتحجرون (بالتزواج) بين العرب والنوبة ، ولنقل أن هذا التزاوج قد حدث ، ولنقل أن ثلاثة أو أربعة من أبناء أبي بن كعب الأنصاري الخزرجي أو غلام الله بن عابد ، أو جابر الأنصاري هاجروا إلى السودان وأستقروا في بلاد النوبة ، ولنقل أنهم جاؤوا بأنفسهم بدون زوجات ، وتزوجوا نساء نوبيات ، كم من نساء النوبة تزوجوا ، لنقل أن كل واحد منهم وحسب الشرع نزوج أربعة ، هل هذه الزيجات المحدودة هي التي أدخلت الدم العربي في كل سكان النوبة . حتى في كتابة التاريخ أو البحث فيه فالمسألة تحتاج إلى إستعمال بعض التفكير البديهي . إذا يمكن أن يكون هناك بعض الأسرى بدين أو غيرها من مناطق النوبة تنتهي نسبياً إلى أحد أبناء أو أحفاد هذا الجابر الأنصاري ، ولكن أن نقول أن أجداد سكان النوبة أفراد من قبائل عربية فحدث لا يستقيم ، وهناك من يقول أن (مركز الجوابرة في السودان هي جزيرة بدين) وأن سكان بدين ينتسبون إلى (جابر الأنصاري) . وأنا حقيقة أستاء من سماع مثل هذه الأقوال الضحلة ، حق لو استندت هذه الأقوال إلى بعض المراجع الكبيرة ، فليس كل ما في هذه المراجع صحيح . فالتشكيك في بعض ماورد في هذه المراجع سهل جداً ، ولا يمكن للبحث أن يتركز في الوصول إلى الجد العربي ، وإذا عدنا إلى المراجع فإن من أهم المراجع كتاب ماكمایل (تاريخ العرب في السودان) وهو يقول أن المحس الأصليين الذين يعيشون في منطقة الجنادر ، بين دنقاً وحلفاً ، ليسوا بطبيعة الحال عرباً . وهو في التقرير يعتمد على شواهد كثيرة ، ثم أن هؤلاء المنتسبون يقولون أن هجرة أحفاد جابر الأنصاري حدثت في القرن السابع الهجري . ونحن الآن في القرن الخامس عشر الهجري . إذا المدة التي تتحدث عنها لا تتجاوز السبعمائة عام ، ثم أتنا (في أحسن الإفتراضات) تتحدث عما لا يزيد على العشرة أشخاص من أبناء العرب الذين إستقروا في المنطقة النوبية . وحسب تحليل (المستعربين) فقد تمكن عشرة رجال وفي مدة لا تتجاوز السبعمائة عام من تحويل العرق النبوي إلى عرق عربي ، وبذلك فقد أصبحوا (أجدادنا) الذين ننسب أنفسنا إليهم . وإذا أخذت المنطقة من حلفاً إلى القولد يدعى السكان الإنتماء إلى جابر الأنصاري لدرجة أن سكان كل قرية يقولون أنهم (جوابرة) . وفي أكثر الأقوال (المعتمدة) لدى بعض الإخوة فقد وصل إلى المنطقة ثلاثة من أحفاد جابر الأنصاري ، أكبرهم الشيخ (فقير عيسى) والذي إستقر بقرية موركه بجزيرة ساي/صاي ، وثانيهم (الشيخ زماوي) وقد إستقر بمنطقة كرمته . أما ثالث الثلاثة فهو الشيخ منور وقد إستقر في الوادي الواقع جنوب كرمته والتي كانت تعرف بوادي الشيخ منور . وأول ما يمكن ملاحظته هو الأسماء . فلا أعتقد أن هذه الأسماء من أسماء سكان الجزيرة العربية . وهناك سيناريو آخر يقول بأن أول من دخل من الجوابرة إلى أرض دنقاً هو الإمام نقيع ابن عامر وجاء بصحبته ابن أخيه النور ابن عطيه وابن أخيه سالم بن عبد الله وذلك سنة 735هـ/735هـ عليه . والأمير نقيع وأولاده سكروا بأرض الحفيـر ومشوا ثم يـكـروا غرب جزـيرـة مقـاصـرـ . وهناك من يـدعـى الإنـتمـاء إلى (غلام الله بن عابد) ثم هناك إلى الجنوب من منطقة النوبة من يـدعـى الإنـتمـاء إلى نفس جابر الأنصاري ، وهناك من يـدعـى الإنـتسـاب إلى (العبـاسـ بنـ عبدـ المـطـلبـ) . وهذا أهون من يـدعـى الإنـتسـابـ مـباـشرـةـ إلىـ الـبيـتـ النـبـويـ الشـرـيفـ . وقد وجدت في بعض المنتديات النوبية من (سلسل) هذه الأنساب متـهـيـاـ بـجاـبـرـ الأـنـصـارـيـ باـعـتـبارـهـ

الجد الثالث والأربعين . طبعاً هذا لا يستقيم رياضياً/حسابياً . ثم أورد أحدهم تعريفاً بهذا الصحابي . فقال إن إسمه هو جابر بن عبد الله الأنصاري . ثم قال . (( وقد دعا له الرسول (ص) يوماً فانلا ) جبرك الله يا جابر كما جبرت الإسلام) وقد أستجاب الله سبحانه وتعالى دعوة الرسول(ص) فظهرت له كرامات بعد سنوات طويلة من وفاته...أ تستشهد الصحابي الجليل جابر الأنصاري في غزوة أحد ودفن في بقيع الفرقد مع الصحابي الجليل عمر ابن الجحوم في قبر واحد وبعد أربعين عاماً من دفنه نزل سيل وجرف مقابر البقيع بما فيها قبر الصحابيين الجليلين فكشف أرجلهم فكانت سليمه فأستدعي الصحابه أبنه عبد الله فحضر قيراً جديداً لوالده جابر ونقله إليه وبعد مرور سنوات وفي عهد معاویه أبن أبي سفيان أمر معاویه عماله لزراعة قطعة من الأرض في ذات الموقع ولم يكن يدری بأن بها قبر الصحابي الجليل فصادف أحد العمال قبر الصحابي الجليل أثناء الحفر وبتر أحدى أصابع قدميه فتدفق الدم وكأنه جرح بجسد انسان في فأمر معاویه بتضميد الجرح ونظافته وربطه حتى بره ثم أمر بوقف الزرع وأعيد دفنهما مرة أخرى)). إنتهى نص حديث الأخ والذى نقلته كما هو . هذا الحديث العجيب والذى لا يصدقه عقل ، ليس إلا أسطورة تمت كتابتها لاضفاء قداسة على الرجل الذى ينسبون إليه . ونكلة لحديث العجائب والغرائب فإنتى أورد بعض الأساطير الأخرى الخاصة بالصحابۃ والتابعين والشيوخ الذين يُقال أنهم هاجروا إلى المنطقة النوبية وماتوا ودفنوا بها . وبعض هؤلاء الصحابة ثابت تاريخياً في كتب التراث أنهم ماتوا في الجزيرة العربية أو بأرض الشام . ولكن الأساطير النوبية تصر على أنهم مدفونون عندنا . منهم الشيخ المغيرة بن شعبة الذي يقال أنه مدفون في منطقة عمارة شمال عبّر . ويحكى عنه العجائب من الكرامات . ثم هناك الصحابي عکاشة ، الذي يقال أنه مدفون في المنطقة المعروفة بإسمه في السكوت ، ويعزّزه البعض بالصحابي عکاشة بن محسن ، ولوجوده هناك روایتان . الروایة الأولى تقول أن المدفون هناك هو (رأس) عکاشة . وتقول الروایة أن أحدهم في المنطقة رأى في منامه ضوءاً ينلأ في النيل . سمع صوتاً يقول إنه عکاشة بن محسن يريد أن يُدفن في منطقتكم ، فهبَّ من نومه وذهب إلى الجامع وبعد الصلاة حکى للناس ما رأى وسمع . فذهبوا إلى النيل ووجدوا رأس إنسان . ولكنهم اختلقوا أين يدفون رأس الصحابي . فتحرك الرأس وإنحرف بين صخرتين ولم يتمكنوا من إخراجه فقرروا أن الصحابي اختار مكانه بنفسه هنا بين الصخور . فبنوا عليه قبة هناك . أما الروایة الأخرى فتقول أن الصحابي مدفون هناك بجسده الكامل . إذ عندما ذهب الناس إلى النيل حسب رؤيا الرجل لم يجدوا الرأس فحسب . بل وجدوا الجثة كاملة فوق صخرة كبيرة . وعندما اختلف الناس أين يُدفن . وهذه أمثلة بسيطة ، وهكذا كل الروایات التي تتحدث عن صحابة مدفونين في المناطق المختلفة على إمتداد الأرض النوبية ، وهي كلها ليست إلا صور خيالية شعبية نسجها الناس ، ولا تنطبق على المنطقة النوبية فقط . بل أنها تمتد إلى مناطق السودان المختلفة . بل العالم الإسلامي كله . وغالبية القبور والمزارات مبنية على فكرة (البيان) والبيان هو أن يعتقد أحدهم أو إحداهن أن الشيخ فلان بن فلان تبين له أولها في (المنام) في مكان معين . أي أنه ظهر . ويكون البيان في صورة نبع من الماء أو جذوة من النار أو جنة تتلألأ .

فيبني الناس لهذا الشيخ قبة وبصبح المكان مزاراً ومكاناً للبركة والتذر. وعلى كل حال فلو كان ما يقال عن ان النوبين المعاصرين او أسلافهم عبر الفرون الأخيرة ينحدرون عن أجداد عرب دعاة وعارفين بالدين، لورث الأحفاد عن أجدادهم اللغة العربية وملامح أهل نجد وعسير.

قلت أن الرقم سبعة في التراث النبوي يحتاج الى بحث ، وما أورده هنا عن الرقم سبعة ليس بحثاً . إنما محاولة لإظهار بعض خصائصه . والحقيقة أن الرقم سبعة محاط بسرية وتقديرات غريب في كل الحضارات منذ فجر التاريخ الإنساني ، فهو يتمتع بمنزلة خاصة في كل البيانات السماوية والمعتقدات الإنسانية . ولا تخلو أي حضارة أو فكر من خصوصية للرقم سبعة . (البيتولوجيا) أي الأساطير المتعلقة بالعدد سبعة متوفرة عند كل الفرق الدينية والفكرية . في كل الحضارات عبر التاريخ. عند الرومان والفرس . وعند كل الشعوب الآسيوية بفرقهم الكثيرة . وأمنت شعوب الشرق الأقصى . والشعوب السامية . والإغريق . والمصريين القدامي ، وشعوب ما بين النهرين بالسبعة عدداً مقدساً ، وأعتقدوا في الرمزية التي يجسدها هذا العدد . وكانوا ينسبونه الى الشمن وقوى النور . وعند كل هذه الحضارات غير واضح لماذا قيس العدد سبعة وما سرها . ربما لأن عدد السيارات سبعة (الكواكب) . وإلي أن الله عز وجل خلق السموات والأرض في ستة أيام . ثم استوى علي العرش في اليوم السابع . ولذلك يسود اعتقاد عام بأن الأصل في الجذر {سبع} هو التمام والكمال والإكتماء والإمتلاء . وهذا اعتقاد قديم موجود في كل البيانات المعروفة لدينا بالبيانات السماوية . كما أنه اعتقاد موجود في {المعتقدات} الإنسانية الأخرى . كما أن مفهوم السبعة آلهة والسبعة أرواح موجود في المعتقدات قديمها وحديثها . وفي المسيحية فإن العدد سبعة يرمز للعنبرية ، وللكمال . وعدد الخلق . والتطور الكوني . كما أنه رمز الراحة الخالدة والقيامة . وينقسم العالم في المسيحية الى سبعة عصور . الأول من أدم الى الطوفان ، الثاني من الطوفان الى إبراهيم ، الثالث من إبراهيم الى موسى ، الرابع من موسى الى داود ، الخامس من داود الى جلاء بابل ، السادس من جلاء بابل الى المسيح ، والسابع من السيد المسيح الى نهاية الدهر . وهو عصر النعم . وعندئم الصلاة الربانية سبعة . الأسرار المقدسة سبعة . والفضائل سبعة . والخطايا الرئيسية سبعة . والوصايا المعاكسة سبعة . ومزمير التوبة سبعة . وقد ورد ذكر السبعات في الكتاب المقدس أكثر من ستمائة مرة . وتعبير(عمل السبعة وذتها) جاءنا من عند المسيحيين ، وهم يعنون به أن الفواحش السبعة ثابتة في ذمة الرجل الذي عصى الوصايا . المصريون القدماء قالوا أن الأخطاء سبعة وان لكل خطأ 7 قضاة يحاسبون عليها على هيكل مسبع الأضلاع ، وتوزن الخطايا بسبعة أوزان ، ويمر الميت بسبع مراحل من السؤال . ويقول أسطو ان هضبات الحكم سبع . وهي البضئيات الواجب تسلقها حتى يبلغ الرجل الحكم . وقد توصل العلم الحديث الى 7 مستويات مدارية للألكترون . وسبعة مستويات حول النواة . وتوصل العلم الى سبعة ألوان للضوء المرئي، وسبعة اشعاعات للضوء الغير مرئي . والعلماء الموسيقية سبعة . وهي على الترتيب (دو - دي - مي - فا - صبول - لا - سي ) أما في الديانة اليهودية ففي نهاية كل حلقة من العمر تفتقر الخطايا . وكل حلقة سبعة سنين ، ونحن نعلم خصوصية الرقم سبعة في الإسلام ، فكلمة القرآن سبعة

أحرف ، ويقرأ القرآن الكريم بقراءات سبع ، والشهادة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) تتكون من سبع كلمات . وأيات فاتحة الكتاب سبع آيات . وهي السبع المثاني ، وكلمة المثاني سبعة أحرف . وأية المثاني تتكون من سبع كلمات (ولقد اتيتناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) وسورة الفاتحة تحوي جميع الأحرف ماعدا سبعة أحرف ، هي ث ، ج ، خ ، ز ، ش ، ظ ، ف ، وجاء ذكر السمات السبع في سبع آيات مختلفة . وجاء ذكر الإستواء على العرش سبع مرات ، في متنالية رقمية عجيبة . والأرضين السبعة . وسبعة أبحار . والسبع مثابل . والسبع بقرات السماء . والسبعين العجاف ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات . وسبعين سنين دأباً وسبعين شداد . وسبعين ليال ، وسبعين ثلاثة أيام في العج وسبعة إذا رجعتم . وجئتم لها سبعة أبواب . والموبقات سبع . وأهل الكهف سبعة ثامتهم كلهم . والذين يظلمهم الله يوم القيمة سبعة . الطواف سبعة أشواط ، والسعي سبعة ، والجسم نفسه حتى يدخل فيه الروح يمر بسبعين مراحل هي السلالة ، والنطفة ، والعلقة ، والمضفة ، والعظم ، واللحم ، والخلق الآخر ، وذكر كلمة {الفرقان} في القرآن سبع مرات . وذكر {بني آدم} سبع مرات . ومجموع المعابر اربعة عشر ، سبع نسباً . وسبعين صبراً ، حسب سورة النساء ، (الأياتان الثالثة والعشرون والرابعة والعشرون) ، وفي مسألة نفح الصور ذكرت كلمة نفح في القرآن سبع مرات . وذكرت الجملة {مخلصين له الدين} سبع مرات ، وجملة {يخرج من الظلمات إلى النور} سبع مرات . وذكرت كلمة {لا أقسام} سبع مرات ، والعدد سبعة عدد فريد حسابياً . فهو لا يقبل القسمة ، ولا التحليل العسابي . وليس له جذر تربيعى تام . وخصوصية العدد سبعة موجودة في الاقتصاد ، والرياضية ، والمسرح ، والشعر ، والرواية ، والموسيقى ، والسينما ، وتعتقد العرب أن الفنان الرئيسية سبعة . الشعر القريري ، الموشح ، الدوبيت . الرجل ، الموال ، الكان كان والقوما ، ومعروف أن المعلمات سبعة . وينظر أنه كان أمام هبل في جوف الكعبة سبعة قدر ، وهي الأزلام ، كانت العرب تستقسم بها في كل أمورها.

كان من عادة أهلنا سلق سبع حبات لوبها ، في إناء فخاري صغير . (كوبيد) وكانت المرأة تدعو وتقول (وو نور أو سكون ماجلتون نافروجي) يعني احفظ أهل البيت من أعين الحامدين . ثم يسكنون الماء في العتبة من الخارج ، في الصباح الباكر . قبل شروق الشمس . وقبل أن يدخل عليهم أحد . وكانوا يسكنون الماء في شكل نصف دائري . وأيضاً كانت البنات الصغيرات يلبسن سلسلة ، معمولة من خيط يربط حول الرقبة . في هذا الخيط تربط سبع حبات من القرض تتدلى علي الصدر . وكان هذه العادة تتم قبل عاشوراء بمدة . وفي يوم عاشوراء واثناء الإحتفال كثيير من بهذا الخيط مع حبات القرض في النيل . وفي إحتفال عاشوراء كان الرجال يضربون بعضهم البعض . بحبال يشعرون فيها التيران . او يقطع قماش يرطرون فيها حجارة . وكانت تحدث جروحات وتزيف دم . كان الناس يصومون نهاراً . وفي الليل يحملون فتة لبن . ويجمعون كل مواليد السنة من الأطفال وينهبون بهم إلى النيل . ويتم الإحتفال علي الشاطئ مباشرة . ولابد للناس بالذات الأطفال . لا بد ان يدخلوا الماء ويلموا أرجلهم . وكانوا يقولون (اشروا فاطنة تود في لبلب ) ويبعدوا عن تلك الإحتفالات كانت خلطة مائية "عيد وفاء النيل" . بوصفه منبع الخير . وقابل للبيجان وإحداث

الدمار (ومن ثم تتم ترضيته بإلقاء أول لقمة طعام فيه) وعشوراء الاسلام وذكري مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما.

وايضاً من العادات العجيبة في بعض مناطق النوبة، ان البقرة عندما تلد، يصبح لبnya محرباً على بيت صاحب البقرة لمدة سبعة ايام، ولذلك فكانوا ينادون علي الجبران لشراب ذلك العليب، وكان الحاج عندما يعود من العج يعتكف في بيته سبعة ايام، وأيضاً من العادات التي كانت متتبعة، وفي حالات خسوف القمر او عندما (يختنق) القمر، ويسمى (أنتي كيقل دافي)، في هذه الأحوال كان الناس يخرجون من البيوت إلى الساحات، ويضعون الحجارة المسماة (أبرتي) وهي (الأثناني) (اللدائيات)، ويشعلون النار ويضعون فوقها حل كبيرة ويغلون بليلة اللوبيا (أشرينين أرجي) بكميات كبيرة ، والليلة تسمى (أرجي). يعتبرونها كرامة لله، وفي هذه الأثناء كانوا ينشدون أناشيد دينية، ويفغون، وهذه الأناشيد والأغاني كانت فيها كلمات غريبة وغير مفهومة، كانوا يدعون الله أن يخلص القمر من تلك الورطة، وما أن ينقشع القمر حتى يذهب الجميع الى بيوتهم وكلهم امتنان لله الذي يستجاب لدعائهم وتقبل كرامة الليلية.

بالنوبية نقول للرقم سبعة (كُلُّدْ) والأرقام كالتالي:-

بالنوبية:	بالنحوية:
1 . وبرو	1 . ديرا
2 . أوي	2 . أwoo
3 . نسكي	3 . نسكو
4 . كمسو	4 . دجا
5 . دجو	5 . قرجو
6 . قرجو	6 . إدووا
7 . كلدو	7 . كلدا
8 . ادزو	8 . دمندو
9 . أسكدو	9 . دمي
10 . دمنو	10 . دملاؤبرو
11 . دمندو وبرو	11 . دملاؤبرو
12 . دمندو أوي	12 . دملاؤوه
20 . دمن أوي	20 . دمي أوي

أما 100 فهي (إميل) والا 1000 (دونال). ويبعدوا أن أسماء الأرقام لا علاقة لها لا باليونانية ولا الرومانية ولا القبطية. وهذا دليل آخر على وجود لغة نوبية صرفة إندرثت، بإهمال أهلها.

في معرض بحثي عن الأشخاص المهتمين بسيرة بدین والتراث النبوی. دلني بعض الأخوة على الأخ معتصم عبدالفتاح (كودو)، وفعلاً وجده، رغم صغر سنه، ثر المعلومات، ملم بالكثير، وله اتجاهات شخصية في تفسير بعض العادات وربطها بالقديم، ومن ملاحظاته الذكية، أن التراث بقي عند النساء أكثر منه عند الرجال، ومن المعلومات المفيدة التي قالها الأخ معتصم أنه قرأ في كتاب إسمه (كوش لأدريس البنا) ان عمر جزيرة بدین ربما ناهز المليون عاماً، وأن هناك بعض القطع الأثرية التي وجدت في بدین ، مرتبطة مباشرة بأثار كرمة (الدفوفة) وربما كانت الجزيرة لاصقة بكلمة كشبة جزيرة، قبل ان تنفصل وتصبح جزيرة، وتوجد في الجزيرة دفوفات صغيرة، ونحن نسمّها (دفي)، واحدة في (ابْسُقان)، وواحدة في (سابلکي) (ارو سابلن دفي). ولم تتم اية حفريات في هذه الواقع الأثري، ولا ندرى ماذا تحتها، ومن العادات التي ذكرها الأخ معتصم، انه عندما تمرض إمراة، وعندما تذهب النساء لزيارتها، كن يقلن لها (ماريا مي) وهي بمثابة كفارة او سلامتك، واجهاد معتصم ان الكلمة ربما تعود الى اسم مريم العذراء، وكأنهن ينادين لها مريم، وكن يقلن أيضاً (شركمي)، استفادت من معتصم كثيراً، فله الشكر والعرفان ، ولا يفوتنى أن أذكر ايضاً الأخ عوض جمعة محمد على ، وهو رجل يتمتع بذاكرة منهلة ، ومنذ أن كان طالباً في الإبتدائية كان له اهتمامات أدبية ، طورها كثيراً فيما بعد ، إلا أنه في المرحلة الثانوية ذهب إلى مدرسة صناعية . وعوض . في دفعتنا من أكثر الذين يحفظون الشعر ، وله موهبة كبيرة في ذلك ، وفي كل مراحله الدراسية كان بارزاً في حصص اللغة العربية ، وكان من المدعين في كتابة الإنشاء ، وقد كلفته بجمع بعض المعلومات لهذه إلا الإصدارة ، فبذل جهداً مقدراً ، له الشكر والعرفان.

من الأشياء التي لم اذكرها، رغم ما فيها من إشارة عجيبة، أن القسasib، وهي جمع قسيبة، ونحن نسمّها (قسٍ) وهي كلمة نوبية ومن الكلمات النوبية الكثيرة التي حرفت إلى العربية السودانية . كما ذكرنا في مواضع أخرى من الكتاب عن كلمات أخرى . وهي بمثابة (المطامير)، وهي أواني طينية ضخمة يخزن فيها البلح والحبوب من القمح والذرة، وحتى لا يصاب البلح بالسوس كان يتم رش

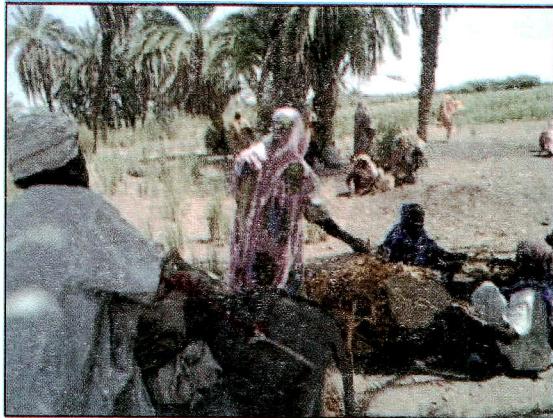


قليل من الرماد (الحبيوت) عليه ثم يحكم قفل القسيبة تماماً ، وعندما تفتح المرأة إحدى القسasib وتأخذ ما يلزمها كانت تعود وتحكم قفلها مرة أخرى ، هذه القسasib كانت مبنية من الأمام في شكل أقرب لشكل الأنثى بائداء بارزة، ربما إشارة الى الخصوبة، وكانت تزين برسم في شكل تماسح علي شكل الصليب.

من العادات النوبية القديمة بناء عتبة الباب الخارجي برسومات وزخارف فيها رموز وإشارات مختلطة ، تحيلك إلى كل العصور المختلفة التي عاشها المنطقة ، بعض هذه الإشارات والرموز تبدو واضحة في الصور، وبعضها الآخر لم تعد موجودة ، ولا توجد لها صور ، مثل قرون الثور ورؤوس التماسيع التي كانت توضع في أعلى العتبة ، وقرن الثور كان له إستعمال آخر فعندما يشعرون بوجود ثعبان داخل البيت كانوا يأتون بقرن الثور ويشعلون فيه النار . فتطرد رائحته الثعبان من من البيت.

وكانوا يمتنعون من قتل الثعبان ، في اعتقاد جازم بأن هذا الثعبان ربما كان من الموتى أهل المقابر ، أو شيخ من طفل جاء زائراً في شكل ثعبان ، وعليه فيجب التخلص منه دون قتله بإخراجه من البيت بوسيلة ما ليذهب من حيث أتي.

عيناكِ غابتَا نَخْيِلِ سَاعَةُ السَّحْرِ  
أو شُرْفَتَانِ رَاحَ يَنْأِي عَنْهُمَا الْقَمَرِ  
عَيْنَاكِ حِينَ تَبْسِمَانِ ... تُورَقُ الْكُرُومِ  
وَتَرْقُصُ الْأَضْصَوَاءُ كَالْقَمَارِ فِي نَهْرِ  
يَرْجَهُ الْمَجَادِفَ وَهُنَّا سَاعَةُ السَّحْرِ  
كَانَمَا تَنْبِضُ فِي غُورِهِمَا النَّجْوَمِ  
بَدْرُ شَاكِرُ السَّيَابِ



ما رأيتُ وما أكثر ما رأيتُ، أجمل ولا أحلي من غابة النخيل ساعة السحر، وما أحسستُ، وما أكثر ما أحسستُ، بإحساس فيه نشوة وعذوبة بأكثر من غابة النخيل ساعة السحر، إنه عالم آخر، لا يعرفه إلا من رآه، إنه تشبيه عبقرى من السياپ، لعيون ناعسات، ساحرات، يجلبن المبوى من حيث تدرى ولا تدرى، وتنتمن الجزيرة بوجود كميات كبيرة من النخل، غابات من النخل تحيط بالزارع والبيوت، بل هي قائمة حتى داخل البيوت، والنخل هو شجر التمر وواحدته نخلة ، والنخيل إسم جمع لا جمع نخلة ، وهو يذكى ويؤنث فنقول هو النخل وهي النخل ، أما النخيل فمؤنثه . والنخلة شجرة كريمة مباركة، ومن أروع الأقوال في حد الإنسان على الترفع عن الصغار، والإتصاف بالكرم والتسامح، هو طلب الشاعر له بالتشبه بالنخيل، إذ قال الشاعر:-

كَالنَّخْيَلِ عَنِ الْأَحْقَادِ مُرْتَفِعًا يَرْمِي بِصَخْرٍ فَيُعْطِي أَطْيَبَ الثَّمَرِ

وقد ذكرت النخيل في 23 موضعًا في القرآن الكريم ، وهي شجرة معمرة وقد يبلغ عمرها 500 عام ، ويبلغ ارتفاعها حتى 30 متراً، والنخلة صديقة البيئة لأن الإنسان يستفيد من جميع مكوناتها ، والنخلة هي الشجرة الوحيدة من بين الأشجار التي لا يتتساقط ورقها ، وكل جزء في النخلة له فائدة عظيمة ، ثمارها ، ليفها ، ساقها ، سعفها ، جريدها ، وخوصها ، ناهيك عن المواد العديدة الأخرى التي تستخرج من ثمار وأجزاء النخلة المختلفة . ثمارها غنية بكل مقومات الغذاء الازمة للإنسان ، من ماء ومعادن وأملاح وفيتامينات وسكريات وغيره ، ويمكن اعتبار التمور أغنى الفواكه قاطبة في محتواها من الطاقة الحرارية ، فحين نجد أن الكيلو قرام الواحد من البرتقال يعطينا 3000/ سعرة حرارة والعنب/800/ والموز/1000/ نجد أن الكيلو قرام من التمر يمد الجسم بما يزيد عن 500 سعرة حرارية ، ونحن نعلم أن رسولنا الكريم مكث شهرين على الأسودين (الماء والتمر)، وكان أهلهما يعتمدون على التمر في غذائهم، فهو مع الحليب كان يغذىهم عن كل ترف الطعام الكثير، بل كانوا أقوىاء.



جريدة النخل وجذعها يستعملان في تسقيف البيوت ، وللجريدة طريقة إعداد معينة قبل استعماله ، فهو يقطع من النخل ، ويترك حتى يجف، ثم يتم تنظيفه من السعف (كُسي ) ( KOSSI ) وتنتمي تلك العملية باستعمال المنجل (ترب ) (TIRIB) ثم يربط في مجموعات ويحمل على الحمير الى حافة النيل ، وينقع في الماء بعد ربطه في أخشاب ثابتة حتى لا يذهب مع تيار الماء ، ويترك هناك لعدة أيام فيتشرب بالماء وينتفخ ويصبح منا جداً ، وفي اليوم المحدد

للتسقيف، يحمل الجريد على الحمير الى المنزل المراد تعريشه ، وتكون المروق (الأغوات الخشبية السميكة التي تحمل كل مكونات السقف الأخرى) قد جهزت فيوضع الجريد فوقها ثم تبدأ عملية نسج الجريد وربطه ببعضه الى بعض باستعمال (السلك) وكانوا في ما مضى يستعملون حبل العشميق، أي المصنوع من الألياف التي تكون بين طيات جريد النخل. وعند النسج يبقي الجريد منا حيث يسهل ضمه الى بعض وربطه بطريقة متوازية، وكذلك يدخل الجريد في صناعة الـ (سلتي) (SILATTY) مع الـ (هَسْد أو الأَسْد) (hased) وهي سيقان القمح. والـ (سلتي) هو ما يصنع به الـ (كري) (KERRI) أي الراكوبة ، التي هي التعريشة المصنوعة بالكامل من مستخلصات الأشجار والنبات، ومن الجريد والسعف تصنع أواني منزلية كثيرة جداً ، وكان يستعمل الجريد كذلك في صناعة عناقرٍ كبيرة ضخمة تسمى (كوسى أقرى) أو (أنقري دول) وهذه كانت أسرة تتسع لعدد كبير من الناس ، ولم ينج الجريد من عبث الأطفال فقد كانوا يشقونه الى نصفين وهو ما زال معلقاً في النخل ثم يربطون همّاية الطرفين ببعض ويستعملونه كمرجيبة (شريبل) (SHERREEL) ، كما أن الأطفال كانوا يصنعون منه أدوات لعب أخرى كالـ (تاب) (TAB) أو الـ (كونيسة) وكانوا يصنعون الـ (ترجي) (TOROGGE) أو الـ (تاجي تاجي) من الـ (هَرَو) وهذا الـ هَرَو هو الجزء الأساسي الذي يتعلّق منه العرجون (السيطة). وهو ما يقطع من النخلة عند الحصاد . ويصنع من الـ هَرَو اشياء كثيرة أيضاً ، وكان الجريد هو أداة التربية الرسمية في البيت والمدرسة فكانوا يستعملونه عصاً لعقاب الأطفال بدنيا (الجلد) ، ومع نمو النخلة يقوم المزارع بقصطين الجريد وما تبقى من الجريد حول ساق النخلة يسمى (أيج أو أمباج) ويصبح الأيج هذا هو موطن اليدين والقدمين عند الصعود الى أعلى النخلة لتلقيحها أو لحصاد البلح ، وبعد حصاد البلح يذهب الأطفال وينبشون ما بين الأيج والأيم بالاضافة الى حلق النخلة (قلن قلن)، بين الجريد ، وبخرجون بحصيلة وافرة من البلح الذي أحتجز هناك أثناء قطع العراجين/السبائط . وتسمى هذه العملية بالـ (قلين دولاد) ، وكان الأطفال لا يحملون كيسا ولا إناء لوضع البلح ، بل يربطون وسطهم بحبيل أو بشق جريد ، ثم يضعون البلح في (العي) بكسر الباء ، يعني من فتحة القميص البلدي (العربي) عند الرقبة ، فيما تلئي الجزء المربوط وبشكل البلح كرشا كبيرة تفرغ في البيت في (قسيبة) صغيرة مخصصة للطفل ، ومنذ أن يبدأ البلح في النضج ، يبكر الأطفال الى النزول الى جناب التخييل لجمع الـ (توقين فني) وهي حبات البلح التي تساقط من النخيل نتيجة الرياح ، وكثيراً ما

كانوا يساعدون الرياح برمي النخيل بالحجر فتساقط كميات إضافية .

ومن ألياف النخلة الا (أشمي) (العشميق) تصنع الحبال ، وتكون حبالا قوية لها إستعمالات متعددة ، ومما نذكره أن آباءنا وأجدادنا كانوا يقطعون من الحبل، ويربطون هذا المقطع في الرأس حول الطافية بطرف واقف إلى أعلى ويشعلون النار في ذلك الطرف فيخرج منه دخان كثيف كان يطرد الا (الكتوي ماج) أي النمي ، تلك الحشرة الشتوية التي تتواجد بمئات الملايين، وتسبب تقرحات بلغة في الأذنين خاصة عند الأطفال ، وكان الأطفال يستعملون لبسه إسمها (كتن قبا) وهو قماش



شفاف وخفييف جداً كانوا يخبطونه ويفطونه ويفطون به الرأس كاملاً حتى الرقبة، وكلمة (أشمي) النوبية تحولت إلى عشميق عند الشايقية ، والذين هم في الأصل نوبة ، وكانت لغتهم حتى نهاية القرن الثامن عشر هي النوبية ، وقد دخلت كلمات نوبية الأصل كثيرة حتى اللغة العربية السودانية، وفي الغناء السوداني الخاص بالوسط النبلي ، وفي شعر المديح عند الشيخ حاج الماجي، وسوف يأتي الحديث عن ذلك. أما الجزء الأساسي من النخلة فهو الا (أمبوا) OMBO ( وهو الساق ، وللأمبوا إستعمالات عديدة ، يدخل الأمبوا في تعريش البيوت كحامل رئيسي حيث يرصن على مسافات محسوبة فوق قمة الحائط ثم يأتي السيسبان بفروعه المستقيمة كمساعد للمرق ليتم رص الجريد فوقه ، والأمبوا الواحد يشق إلى نصفين أو إلى أربعة حسب حجمه. تتكاثر النخيل عن طريق الفسائل (الشتول) وتسمى عندنا (assi) (assi) والكلمة تعني اصلاح النسل والسلالة عند البشر ومن ثم فهي في لغة الزراعة تعني النخلة الصغيرة التي تتفرع عن النخلة الأم وتنمو عند أسفل الساق (جذع النخلة) والfasial هي الطريقة المثلثy والأساسية لإكثار النخيل . وهي طريقة مضمونة للتکاثر، أما الإكثار عن طريق التوی فغير مضمون النتائج، حيث أن نسبة النجاح لا تتجاوز 20% . كما أن تمر شجرة النوى يكون تمراً رديناً يسمى عندنا (بكة) لا يتحول إلى تمر، وغالبية شجر النوى تكون (ذكر). وتتلخص طريقة الإكثار بالشتول بالإهتمام بالشتلة وهي ما تزال ملتصلة بالأم، فتدخل الشتلة في إناء مفتوح من الأعلى والأسفل ، ثم تفصل الشتلة بدرجة بسيطة جداً من الأم ، ويدخل الإناء بين الأم والشتلة في تلك الفجوة ، ثم يملأ بالتراب ويُسقي بالماء من أعلى فتتكون جذور جديدة خاصة بالشتلة وتستمر هذه العملية لمدة طويلة حتى يكتمل نمو الجنور في الفسيلة أو الشتلة، ويعتدل حجمها، وتبقى خضراء خالية من الأمراض والآفات الحشرية ، وعند فصل الشتلة يجب أن يراعي عدم تجريح الشتلة أو الأم ، وهذه الطريقة تمتاز بأنها تعطي ثماراً مشابهة للأم تماماً . ويتم فصل الفسائل التي عمرها بين 3 إلى 5 سنوات عن أمهاها البالغة من العمر 8 إلى 15 سنة وغرسها في موقع مستقل خاص بها. وتم عملية فصل الشتلة وغرسها في موسم معين ولا فقد تموت. ولتشجيع النخلة الأم على إنتاج الشتول يتم وضع كميات من التراب حول جذعها ورشها بالماء.

ووقت حصاد البلح (حش البلح) (فنتن مكري) من أجمل الأوقات ، تجد الناس كلهم مشتتين داخل غابات النخيل، هناك يقضون يومهم، يجمعون المحصول، والشخص المختص بقطع السبائك يتسلق النخلة بمهارة مكتسبة مع الوقت ، ويكون عادة من (العرب أو الأعراب) المستقررين في المنطقة (وليس لهم عادة أراض أو نخيل خاصة بهم)، ويقطع السبائك ويلقي بها أرضا، فيتشتت التمر، فيقوم الناس بجمعه، ثم ينتقلون إلى النخلة المجاورة، وهذا الإعرابي عندما يصل قمة النخلة يختار أكبر سبيكة لنفسه ويقطعها فتقع على الأرض، ويحتفظ له أصحاب النخيل بمحصول تلك السبيطة، ويتعاون الناس مع بعضهم البعض في جمع المحصول، وفي هذه الصورة الطريفة سخلة قررت الصعود لتأخذ نصيبها من من ذلك الرطب الجني . ودائما ما يصادف موسم المحصول موسم الدميرة (الفيضان)، فيأكل الناس الرطب ويشربون من النهر مباشرة، ماء الدميرة الطيفي ، وربما اكتفوا بذلك كوجبة كاملة. وكان بعض



الناس يأتون إلى أماكن الحصاد وهم يحملون شئ يسمى (دقة)، وهي شيء كالبودرة مصنوعة من ذرة شامية (مكادة) مطحونة ومحمصة على النار ومحلاة بقليل من السكر أو الشطة والملح . يبيعونها مقابل حبات من التمر، فلم يكن هناك قروش (نقد)، وكان البيع والشراء في معظمها بمقاييس السلع بالمحاصيل الزراعية او مستحقات الألبان، وكانوا يبيعون منها بملعقة مصنوعة من سعف النخل. كل ملعقة مقابل حبات من التمر، وفي هذا الموسم يسافر أهلنا من الخرطوم والمناطق الأخرى إلى البلد، لجمع المحصول من نخيلهم الذي يهتم بهما، في غيابهم، أفراد موكلون رسميأً من قبلهم، وإذا لم يحضروا، يقوم هؤلاء الوكلاء بإرسال نصيب



الشركاء لهم أينما وجدوا، وهذا الموسم من المواسم التي تشهد حركة كبيرة في البلد، فتجد الناس (طالعين نازلين)، وتتجدد الحمير تحمل شوالات البلح إلى البيوت، وإذا دخلت البيوت تجد البلح مكيناً ومنشوراً على البروش / الحصير في كل حوش، وتتجدد في ركن من الحوش عنقربياً، عليه نوع خاص من الرطب، وهو الذي يصنعون منه العجوة، والعجوة لا تصنع من أي تمر، إنما من أنواع معينة، لا تجف وفي نهاية كل يوم لحصاد التمر، يقوم أصحاب النخيل بتوزيع الصدقة على من لا نخيل لهم، وهذه الصدقة تسمى (كرامة)، وحصاد البلح يسمى (فنتن مكري)، وربما لا يعلم الكثيرون أن النخيل (تلّح) ، وعملية التلقيح أو (التأثير) تتم عن طريق الإنسان، فهناك النخل (الذكر) ونحن نسميه (فنتن أندى)، أو (إدمين فنتي أو أدم) قال تعالى : (و النخل باسقات لها طلع نضيد) الباسقات جمع باسقة وهي الطويلة العالية، و الطلع أول ما يطلع من ثمر النخيل، والنضيد بمعنى المنضود أو المترافق بعضه فوق

بعض، وفي الآية الأخرى (ونخل طلعها هضيم) أي أن ثمرها نضج ومتدل لكتته، وتظهر الأزهار في أشجار النخيل حوالي السنة الخامسة من عمر النخلة ، وهناك طلع نخل ذكر وطلع نخل أنثى ، وطلع الذكر يسمى (شماريخ) عند أهل الخليج ، وطلع الأنثى يسمى (أغاريف) وبوضع الشماريخ الذكورية في أغاريف الأنثى تتم عملية التلقيح (التأيير) ، ولا بد أن يتم ذلك خلال 3 إلى 7 أيام من ظهور طلع النخلة . وطلع النخلة (الأنثى) لا لون ولا رائحة له ولذلك فلا تنجدب إليه الحشرات ، أما طلع النخل الذكر ف أبيض اللون مائل إلى الصفرة وله رائحة ، ويقال أن طلع النخل فوائد علاجية للإنسان والله أعلم، ومراحل نضج التمر سبع مراحل كما جاء في كتب السابقين مع اختلاف في الترتيب عند البعض . (طلع وكافور وخلاق وبلح وبسر ورطب ثم تمر).

وتوجد من نوع النخل الذكر إثنين أو ثلاثة في كل جينينة، وهو يثمر مبكراً قبل النخلات ، وثمرة مختلف ، ويقوم بعض الناس بقطع هذا الثمر وعمل ربطات صغيرة منها ، وتترك هذه الربطات لتنشف ، وعندما تنشف ، تتحول الطبقة الفوقيّة منها إلى بودرة بيضاء ، فيقوم الشخص الملحق بوضع ربطات واحدة أو أكثر في كل نخلة عندما تثمر، وتلك البودرة هي التي تلتف، بعد التلقيح يبدأ الثمر في النمو ، وقليلًا قليلاً تكبر حبات التمر ، وتكون غامقة الخضراء ، وتسمى في تلك المرحلة بالـ (قلو) أي الدقيق ، والأطفال لا يصبرون حتى يستوي البلح ، بل يبدعون في أكل القلو (قلوندسي)، وحتى يؤكل القلو لا بد من (خرط) القشرة الفوقيّة الخضراء منه بالأسنان ، فللقرفة طعم حادق شديد المراة ، وهذه العملية كانت تسبب في تساقط القشر الدين على الملابس ، والملابس لم تكن إلا عارية بيضاء ، تتصبغ ببقع صفراء من ماء القلو ، وتبقى هذه البقع ولا تخرج من الملابس بالغسيل ، الغريبة أن هذا القلو يأكله الناس ولكنه ضار جداً للهائم ، وربما أدى إلى هلاكه، وإذا لم تلتف النخلة يفسد ثمارها، ولا يتحول إلى (كجكول) أو (سبو) يعني رطب ومن ثم لا يتحول إلى بلح ، وفي بعض الأحيان إذا كان ذاك (الذكر) في الناحية الشمالية من غابة النخيل، وإذا لم يقطع ثمره وتترك حتى ينشف، يتم التلقيح عن طريق الرياح، والثمر الفاسد يسمى (بكة) والتلقيح يسمى (ابري)، وفي بداية الثمر يسمى (دفي) ويسمى الشواية دفيق، لك (كدي) كديق (اوريق)، و(أسي) اسق،



إلى آخر الكلمات التوبية الكثيرة الموجودة في اللهجات السودانية المختلفة. وهناك أنواع كثيرة من البلح، أشهرها وأحسنها في الأكل والتجارة هو القنديل (أكندينة) وبعده يأتي البركاوي (ابتي). والبركاوي لا يأكله الناس عندنا ، إنما يخصص للبيع ، وهناك الأبي مودا ، الجاو والمودا والدكعني (وهو الذي كان يصنع منه الدكاي)، وهناك المشرق والكلما وأرمدية ، ومن الأشياء التي كان الأطفال يأكلونها إلى (الفنقلسى) وهو نوع من الصمغ تفرزه بعض أشجار السنط ، وأيضاً كنا نأكل الـ (بليلك) ، وهي قنديل ذرة يتحول لونها إلى سواد بسبب إصابتها بنوع من الفطريات

أعود الآن إلى الإعرابي الذي وضعه بين قوسين، فهو الذي كان يقوم بعملية التلقيح، وهو لغاء قوم أعراب، ونحن نسميه (أربابي) والمفرد (أراب)، وهم قوم لا أدرى من أين جاءوا، ولكنهم غير نوبة، إستوطنوا في مناطق مختلفة عندنا، وكانت لهم أحيافهم، عاداتهم وتقاليدthem، ولغتهم دارجة



عربة خاصة بهم، ولم يكونوا يعرفون اللغة النوبية، كانوا يتحدثون بها بطريقة مضحكه جداً، وفي النهاية أصبحت لغتهم خلطة طريفة ما بين النوبية والعربيه، وإذا أراد أن يقول أن المفتاح في الباب يقول (الكُشر في الكِيد) الكُشر يعني مفتاح، والكِيد يعني الباب، وإلي وقت قريب لم يكن هناك تزاوج بينهم وبين النوبية، وكان كثير من النوبين يستعففون منهم، ولا يأكلون منهم أو معهم، وجاؤوا بجمالهم، ومارسوا الأعمال الشاقة، كتلقيح النخل وحصادها، ونقل المواد والبضاعة بالجمال، وكانوا أثناء رحلاتهم بالجمال يغنوون ويترنمون بأغان لم نكن نفهمها، وهي الحداء، كما كانوا نسمع منهم الدويبيت، وكانوا دائماً يتباهون برجولتهم وقوتهم ، وفي مناسبات الأعراس كانوا يمارسون (البطان) أي ضرب السوط ، وحتى العريس منهم كان يشارك، ويرتبط الجلد بالمرأة والمحبوبة ، فهنالك في كثير من الأحيان حوار غير منطوق بين المعشوقه والرجل الراكز للبطان(الجلد) تمنع التقاليد من البوح به صراحة ، لكن يترجم ذلك الحوار في صورة الجلد مُعبرة في شجاعته وفروسيته وتحديه للكل من أجلها ، وكانوا يحلفون بالطلاق على عكس النوبة الذين لا يحلفون بالطلاق على الإطلاق، وإلي وقت قريب كان يعتبر من العيب أن يعمل النوب (جمالياً)(أبالة) والجمل نسميه (كم)، أما الآن فإنهم تقريراً ذابوا في المجتمع النبوي واحتلوا بهم ، وحدث التزاوج ، وأشتغل النوبة (جماليين أبالة) ، وتلك سنة الحياة ، سنة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، وكان منهم رجال عقلاء، إنتمد عليهم النوبة في كثير من الأعمال، مثل موسى أراب، وعيسي أراب، إشتهروا بالشجاعة والشهامة والأمانة، وكان عيسى بصيراً، يعالج الكسور، وكان عبد الرحمن أراب مشهوراً، إذ كان أول من تخصص في زراعة الخضروات فقط ، وقد كانت الخضروات دائماً تزرع داخل المزروعات الرئيسية، وهي القمح والذرة، أو يخصص لها مساحة صغيرة، أو تزرع على حافة الجدول، أو على التكمد، أما أبناؤهم فأحتلوا معنا، وأجادوا النوبة، ودرسوها معنا في المدارس، وأغتربوا معنا في الخليج ودول الغرب.

## . ٦.

كان الناس. وما زالوا يتبادلون المنافع في ( بدین سوق ) . وما بدین سوق سیداتی سادتی إلا سوق بدین، بلغة العارية والمستعربة. وتحن في الأساس قوم أتعاجم، وليس اللّغة العربية لغتنا الأم، ما جاءتنا إلا عن طريق المثقفة التاريخية المعتمدة، وما تعلمناها إلا في المدرسة، عن طريق القراءة أم دق ، أما الجزيرة ( بدین ) فتحدث اللغتين النوبيتين بفخر وإعتزاز. وسوق بدین ( سوق الله أكبر ) ككل الأسواق، فيه ما في كل أسواق الدنيا، فيه الصدق، وفيه الغش، وفيه الإستهبال، فيه من إذا إكتال علي الناس يستوفي، وإذا كالهم أو وذهم يُخسر. فيه المشاغلة والمغازلة والتحبب والإستعراض، فيه الشخصيات الظرفية والطريفة، فيه الدرويش والمجنون، وأنا ما كنت مسؤولاً، ولم أكن أحب السوق، ولا أحبه إلى يومنا هذا، وليس في الأمر زهد، للعسرة، ولكن لفلس صاحبني وصادقني وزاملني ولازمي منذ الطفولة، فانا وهو ( ترعرعنا ونشأنا ندائنا )، ولجيوب مقدودة، غلبي سدتها، فوسعـت قـدـها فـلم تعد تـمسـك لا ديناراً ولا دولاراً. في المرات التي كنت أزور فيها السوق كنت أذهب وأجلس بجانب جدتـنا حبـوة سـلوـمة رحـمة الله رحـمة واسـعة، وكانت حبـوة سـلوـمة ( كـنا نـنـادـهـا بــيـوـة سـلوـمةـ )، كانت تجلس بجانب إبـهـا خـالـي جـمـعـة أـحمدـ هـمـتـ، الذي كان تاجـراً بالـسوقـ، وهي والـدـةـ أـخـوـاـلـ الأـعـزـاءـ مـهـدـيـ، جـمـعـةـ . إـدـرـيسـ . عبدـالـقـادـرـ، عبدـالـهـابـيـ، عبدـالـعـالـ، وفـاطـمـةـ أـحـمـدـ هـمـتـ، كـنـتـ أـذـهـبـ الـهـاـ فـتـرـجـبـ بــيـ، وـتـأـخـذـنـ بــالـحـضـنـ، وـتـعـطـفـ عـلـيـ بــ( الفـزـيـ)ـ أـبـوـ قـرـشـينـ، فـأـشـعـرـ بــالـغـيـ وـتـعـمـيـ بــالـفـرـحـةـ، وـالـفـرـيـنيـ كـانـتـ عـمـلـةـ مـعـدـنـيـةـ صـغـيرـةـ جـداـ، تـسـاويـ قـرـشـينـ، أـربـعـةـ تـرـيفـاتـ، وـالـتـعـرـيفـاتـ كـانـتـ مـتـدـاـولـةـ فـيـ ذـلـكـ الـوقـتـ، ( الـكـلـامـ دـهـ مـاـ بــعـدـ يـاـ جـمـاعـةـ )، قـبـلـ كـمـ وـأـربعـينـ سـنـةـ بــسـ)، وـكـنـتـ أـشـتـرـيـ عـيـشـةـ بــتـعـرـيفـةـ، وـطـعـمـيـةـ بــتـعـرـيفـةـ، ثـمـ بــطـيـغـ بــقـرـشـ وـأـذـهـبـ إـلـيـ أـتـمـطـيـ، وـلـمـ يـكـنـ مـنـ عـادـةـ أـهـلـ بدـنـ أـنـ يـفـرـشـواـ أـكـلـ فـيـ السـوقـ، بــلـ كـانـ يـأـتـيـ أـخـرـونـ مـنـ كـوـمـةـ لـتـلـكـ الـمـهـمـةـ، كـانـ فـيـ السـوقـ رـجـلـ أـزـهـرـيـ، كـانـ يـدـرسـ فـيـ الـأـزـهـرـ نـمـ أـصـابـهـ مـسـ كـلـيـ، فـعـادـ وـأـسـتـقـرـ بــهـ المـقـامـ فـيـ الـبـلـدـ، كـانـ يـأـتـيـ إـلـيـ السـوقـ وـيـقـيمـ رـكـنـ نقـاشـ مـمـتـعـ، يـفـتـيـ وـيـفـسـرـ الـآـيـاتـ وـالـأـحـادـيثـ كـمـاـ يـرـيدـ، وـلـهـ تـفـسـيرـاتـ غـرـبـيـةـ لـعـضـ أـيـ الـقـرـآنـ . إـذـاـ غـالـطـهـ كـانـ يـشـتـمـلـ بــكـلـمـةـ إـشـهـرـ بــهـاـ فـيـقـولـ لـكـ ( أـسـكـتـ يـاـ لـوـحـ )ـ، وـكـانـ جـمـيلـ الـخـطـ، يـمـسـحـ الـأـرـضـ وـيـكـتـبـ عـلـهـ، أـمـاـ أـعـجـبـ مـاـ فـيـ السـوقـ فـكـانـ الـجـازـارـ، عـجلـ صـغـيرـ يـذـبـحـونـهـ وـيـقـطـعـونـهـ فـيـتـكـأـكـاـ عـلـيـهـ أـهـلـ السـوقـ جـمـيـعـاـ، فـيـ زـحـمةـ لـاـ رـحـمةـ فـيـهـاـ كـلـ يـرـيدـ نـصـيبـهـ مـنـ ذـالـكـ ( الـأـلـجـ )ـ اوـ ( الـكـشـوـ )ـ الـلـحـمـ الـعـجـالـ الطـازـجـ، يـقـفـونـ أـمـامـ الـجـازـارـ وـيـتـصـابـيـعـونـ فـيـ وـقـتـ وـاحـدـ، هـذـاـ بــطـالـ الـجـازـارـ بــنـصـفـ كـيـلوـ، وـتـلـكـ تـطـالـبـ بــرـبعـ كـيـلوـ ( اـبـقاـ رـيوـ وـيـكاـ )ـ، وـصـاحـبـ مـيـسـرـةـ يـطـالـبـ بــكـيـلوـ كـامـلـ، وـالـجـازـارـ يـعـملـ كـالـسـاحـرـ، فـيـ خـفـةـ عـجـيـبـةـ جـداـ يـقـطـعـ قـطـعـةـ لـحـمـةـ مـنـ هـنـاكـ، ثـمـ عـظـمـ وـشـحـمـ، وـيـضـعـ كـلـ ذـلـكـ فـيـ الـمـيزـانـ، وـقـبـلـ أـنـ يـسـتـوـيـ الـمـيزـانـ وـبــسـرـعـةـ خـاطـفـةـ يـرـفـعـ الـلـحـمـ وـيـلـهـاـ لـكـ فـلاـ تـعـرـفـ مـاـ أـعـطـاـكـ لـاـ بــعـدـ أـنـ تـصلـ الـبـيـتـ، وـأـنـاءـ ذـلـكـ، عـنـدـمـاـ تـقـعـ يـدـهـ عـلـيـ لـحـمـ طـريـ يـقـطـعـهـ وـيـلـهـاـ فـيـ فـوـطـ مـشـبـوـهـ، وـيـدـسـهـاـ تـحـتـ الـدـرـجـ، ذـلـكـ لـلـخـواـصـ، وـلـكـ إـمـرـيـ خـواـصـ، وـفـيـ كـلـ ذـلـكـ يـطـلـقـ الـجـازـارـ عـبـارـاتـ بــذـيـلـةـ، وـيـتـحـدـثـ بــلـغـةـ غـيرـ نـظـيـفـةـ، لـغـةـ لـاـ يـسـتطـيـ

إستعمالها خارج الجزايرة، ولكن تلك محميته. يقول من داخلها ما يريد. فلا يحاسبه أحد ، كأنه في الهابيد بارك حيث كل حديث مباح.

وكان أهل بدين يذهبون أيام الأحد إلى سوق كرمة النزل . كانوا يسمون كرمة (اورنا) وسوقها (أرتان سوق) . و(اورتا) هذه معرفة من (الأورطة) . يعني معسكر الجيش . لأن الجيش التركي في طريقه إلى الخرطوم نزل بكرمة ، ومنها أخذت اسم كرمة النزل . وكان سوق كرمة النزل هو السوق الرئيسي للمنطقة كلها، بانته الناس من الشمال والجنوب، والذهاب إلى سوق كرمة النزل بالنسبة لأهل الجزيرة كان فيه نوع من التزه والتغيير، وكانوا يستمتعون تماماً بتناول وجية في مطاعم السوق، او تناول (حاجة باردة) من المحلات القليلة التي بها ثلاجات، ك محل محمد سعيد كرشاب، أو تناول شراب ساخن كان إسمه (سحلب) من الأكشاك المنتشرة على شاطئ النيل، وكانت كرمة النزل علي صغرها هي المدينة، وكان بها مركز بوليس فيه شرطة لا عمل لهم. يجلسون تحت الأشجار، يشربون الشاي، كنا نمر بكرمة في (الخميسيات)، في طريقنا من وإلي البرقيق، حيث درسنا الثانوية العامة، ففي عام 1972 إنقلنا، من مدرسة شبة الإبتدائية إلى البرقيق الثانوية العامة، كأول دفعة من شبة. إنقلت دفعتنا بكمالها إلى البرقيق، وقد تكونت الدفعة من:

حسب الحروف الأبجدية، والإعتذار مقدماً إذ سقط أحد الأسماء من الذاكرة:

الجزولي سعد الدين محمد

إبراهيم محمد إبراهيم (رحمه الله)

ناج السرعكاشة إدريس

سليمان عبد الواحد

(صلاح) صالحين محمد حامد

صلاح علي حسين ابو ضرور من (رحمه الله)

علي عبد الرحيم علي بشير

عبد الله عثمان محمد عادل

عبد العظيم عبدون عبدالقيوم

علي محمد إبراهيم

عبد الله علي عمسيب

عوض جمعة محمد علي

عبد الرحمن عبد الرحيم محمد خير

عبد الله محمد عبد الله

عبد الله حسن نوري

فاروق عبد القادر فضل

فاروق جمعة محمد علي

كمال سيد أحمد عثمان

محمود محمد طه

مجي الدين عبدالون طه

محمد لطيف عبد الواحد

محمود حسن محمود

محمد عثمان خليفة (رحمه الله)

ميرغني إدريس كبوش

محمود عوض الله طه

محمد أحمد فرج ترجمان

محمد لطيف عبد الواحد

محمد عبدالجليل أحمد

مصطففي إسماعيل عثمان

مصطففي عبدالون (سكرباب)

محمد فقير علي

وهناك وجدنا أمامنا الكثرين من أبناء بدين من المدرستين الشمالية والجنوبية في الفصول المختلفة. كانت المدارس الإبتدائية حتى ذلك الوقت تسمى (أولية). والثانويات العامة تسمى (وسطي). كنا في رابعة أولية نحس بالغفر والإعتزاز لأننا ممتحنون للوسطي. وكانت للمدارس الوسطي في ذلك الزمن (سنة ورنة)، وكان طيبة الوسطي يتبعثرون في الحي كأنهم في أكسفورد. ونحن في ذلك الحلم الجميل، إذا بالدكتور مجي الدين صابر يخرج علينا بإختراعه سبي الذكر (السلم التعليمي)، والذي بموجبه تم إضافة فصلين دراسيين في الأولية لتصبح 6 سنوات. وتصبح المدرسة (ابتدائية)، فتبخرت أحلامنا، وأجبينا للبقاء في مدارستنا حتى العام الدراسي السادس، بعدها ذهبنا إلى البرقيق لنجدها وقد أصبحت (ثانوية عامة) بدلاً من وسطي. كان السلم التعليمي كارثة من كوارث السودان إلى الكثيرة، فهناك سياسات تضر بالبلد وأبنائها لفترات طويلة، والسلم التعليمي هو ما أوصل التعليم في السودان إلى هذا المستوى المتدني الذي نراه الآن. وعلى كل حال ذهبنا إلى البرقيق بكل ذلك التشوّق لإرتياhad مرحلة أخرى. وبكل ذلك الإحساس المتضارب عن السكن في الداخلية، والتعرف على (غرياه) ليسوا من بدين. وكان للكثرين منا هي المرة الأولى التي نخرج فيها من الجزيرة، فاذن هو مشروع اغتراب وابتعاد عن الأهل. ذهبنا ونحن نحمل شنط الصفيح، بها قليل من الملابس مع الرداء (الشورت) والقميص الكاكي، وكثير من البلح والقرقوش. والبرقيق تقع

جغرافياً في منتصف الطريق تقريباً. ما بين كرمة التزل وأرفو، جنوب كرمة البلد. شرق جزيرة أرتقاشي، وهي منطقة زراعية أساساً. بها أحد اقدم وأكبر المشاريع الزراعية في الشمالية، وكان بها ايضاً المستشفى الرئيسية للمنطقة بأكملها، من فرق شمالي، إلى حدود دنقلاً جنوباً، والمدرسة، والمشروع الزراعي. كلها منشآت (استعمارية) من أيام الإنجليز، وكانت الفصول، ومكاتب المدرسين، والداخليات، والسفرة أي قاعة الطعام، وبيوت المدرسين مبنية بتخطيط رائع، الفصول ومكاتب المدرسين من الناحية الجنوبية، وأمامها ساحة لطابور الصباح، وبها مسرح الجمعية الأدبية، وعلى بعد من هناك ترى المستشفى بعديقتها الجميلة. ومن خلف هذه المباني من الناحية الشمالية، (فَسْخَة) كبيرة، بها ميدان كرة السلة أو الطائرة، لا أذكر، وبها ايضاً مبني صغير مكون من غرفة وبرندة وحمام، كان هو سكن المدرس المشرف والممسؤل عن الداخلية، وفي نهاية هذه الفسخة من الناحية الشمالية توجد مباني الداخلية، وخلف الداخلية ميدان كرة القدم، في مساحة كبيرة مفتوحة على الفضاء، وفي نهاية الداخلية من الناحية الشرقية الجنوبية يوجد المطبخ والسفرة، وكانت السفرة تقدم طعاماً شهياً ومتنوّعاً لا يعلم به الطلبة الآن . وكان عمّ خميس من اجود الطباخين. شب درجة أولى ، ثم الطياخ عبد الرحمن . ومن أيام الأكلات سردین إنجلزي عجيب، كنا نأخذ منه إلى البيوت في الخمسيات، أشهي سردین ذقته في حياتي، ومن أيام الأكلات المفضلة في الأسبوع يوم الفاصوليا، أما أكثر الأيام الذي كان يتذمر فيه الطلبة فكان يوم (البراطيش)، وهو الباذنجان الأسود المطبوخ بالبصل والمصلصة ، كنا ندخل السفرة متدافعين بالمناكس . وناكل واقفون ومستعجلون ، ليس لأمر ينتظروا بل لنسبق الآخرين ببعض لقيمات . والجوع كافر ، والطعام قليل ، والقاعة ملأى باصحاب الكروش الكبيرة ، من الذين كنا نراهم عمالقة ، نعن أصحاب الأجسام التعلية ، أن تأدبنا عدمونا اللقمة ، فكان لا بد من (الهاميد) ، ومن الطرائف هنا أتنا بعد التخرج من البرقيق تفرقنا في المدارس الثانوية العليا، ومن الذين ذهبوا إلى كورني. الأخوة فاروق جمعة، وعبد الرحمن عبد الرحمن، وعندما سافروا إلى كورني توّقفوا في احدى المحطات، ودخلوا أحد المطاعم، وطلّبوا أكلًا، ومن ضمن ما عدده لهم الجرسون كان الـ (مسخة). وبدأ لهم الإسم شهياً، فطلّبوا، فإذا بالجرسون يأتيهم بالبراطيش، الذي تركوه خلفهم في البرقيق.

وعلى مسافة ليست بعيدة من مبني المطبخ والسفرة ترى الترعة، الجدول الرئيسي للمشروع الزراعي. ومن الناحية الغربية للداخليات بتفاصيل صغير توجد بيوت المدرسين، وكانت المدرسة بكل ملحقاتها تحتل مساحة كبيرة جداً، ولذلك لم يكن هناك سور، وعدم وجود سور يعطي المرء احساس بالحرارة المكانية، وعدم الإختناق، عرفت لأنّ أهتم بنوا سوراً شوّهوا به منظر المدرسة. بين المدرسة والمستشفى من الناحية الغربية، كان يوجد سوق البرقيق، الذي لم يكن يهمنا منه غير مطعم واحد، هو مطعم عمّ عثمان . كنا نأكل عنده الفول، صباحاً أو مساء، اذا سمحت الإمكانيّة الماديّة، التي لم تكن تسمح إلا قليلاً، ثم مطعم عبده قسم ، ودكان مسكن الذي كنا نشتري منه الطحينة ، كنت أتمنى أن أزور المدرسة لو سمحت الظروف، وقد أصابني حزن شديد حين رأيت صور المدرسة في المنتدى، فقد هُمِّلكت تلك المباني الجميلة، وأصابتها آفة الإهمال وعدم الصيانة، وتلك مصيبة من مصائب الحكومات السودانية.

مركبة أو ولانية ، فهي لا تعرف شيئاً يسمى صيانة، رغم أن الصيانة هي روح المباني، وبدون الصيانة تهدم، ولكن لا حياة لمن تنادي.

عندما كنا (نسافر) من جزيرة بدين إلى البرقيق، كنا نضرب مشواراً طويلاً (كداري)، إلى مشروع البنطون في سقдан، مقابل كرمة النزل، ولكن في سنتنا الأخيرة في البرقيق دخلت البكاسي بدين، وأصبحت تأخذنا من أمام بيوتنا إلى مشروع البنطون في معدية كرمة، ثم من كرمة النزل، كنا نأخذ البكاسي، ومن أشهر مواقف البكاسي في ذلك الوقت، محمد محمود، فضل أحمد، كلنتون، محجوب، وفي مشروع البنطون ومحطة البكاسي كان يلتقي (الجماهان)، أولاد مدرسة البرقيق، وبينات مدرسة كرمة البلد، هناك كان يتم كثير من حدث العيون، ذو الشجون، والفنون، والفتون، العيون العوراء، والساحرات، والفائزات، والناعسات، والماكرات، والكحلاة، والدعاجاء، والنجلاء، وعيون المها، والتي تعجب البوبي، من حيث يدري الطلبة ولا يدرؤن، كلها كانت تنطق وتتحدث، وتبتسم وتضحك وتقول، وتفيض في القول، والأفواه صامتة.

أشارت بطرف العين خشية أهلها ...: إشارة محزن ولم تتكلم فأيقتنت أن الطرف قد قال مرحباً ...: وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتم

وكانت تتم محاولات يائسة لتبادل الرسائل، القصيرة منها والطويلة، الجيدة والركيبة . الصادقة والخبئية . ثم تتحرك البكاسي نحو الجنوب إلى المدارس، البنات داخل البوكسن ، والأولاد (مسطحين) . ثم تنزل البنات في كرمة البلد ، قبل البرقيق، فيحسن الشباب بفراغ البكاسي، وفراغ الأفندة والقلوب، وتببدأ أحلام اليقظة، والإنتظار المشوق للخمسينيات القادمة ، وزيارة البيت والحلة في هذه الخمسينيات كانت مهمة ، إذ تؤدي إلى تغيير إيجابي في نفسيات الطلبة ، فقد كانوا ينعمون بدفق الأسرة ، ويستمتعون بأكل البيت ، ويعودون ببعض الزاد من قرقوش وبلخ ، وربما بعض الزاد العاطفي من مقابلة حبيبة القلب.

كان مدير المدرسة علي أيامنا في بداية السبعينيات هو الأستاذ فؤاد عثمان الشيخ ، من أبناء دنقالا ، وكان قد أنجب ثلاث بنات، وكان يتفاءل بذلك، ويردد حديث الرسول(ص)، ويقول أنه سوف يحسن تربيتهن ليدخل الجنـة، وكان للأستاذ فؤاد نكتة واحدة يرددتها كلما طلب منه إلقاء نكتة ، والنكتة تتحدث عن جبن اليماني رغم أنهم ليسوا بجبناء ، والنكتة تقول (خرج أربعين يماني لإصطدام الأسد . فقابلتهم البرة بنت عم الأسد ، عشرة هروا ، عشرة فروا ، عشرة طلعوا الجبل ، عشرة جاءوا الخبر)، جاءنا بعده الأستاذ الأمين علي إسماعيل مديرًا ، أما وكيل المدرسة فقد كان أستاذنا الكبير عبد الفتاح محمود .. وكان هو المسئول عن الطابور، وكان عبد الفتاح مهباً له شخصية طاغية، إلا أنه واجه إمتحاناً صعباً من الطلبة، ففي إحدى السنوات، ونحن على أبواب الإجازة السنوية، إنطلقت إشاعة تقول أن وزارة التربية والتعليم سوف تمدد السنة الدراسية، فاتفق الطلبة على الخروج في مظاهرة احتجاجية، وفي صباح اليوم الموعود، وبعد الانتهاء من إجراءات الطابور طلب الأستاذ عبد الفتاح من الطلبة التوجه إلى الفصول، فما كان من الطلبة، حسب الخطة، وتحت دهشة الأستاذ وعدم تصديقه، إلا الدوران والتوجه إلى

خارج المدرسة. فنادي الأستاذ للناظر (يا فؤاد حصل أولادك). في ذلك اليوم توجهنا من البرقيق إلى كرمة التزل، مشياً على الأقدام، ومن كرمة التزل مروراً بالبرقيق دون التوقف بها واصلنا إلى أرقوا. ثم عدنا أدراجنا من أرقوا إلى البرقيق، وفي كل هذا تلقينا الدعم الأكيد من الأهالي في كل المناطق، فزودونا بالأكل والشراب. ولكن الطريف أننا إكتشفنا في اليوم التالي أن الإشاعة لم تكن صحيحة، وأن الوزارة بريئة من الإهتمام.

وكان من المدرسین المحبوبین لدى مولانا الأستاذ محمد الحسن محمد موسي، من خريجي الأزهر، وكان يدرسنا العربي والدين، وأنذكره تماماً وهو يكتب في السبورة ببيه الشمال (أكلن أحمد الكماري) ثم يطلب من الطلبة الإعراب، رحمه الله، والأستاذ عبدالله علي (سخانة)، ولا اذكر ان جاءنا بهذا اللقب، ام اننا من اكرمناه به، كان استاذ لغة انجليزية ممتاز، كان اسمراً قصيراً، يدخل الفصل وهو يحمل سوطاً اطول منه، كان يدرس المادة بعنف شديد، يضع اختبارات اللغة بصورة جميلة، مختصرة وشاملة في نفس الوقت، كان يوزع ورقة الاختبار علي الطلبة في وبينما هم مشغولون بالإجابات، يتخلل في الفصل، ويراجع عمل كل واحد، ولم يكن يتعمل ان يخطئ الطلبة في الإجابة، فيصبح لك الإجابة الخطأ، كانت مادة اللغة الإنجليزية هي مادتي التي احبها، للأستاذ ابراهيم تركمان، بينما كان ما زال علي قيد الحياة، وله المغفرة، اذا انتقل الي رحمة مولاه. ثم الأستاذ ابراهيم تركمان، والأستاذ جمال عباس، من كرمة البلد، كان ذو شعر كثيف، والأستاذ الأمين حسن خيري، أيضاً من كرمة البلد، مدرس لغة عربية، كان يليس نوعاً معيناً من الجناليب الملونة، كان جهوري الصوت، ساخراً، والأستاذ محمد ساتي زيادة، من جزيرة أرتقاشه، عرفت انه في مكان ما في أمريكا، له التعية، والأستاذ محمد ابوبكر، والأستاذ عبد المعطي هاشم، أستاذ الجغرافيا، تكرم عليه الطلبة فلقبوه بـ (كوناكري)، وهي عاصمة غينيا وميناؤها الرئيسي، وكان الأستاذ ينطقها بطريقه بدت للطلبة طريفة فسموه بها، والأستاذ عبدالماجد سيد طاهر، من خريجي الأزهر، من وادي خليل، علي ما ذكر، والأستاذ محمد عبدالقادر قورتي، والأستاذ يوسف الفرجاني من أبناء السليم، والأستاذ عبد المجيد محمد عبد المجيد، من أرقوا. كان هو المشرف علي الداخلية، وكان رغم قصره رياضياً ممتازاً، والأستاذ سليمان محمد علي، من أبناء مشروع البرقيق، والأستاذ جعفر قمر، والأستاذ عبد الرحمن عبد الرحيم، أما من أبناء بدین الكثیرین في المدرسة فكان هناك طالب اسمه هاشم، لا اذكر اسمه بالكامل، كان ضخم الجلة، طويلاً، عريض (المنكعين) كان بعض الطلبة ينادونه بصيغة الجمع، (هاشمشو). ومن الطلبة المميزين والمتوفين جداً، الأخ محمد عثمان سالم، من أبناء آرتقاشه، تنبأ له الجميع بأول السودان، كان حاد الذكاء، متقد الذهن، اول المدرسة دون منازع، كانت فيه إشارات لبعض القلق، وعدم الاستقرار النفسي، كان كثير الحركة سريعاً، لا يطيق الجلوس مدة طويلة في مكان واحد، انتقل الي مدرسة دنقلا الثانوية العليا، ثم تحت ظروف غامضة انتحر حياته انتصاراً، ومن زملائي في البرقيق صديقي مولانا القاضي الشاعر الأديب عبدالله زمراوي، وكنا صغار العجم، نجلس في الصف الأول، ولعبدالله أهل في بدین، فوالدته لها الرحمة من أسرة (حاكم) المعروفة في سقдан، كنا نحن نسكن في الداخلية، بينما كان هو (خارجي) من كرمة البلد، يأتي الي المدرسة ممتنعياً حمارته البيضاء (الداراوي) وكانت

حمارة مولانا أثيرة لديه، يطلق عليها أوصاف عديدة . وكان يشرب لبنيها لعلاج (الكتكوت)، تلك الكحة العجيبة، التي لم نكن تعالج إلا بلبن الحمير . وكلنا تجرعنا تلك الكأس العمارة الشافية ، وكان معنا من كرمة البلد أيضاً الإخوة محمد عبد الرحمن لونا، لاعب البرقيق الشهير، وعبدالحفيظ مظلوم، ومحمد حامد أبوبيكر، وأنقلوا معنا إلى عربي، توفيق حسن، وجمال عبدالناصر، وخالد فرجة، وقرشي محمد يعقوب، ونور الدين مدنى، وعثمان الأمين، وأخرون نسيت أسمائهم، وكان معنا من أبناء المشروع الأخ مصطفى نصر. وكان من أصدقاني، كان شغره لا هو سببي ولا هو فرقده، وكان يبذل جده ويقضى الوقت الطويل وهو يحاول تصفيقها، وعندما يأتي إلى المدرسة يقول له الطلبة (ياخي ما تسرح شعرك ده) فيمتنى غيظاً، أما أشهر لاعب كرة القدم فهو محمد عبد الرحمن (لونا) ومحمد سيداحمد وكامل محمد سعيد وكمال حسن فرح والسر حسين ومحمد أحمد فرح (بوكو) ، ثم ثانى الغناء إمام وجعفر وكان هناك عمنا صديق الطلبة السقا عثمان ، والفاراش كمال محمد أفندي.

أما مستشفى البرقيق فقد كانت من أولى المستشفيات (الدرجة أولى) التي أنشئت في الشمالية كلها ومعها مستشفى دلقو، مستشفى متكاملة مبنية على طراز إنجليزي فاخر، كانت مكتملة الأقسام ، بها ممرضين وممرضات مدربون ، عنابر نظيفة . طعام مجاني ذو قيمة غذائية عالية . غرفة عمليات مكتملة . نظام دقيق . أطباء في منتدى التأهيل والمعرفة . وأشهر الأطباء الذين مرروا على المستشفى هو الدكتور أمين صقر، طبقة شهرته آفاق المنطقة كلها . حتى أن كثيراً من المواليد سموا باسمه تيمناً . ومن العاملين في المستشفى في ذلك الوقت عمنا السمانى كنته ، رحمة الله . وقد كان رجلاً أميناً أو شبه أمنٍ . نعلم الطب بطريقة ما . وعمل صيدلانياً يصرف للناس الدواء ، وكان يقوم بقراءة الوصفة (الروشتة) المكتوبة بتلك المصطلحات الإنجليزية الصعبة ، وكان هناك أيضاً من الممرضين (جمعة جابر) الذي كان فناناً يعزف العود ويفني ، وكان في المستشفى جمع من الدراويش وفاقدي العقل . منهم الولي ساتي فقير، الذي كان يهتم بالزراعة والأشجار في حدائق المستشفى . وكان أثناء عمله بتريم بأغانى وردى في صوت جميل.

في عام 1975 م . ونحن نأمل بالسفر جنوباً للالتحاق بالثانويات العليا، أراد حظنا أن نسافر شمالاً، إلى عربي، فتجمعنا من الجزيرة، أنا، الجزولي سعد الدين، صلاح توفيق، محمود توفيق، يحيى فضل حاكم، عبد البال خالق ساتي، حسين أحمد فضل، ميرغني إدرiss، ومعنا من دقنى محمد معى الدين زمراوى وعبد الرحمن حسن أبوزيد، سبقني الجميع في الوصول إلى المدرسة، التي كانت جديدة، وكنا أول دفعه فيها، تأخرت أنا قليلاً نسبة إلى مرض والدي رحمة الله، إذ بقيت معه في مستشفى البرقيق، ووصلت إلى عربي بعد أسبوع أو أكثر من انتظام الطلبة، ورغم عدم رمضان في البداية عن المدرسة إلا أنها أحببناها وقضينا فيها سنوات جميلة، وجدت الداخلية مليئة بطلبة نوبين من كل قرى النوبة، ومعهم عدد بسيط من غير الناطقين بالنوبية، أذكر منهم إثنين من أبناء الشوايقة، عوض .... ومحمد سليمان، وأثنان من كرمة النزل، كان هؤلاء غربي اللسان، خاصة أخونا الشايقى محمد سليمان، الذي كان يحسن بغريبة حقيقة، كان يتغلب عليها بالدندنة بالشعر والغناء الشايقى، أما بقية الطلبة فكانوا نوبة أقحاح، جعلوا من حوش الداخلية حلقة دائمة للغناء النوبى، وتدخين القامشة، والشغب والمطاردات التي تستمر طول

الليل، إستفدىنا كثيراً من وجودنا في عربي في جانب الثقافة النوبية، خاصة اللغة، والتي وإن كنا نتحدث بها إلا أنها تختلف قليلاً عن لهجة حلفا والسكوت، ورغم أن الداخلية كانت في طرف المدينة الشرق، إلا أنها لم تكن تبعد عن النيل كثيراً، شأن مدن وقري النوبة الملتصقة دائماً بالنيل، فكنا نتمتع بالذهب والتجلو في الشاطئ، كما أن سوق عربي لم يكن بعيداً، فتري الطلبة في مجموعات صغيرة، ذاهبين إلى السوق أو عائدين من الشاطئ، بينما ترى الآخرين مجتمعين في ميدان كرة القدم، لمشاهدة عبدالجي ولوانا وختمي، الذين كانوا يتفنون في اللعب ، ويجتمع البعض الآخر قرب دكان عمنا (عباس)، لست متاكداً من الإسم ، وكان تاجراً ظريفاً، إذا قلت له عندك طحني يقول لك عندي جبنة ، وإذا قلت له عندك صابون يقول لك عندي (ظهر)، لم يكن يجب أن يقول لا ، بل يعطيك خيارا آخر.

نذكر من أساتذتنا الكرام، الأستاذ سيف، لا أذكر إسمه بالكامل، جاء ليُدرس اللغة الفرنسية، التي كانت اختيارية، فتكاسل أبناء النوبة عن اختيارها، بحجة أنهم لم يتعلموا حتى اللغة العربية بعد، فلا حوجة لهم بالفرنسية، فحمل الأستاذ سيف متابعه وغادر المدرسة بعد أسبوع من بداية السنة، ونذكر الأستاذ محمد محمود، والأستاذ مصطفى توفيق، والأستاذ الشاعر الرقيق سراج سيد حمدون، ابن جزيرة أرتقي قرب عربي، الذي كان يسمعنا من الشعر النبوي ما يشجينا، فنحفظ منه على الفور، والأستاذ محمد عثمان، أستاذ التاريخ، والأستاذ محمد وهبة، أستاذ العربي والدين، كان من تبع علي ما ذكر، وكان هناك مدرسان مصريان، وواضح أنهما كانا من أبناء القاهرة، إذ اعتبرا عربي منطقة شديدة بالنسبة لهم، كانوا كمن ينحت الصخر، ولا بد أنهما كانوا يرددان أبيات الطنطاوي القاسية في حق السودان ، ثم نذكر الأستاذ الناظر قاسم (الصورة)، لا أعتقد أن أحداً من الطلبة كان يعرف إسمه بالكامل، ولا أعتقد أن أحداً من الطلبة يمكن أن ينسى الناظر قاسم، فهو من الشخصيات التي تبقى في ذاكرة من يعرفه، كان مصرى اللهجة، ساخراً من كل شيء، درسنا الجغرافيا، وكان يسخر من أسماء المدن بما فيها الخرطوم، ثم نذكر السقا عبدالحميد، الذي ترقى فتحول إلى طباخ، كان فناناً، يهوى الرسم، كانت له لوحات بد菊花، ونذكر أيضاً الصول (اعتقد) أن إسمه كان عثمان . كان مرحاً يتضاحك مع الطلبة.



كانت مجموعة بدین بقيادة الأخ عبدالخالق ساتي، وكان عبدالخالق مرحاً يحب الحياة بصورة عامة، طيب القلب، عطوفاً، إلا أنه كان سريع الإنفعال، جاهزاً للعرارع عند الإستفزاز، له كبراء لا تقبل الضيم . يذكرني بالممثل المصري القدير محمود المليجي، لا أدرى لماذا يخيل إلي أنه كان يمكن أن يقوم بأدوار محمود، كان من أصدقائه في المدرسة طالب من جزيرة (بنا) إسمه نصر الله، كان عبدالخالق كلما يلتقيه ينادييه بصوت عالي (نصر الله وأجرك على الله)، بعد التخرج تاه في الخرطوم قليلاً، ثم إغترب في السعودية مدة من الزمان، وإنتهي به الأمر مقيناً في بدین، ولكنه

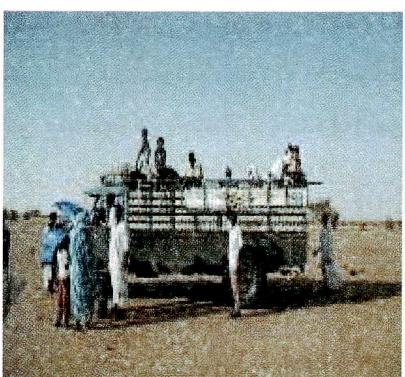
ارتعل إلى الغرطوم حيث يقيم الآن، أما حسين فكان ودوداً، صديق الجميع، لا يتعاطى السجائر ولا أي مكيفات أخرى، ميرغفي إدريس كان فيه غموض ليس من السهل كشفه، كان له مجلس معروف أمام باب الداخلية، من مجلسه ذاك يكشف المدينة كلها، وبأنيك بالأخبار، أما الجزولي سعد الدين فلم يفهم أحد في المدرسة إن كان هو جاداً أم هازلاً، متدين أو غير متدين، له ضحكة مجْهَّجَة، يجاملك بها وينذهب، وقد أتى الحديث عنه في مكان آخر، أما صلاح توفيق فهو صديق العمر، وهو شقيق لي لم تلده أمي، وصلاح سريع التعارف، يستطيع خلق صداقات مختلفة مع الناس من الجنسين في وقت وجيز، كان من ظرفاء الداخلية، عمل في بنك النيلين لمدة وجيزة، ثم إنطلق إلى بنك الراجحي في مدينة الرياض بالسعودية، حيث ترافقنا منها في رحلات ترقية لبعض الدول ، كان صلاح من المميزين في الوظائف المصرية . لو استمر فيها لكان له شأن آخر، ولكنه اختار الهجرة إلى بلاد العم سام، وأنفذ من ( philly ) مقراً دانياً . ولكن لا دوام لشئ في الدنيا ، فجاءنا في شيكاغو عندما كنا بها . وكعادته ففي فترة وجيزة تعرف على المدينة أكثر من المقيمين بها سنوات . إذ يمتلك ما يسمى في الإنجليزية ( Sense of Directions ) وهي موهبة خاصة لا يمتلكها الكثيرون ، وأنا من هؤلاء الكثيرين والحمد لله ، فأنا أضيع داخل شقتي ، إذ يتعرّض على معرفة غرفة النوم من المطبخ . وباب الشارع من باب الحمام . وبعد 20 سنة خدمة في تورنتو تخلط على الإتجاهات ، فأشهد جنوباً حين مقصدى الغرب ، وشرقاً حين مقصدى الشمال ، ولكن الله در العلماء ، فلهم في كل حوجة دليل . وفي كل زنقة مخرج . فهم لم يتوقفوا بصناعة الطائرات التي إنزلقنا بها فطارات بنا إلى ما وراء البحار . ولم يتوقفوا بصناعة العربات التي نمتطيها صباح مساء لنجوب بها شوارع المدينة ، بل صنعوا لأمثالنا من التائبين أجهزة صغيرة . ركبوها لنا في العربات فوق رؤوسنا المعطوبة لنسدل بها في معرفة الإتجاهات ، ولما كثرت أسفلتنا لهم عن وصف الأماكن وخريطة الوصول إليها، ولما وجدونا تائبين في طرقات الأرض ومناكبها التي سرنا فيها نأكل من رزق الله ، صنعوا لنا الـ ( Global Positioning System ) ثم اختصروا لنا الإسم إلى حروف ثلاثة فقالوا الـ ( GPS ) فقلنا العي بي أمن . وما أدرك ما العي بي أمن . هو يا سيدي ( نظام تحديد الموقع العالمي ) والجهاز الذي نستعمله نحن هنا هي النسخة الأمريكية . فإذا أردت السفر من شقق ( المتواضعة ) في شرق تورنتو إلى صديق الأثير علي عبد الرحيم في بيته الأنيق في جنوب غرب فلا دلفينيا بما على إلا أن ألقن هذا الجهاز العجيب عنوان علي . فيتحول هو (الجهاز وليس علي) رسم الخريطة أمامي . ثم تنبئي بالصوت إلى كل ملف ومفترق . ثم إذا أخطأت بعد ذلك فبسرعة خارقة يعيد الجهاز رسم الخريطة من جديد ويوافق تنبئي بالصوت . وللجهاز الأمريكي مماثل في أوروبا والصين والهند واليابان ، ومن الفيليين الذين يملكون تلك الموهبة أيضاً الأخ محسن عبد اللطيف ، (إذ يتمتع بذلك حاد في حفظ الأماكن والإتجاهات واستعمال الـ ( Common Sense ) في التوصل إلى اختصار المسافات . وفي شيكاغو عشنا حيناً من الدهر في صحبة إخوتى الأخيار . صلاح ومحسن وعمر عبد الرحيم وعادل توفيق والصادق فرحان وصلاح على (صلاح مشو) الرباطي الذي (تدنفل) بمحض إرادته، أو محض إرادته (القسمة) . ومحمد حسن زير(محمد لطيف).

وصلاح توفيق إبتي له عمارة في الشجرة حيث يسكن مع أسرته الكريمة ، أختي العزيزة خالدة وأبنائي رماح ومريم ومشكاة ، ثم إنطلق بأسرته إلى مدينة أيوا (IOWA) حيث يقيم الآن.

وعودة إلى عبرى ، ومحمد محي الدين زمروى ، أخ وصديق ، رجل عفو نبيل، ذو إبتسامة دائمة، لا أذكر أنه تشاخر مع أحد أو أخطأ على أحد ، هو أيضاً عانى غربة السعودية لسنوات، ثم هاجر إلى أوربا حيث تنقل في دولها، ثم يستقر به المقام في بلاد الغواجات. أما عبد الرحمن فلم يكن كثير التداخل مع الطلبة، تركناه في الرياض وهاجرنا، ولم أعرف عنه بعد ذلك، أما محمود توفيق فقد كان من عقلاه القوم، بدأ مراحله الدراسية بمدرسة الأستاذ عبدالجباري في مدينة كوسى، ثم إنطلق إلى مدرسة بدين الجنوبية الأولية ، وهي من المدارس الأولية العربية ، ثم مدرسة كرمة النزل الوسطى (كرزوج)، ثم زاملنا في عربى ، ومحمود من الذين يملكون رؤية واضحة وقراءة صائبة لمساحات المستقبل ، كما أنه من الذين يحددون الهدف ويسعون إلى تحقيقه بتأنٍ محسوب ، إنتحق بمصنع سكر عسالية موظفاً ، وإنتحق في نفس الوقت بجامعة القاهرة فرع الخرطوم طالباً من منازلهم ، وتولى شقيقه صلاح إرسال المذكرات له في مقره في عسالية ، تخرج من الجامعة وتدرج في سلك الوظائف في المصنع حتى أصبح المدير الإداري ، ثم إنطلق إلى مصنع سكر حلفا مديرًا إدارياً تم الجنيد حيث يعمل الآن ، خلال هذه السنوات الطويلة كان محمود عضواً في الهيئة النقابية بالصناعة الغذائية والسكر، متزوج وأب لثلاثة أولاد وبنتين ، أما يحيى حاكم فقد يشغل الآن عضواً في الهيئة النقابية العامة للصناعات الغذائية والسكر، متزوج وأب لثلاثة أولاد وبنتين ، أما يحيى حاكم فقد كان مجتهدًا طموحًا ، وإلى ذلك كان وسيماً جريئاً مغامراً ، تملك قلوب الحسان في عربى ، إنتحق بجامعة القاهرة فرع الخرطوم ، درس القانون ثم إنتحق بسلك القضاء ، وترقى فيه ما شاء الله له أن يترقى.



إلى الجنوب من عربى توجد قرية تنج، وإلى الجنوب منها قرية كيكة، وهي بلدة الشاعر النبوى الكبير الفاتح شرف الدين، صاحب قصيدة (فسكون دوى) و(جاین جدو)، وهي قرية الشیخ المشهور محجوب شیخ ادريس، وبها قبة ذات



الطراز العجيب (الصورة ) ، وهي قرية البروفسور نجم الدين محمد شريف، عالم الآثار، الذى كان أول مدير للبيئة القومية للمتحف والآثار، كما أنها قرية الأستاذ محمد ميرغنى مبارك الذي عمل وزيراً للخارجية في عهد مایو.

في سفرنا إلى عربى كنا ننحضر في باطن اللوارى من كرمة النزل ، والطريق غير معبد ، وللوارى سلحفائية السير ، وعلى غير عادة السلحفاء فهذه اللوارى تتن وتنتوجع ، تقطع المسافة بين كرمة عربى في يوم ونصف ، وهي مسافة لم يكن ليزيد زمامها من

الساعات عن عدد أصابع اليد الواحدة إن صلح الطريق ، ولكن من يصلح الطريق؟ ، كان يقود هذه اللوارى مجموعة من السائقين المعروفين ، ذكر منهم عوض محمد عيسى ومحمد عبدالله ودهب ، وكانوا كعادة سائقى اللوارى والبصات يحبون مهنتهم ويعشقون عرباتهم عشق إمروء القيس لفرسه ، ولو قدر لهم لقالوا في (الحادي) أعجب مما قاله الجاهليون جميعاً في النوق والبعير ، فهم همهمون في حب هذه العربات حتى أنهم يجعلونها بكل زينة لامعة ، ويكتبون عليها من العجائب والغرائب جمل في متى الطرافة ، بعض هذه الجمل أبيات من أغان شائعة ، وبعضها الآخر أمثال متداولة ، ولكن بعضها ترکيبات لفظية ما أنزل الله بها من سلطان ، ولهملاء السائقين طريقة خاصة في الكلام ، وهم يتعمدون القسوة البالغة في التعامل مع (المساعدين) ، الذين يبذلون جهداً خارقاً في التعامل مع هذه العربات في حالات (الوحلان) في الرمال أو الطين ، ويبقى لكل سائق طريقة خاصة أيضاً في العزف على (البورى) ، فلهم نغمات وألحان حصرية ، تبقى ماركتها مسجلة باسم السوق المعين ، وفي زمان مضى كانت لهم مكانة مميزة في المجتمع ، إذ بالإضافة إلى ما مثله معرفة السواقة في ذلك الوقت من تميز ، فالعمل كسائق لوري أو بص في الطرق الطويلة كان يضفي على الرجل قدرًا إضافياً من الرجولة في نظر الناس ، فهو دليل على القوة العضلية والقدرة على مواجهة الصعاب.

وفي السفر بالبصات كان الرجال عادة يتذرون النساء داخل البص ويصعدون إلى السطح حيث المكان أريح ، وفي سطح البص إلى الجهة الأمامية توجد (التندة) ، والتندة عادة مكان مرتفع جداً إذ يمكنك أن تمد رجليك ، وهي مكان يبعد المساعدة لأنفسهم ، ولكنهم يضيفونك إما لصلة رحم أو إذا إستشعروا فيك خيراً ، وهذا الخير (خشم بيوت) ، ربما تمثل في (نص عرق) أو (سجارة بنقو) أو ربما شراب فاخر من (خمر النصارى) كذلك التي ذاقها بت مجذوب في موسم الهجرة إلى الشمال وقالت لمريميد تفاصيل ما إمتنع الناس عن قوله ، وكان السائقون والمساعدية يعدون الطعام بأنفسهم في الغالب ، يحملون معهم اللحم والبصل بكميات كبيرة ، ولا يدعون إلى (الخلة) إلا أهل الخير من سبق ذكرهم ، ورغم خشونتهم وبطولتهم إلا أنهم كخلق الله جميعاً يصيبهم الخوف والتrepid في بعض الأحوال ، ومثلاً فقد كانوا يتشاركون من وجود إمرأة واحدة في البص أو اللوري ، لدرجة أنهم كانوا يرفضون التحرك بامرأة واحدة ، فلا بد من إمرأتين أو أكثر ، كما كانوا يتشاركون من وجود سرج بين العرش . ومن الغرائب أنهم كانوا يتلقون برؤية الثعلب ، وكانت لهم حكاوى كثيرة عن (أبو فانوس) ذلك الجنى الذي كان يعتمد تتويه السائقين في الخلاء . ومن أشهر السائقين في خط الشمالي على عهدنا بالسفر طه وسيد احمد نورا ، وكان السائقون يعملون كسعة بريد ،



إذ يحملون الرسائل من وإلى البلد.

كان فيما مضى هناك سكة حديد بين حلفا وكرمة، أنشأها الأنجليز أثناء حملة دنقالا في 1897 م. كانت محطاتها الرئيسية من الشمال هي حلفا وصرص وعكاشه وكوشة وأبوضاري ولقو وكرمة ، ثم تعطل ذلك الخط لسبب ما ، فتهدى الناس قضبانها الحديدية وسقفوا بها بيوتهم.

.7.

قم للملجم وفه التجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

يقال أن في هذا البيت خطأ نحويا، فلا يجوز استعمال أن مع كاد، ولكن مالنا وما لذلك، المهم أن شوقي أمير الشعراء، والبيت يعجبنا.

أنشئت أولى مدارس الجزيرة في العام 1943، وهي مدرسة بدين الأولية بنين، ولكن الحال عبدالقادر همت، والذي كان دفعة (1948). يقول لي انه يعتقد ان المدرسة أقدم من ذلك، ربما من الثلاثينيات، وأول مدير لهذه المدرسة هو الأستاذ عبدالمجيد قناوي، ثم الأستاذ سيد امام، وهم من ابناء دنقلا المدينة، ثم الناظر مصباح محمد إبراهيم، من أبناء شيخ شريف، وله صلة قربي باسرتنا، إذ أن جدتنا الكبيرة (ستنا حسنبن باباتود) من شيخ شريف، وكانت المدارس قليلة في المنطقة، ومدرسة بدين احدى أقدم المدارس، كان ياتها التلاميذ من مناطق المحس المختلفة، في فترة لاحقة سميت المدرسة بدين الشمالية، لأنهم



alrakoba.net

أنشأوا مدرسة ثانية سموها بدين الجنوبية، أما المدارس الوسطى في ذلك الوقت فكانت تتحضر في حلفا. أرقوا القولد. ثم مروي ، وفي مرحلة لاحقة عربي ودقوق والبرقيق، ويحدثني عبدالقادر عن مدينة حلفا في ذلك الوقت، فلا أحد إلا الحسرا تملأني، إذ كانت المدينة في مستوى القاهرة وأجمل، بها شوارع مسفلة تغسل كل يوم، بها مدارس من طوابق عدة، بها فنادق راقية، سامح الله من أغرقها، وتأملوا معى هذه الصورة ، فهي لفندق في وادي حلفا في الثلاثينيات من القرن الماضي.

في منتصف الخمسينيات تم إنشاء مدرسة بدين الأولية بنات، إحدى أقدم مدارس البنات في المنطقة، ثم توالي إنشاء المدارس، بالعون الذاتي في الغالب، حتى بلغ عددها العشر مدارس من كل المراحل، وقد تم إنشاء هذه المدارس تحت إشراف أساتذة كرام من أبناء البلد، ومن الشخصيات التعليمية الكبيرة ممن تركوا أثراً في البلد نذكر على سبيل المثال لا الحصر، الأستاذ عبدالله صالح، من سقدان، ويرجع أنه كان أول من عمل مدرساً من أبناء بدين، وهو خريج معهد المعلمين بالدويم، جاء ليدرس في بدين في عام 50 او 52 ، ثم عثمان كنة من سلناري ونصر محمد نصر (شاربين) من آل فقير نسي، ثم الأستاذ عبدالله حسن، كان مدير مدرسة شبة الإبتدائية علي أيامنا، وشبة الإبتدائية أنشئت في العام 1966 ، ولكننا بدأنا سنة أولى في العام 1965 في منزل عمنا حسن عثمان عنبو، (حسن برسى) الذي تصدى لمسألة التعليم فتبיע بيته حتى يتم بناء المدرسة، رحمه الله، كان شخصاً مثيراً للجدل، ولكنه كان هميماً بمشاكل الناس وهمومهم العامة، وبذل مجهوداً كبيراً في خدمة مشروع شبة وتشي الزراعي، وكان أول مدرس درسنا في سنة أولى إسمه احمد حاج، من (بنئاري) ولا اذكر أنه إنطلق معنا إلى مباني المدرسة الجديدة، وكان

فراش المدرسة هو محمد عوض الله طه، وكان مدرساً أكثر منه فراشاً. إذ كان يقوم بتنطية الحصص مع الأستاذ أحمد، وفي عام 1966 م انتقلنا إلى مباني مدرسة شبة الإبتدائية بنين. كما سماها من بنوها بالعون الذاتي ، وهو الإسم الذي خرجت به المدرسة عشرات الدفعات ، وذهب في إجازتي الأخيرة لأجد (العикومة) وقد غيرت إسم المدرسة ، وهو تصرف أحمق . فيه ظلم كبير للبلدة وأهلها . ولكن متى لم تكن الحكومات ظالمة؟؟؟.

الأستاذ عبدالله حسن شرفي، كان مدير المدرسة، درسنا الحساب في سنة رابعة، كان يلقي الدرس مصحوباً بهبة من شخصيته الطاغية فلا ننسى ماقال، وكان بكوراً يأتي إلى المدرسة في وقت مبكر من الصباح، فيأتي التلاميذ إلى المدرسة ويدخلون في هدوء وأدب خوفاً من الأسد الرابض بالداخل، والأستاذ علي أدم، كان يأتيانا من شياخة سقدان، طويلاً مبتسماً، كان جميلاً الخط، يكتب ملخصات من الدرس بخط عريض ويعلقها على حائط الفصل، والأستاذ عثمان حمزة، من مشروع البرقيق، كان يلقي الدرس بهمة، ثم لا يهمه بعد ذلك أن تفهم أو لا تفهم، تكتب الواجب أو لا تكتب، ويقول لك بالنوبية إذا ما داير تكتب ما تكتب، وعندما يأتي المفتش إلى المدرسة، كان في فصله يختار أسهل الدرس، درس يعرفه كل التلاميذ.(نفوت) به المفتش، والأستاذ محمود عثمان من سقدان أيضاً، كان يأتي إلى المدرسة على عجل، وينهض على عجل، وكانت التدريس بالنسبة له عمل إضافي، والأستاذ عبدالفتاح فرج، كان يلقي الدرس وكأنه في مسرح، يرفع صوته وبخفة، يستعمل يديه ورجليه حتى يفهم التلاميذ، والأستاذ خيري ملجب، درسنا الدين في سنة تانية، ولا أنسى أنه كان يبدأ في قراءة سورة المسد وهو ما يزال في مكتبه وبصوت عالي(تبث يدا). فتردد نحن في الفصل، وهي يصل الفصل من المكتب تكون قد سمعتنا السورة، والأستاذ عبدالله بكري محمد فرج، من جزيرة صباي، وكان عبدالله بكري يأتي إلى المدرسة ويستصحب ابنته معه، وكان يتحدث بكلمة مصرية، وعندما يقول الرقم 11 كان التلاميذ يضحكون ، لأنه كان يقول(حضاشر)، والأستاذ كامل الجندي الذي عندما نقلوه إلى سالي وفي حفلة الوداع التي قصيدة لا أعرف إذا كانت من تأليفه، وقد اعتذر للتلاميذ عن أي عنف استعمله مع بعضهم، وطلب منهم العفو، ومن عادة المدرسين أن لا يعتذروا، وخليل أبوزيد، من كرمة النزل، كان سريع الحركة والمشي، وكان يدخن بشرامة، والأستاذ عبداللطيف علي الرشيد، أعتقد أنه كان من مشو. كان هادئاً قليلاً الكلام، خافض الصوت، كان الوحيد من المدرسين الذي يصلى الصبح حاضراً في المسجد، والأستاذ جعفر أبوبيكرا، محسي ساخر، لا يعجبه العجب ولا الصيام في رجب، من اشطر المدرسين الذين مرروا علينا، ولكن كان له عقاب مؤذ، وكان يدخن على طريقة المدرسين الخاصة في شبيك المجانر، والأستاذ محمد عثمان علي . ثم الأستاذ عبدالشكور جباره، مدرس لغة عربية من طراز ممتاز. (في الصورة مع زوجته الوودودة مدحية في منزلهم العامر بكرمة البلد علي أطراف مشروع البرقيق) . ذهبت لزيارة في إجازتي الأخيرة مع بعض الزملاء فاستضافونا بكرم وحفاوة ، وقضينا معهم وقتاً ممتعاً ومفيداً ، فما زال الأستاذ هو نفسه ، لا يمكن أن نجلس معه ولا تستفيد من حديثه.

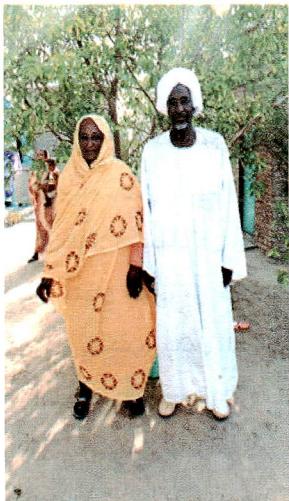
كانت له إهتمامات أدبية وثقافية فإستفادنا منه الكثير، درسنا صفي الخامس وال السادس، ولا ننسى تلکم الستين الإضافيتين في الإبتدائية، إذ جاءنا السلم التعليمي سبع الذكر، ونحن في سنة رابعة، نتأهّب بكل الشوق لدخول

الوسطي، وبدلاً من الإنقال إلى الوسطي جلسنا في نفس المدرسة ستين إضافيين على مضض، وفي تلك المرحلة جاءنا الأستاذ عبدالشكور، وفي تلك الفترة المبكرة تعرفت منه على نجيب محفوظ وإحسان عبدالقدوس، ويحدثني صديقي علي عبدالرحيم أنه قرأ (الرؤساء لفكتور هوغو) في ذلك الوقت عند عبدالشكور، والأستاذة، في مراحل معينة من عمر الطلبة، هم الذين يكونون الطلبة، هم الذين يجعلون الطالب يحب المادة أو يكرهها، كما أن قوة شخصية الأستاذ أو ضعفها، وتمكنه من المادة أو عدم تمكنه، ينعكسان على المادة نفسها، كان عبدالشكور يحب المادة إلى نفوس الطلبة، وكان يحفظ الكثير من الشعر ويستشهد به فنُعْجَب بذلك، وعلى ذكر الشعر فلا يفوتي أن أذكر الأستاذ عبدالعزيز صالح، رحمة الله، هو لم يدرسنا في المدرسة، أئمّا كنا نلتقي به في الإجازات بعد أن إنقلنا إلى الثانوية العامة، كنا

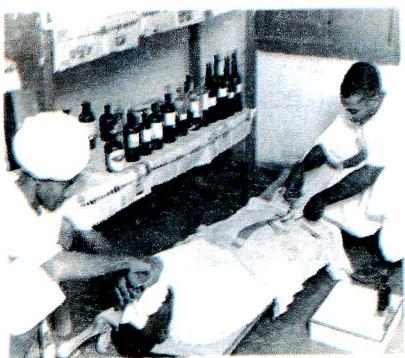
نجتمع على ضوء القمر في ميدان المدرسة فنستمع منه، كان جيد الحفظ، ممتع الإلقاء، وهو من الذين حببوا إلينا الشعر، كان يضع (سفته) الضخمة ومن فوقها يلقي علينا شعر المتنبي، فنشتهي السفة ونشتهي الشعر ::.

عيَدُ بِأَيَّاهُ حَالٌ عُدْتُ يَا عَيْدُ :::: بِمَا مَضِيَ أَمْ بِأَمِيرٍ فِيكَ تَجَدِيدُ  
 أَمَّا الْأَحِبَّةُ فَالْبَيْدَاءُ دُوَهُمُ :::: فَلَيْتَ دُونَكَ بِيَدًا دُوَهَا بِيَدٍ  
 لَوْلَا الْعَلَامُ تَجَبُ بِي مَا أَجُوبُ بِهَا :::: وَجَنَاءُ حَرْفٌ وَلَا جَرْدَاءُ قَيْدُوْدُ  
 وَكَانَ أَطِيبَ مِنْ سَيِّفِي مُضاجَعَةً :::: أَشْبَاهُ رَوْنَقِهِ الغِيدُ الْأَمَالِيُّ  
 لَمْ يَتَرَكِ الدَّهَرُ مِنْ قَلْيَيْ وَلَا كَبِيْدِي :::: شَيْئًا تُنَيِّمُهُ عَيْنٌ وَلَا جَيْدُ  
 يَا سَاقِيَ أَخْمَرٌ فِي كُووْسِكُمَا :::: أَمْ فِي كُووْسِكُمَا هُمْ وَتَسْهِيدُ  
 أَصْخَرَةُ أَنَا مَالِي لَا تُعْرِكُنِي :::: هَذِي الْمَدَامُ وَلَا هَذِي الْأَغَارِيُّ  
 إِذَا أَرَدْتُ كُمَيْتَ اللَّوْنَ صَافِيَةً :::: وَجَدْهُمَا وَحَبِيبُ النَّفْسِ مَفْقُودُ  
 مَاذَا لَقِيْتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبُهَا :::: أَئِي بِمَا أَنَا بِالِّكِ مِنْهُ مَحْسُودُ  
 أَمْسَيْتُ أَرْوَاحَ مُثِرِّ خَازِنًا وَيَدًا :::: أَنَا الْغَنِيُّ وَأَمْوَالِيُّ الْمَوْاعِيدُ.

ومن الأساتذة ذوي المكانة الكبيرة في الجزيرة، الأستاذ عثمان سيد أحمد كنة، ويرجع له الفضل في توسيع وتجديد المدرسة الشمالية، وتم ذلك عن طريق العون الذاتي، وقام تلاميذ المدارس من أنحاء الجزيرة بعمل جبار أشرف عليه الأستاذ عثمان بجدارة، ويعامل أبويا كبير مع التلاميذ، وقد أورد الأستاذ جعفر عباس أن إنقال الأستاذ



عثمان كنة إلى مدرسة بدين شكل قفزة كبيرة في المسار الأكاديمي للمدرسة . وقال الأستاذ جعفر أن مدرسة بدين كانت لسنوات سبقة وصول الأستاذ عثمان كنة والأستاذ نصر محمد نصر لا تتمكن من إدخال أي طالب للمرحلة المتوسطة ، وقد تزامن وصول عثمان مع وصول أول ناظر نوبى للمدرسة هو الأستاذ سيدأحمد ضرغام ، وفي أول عام بعد وصول الأستاذ عثمان تمكنت المدرسة من إرسال 19 تلميذ دفعه واحدة إلى البريق وأرقو ، بعد ذلك تم نقل الأستاذ عثمان إلى معهد الحفري مشو العلمي ، وهناك أيضاً تمكناً في أول عام له من إرسال 10 تلاميذ إلى المدارس المتوسطة ، والأستاذ نصر محمد نصر (شراين) وهو من آباء التعليم ورجالاته في المنطقة كلها ، رحمة الله ، وقد رثاه بعض تلاميذه بشعر لا يأس به ، وأيضاً الأستاذ عبدالفتاح محمود ، والأستاذ عبدالفتاح محمد علي، الذي عمل فترة مديرًا لمدرسة بدين الثانوية العامة، والأستاذ عبدالمجيد فضل حاكم، وعبدالعال محمد فرح، والأستاذ الظريف حسن عبدالرحمن، صاحب التعليقات الساخرة، والأستاذ الصارم أرصد أحمد، والأستاذ خيري ملجب، والأستاذ محمد سعيد حسين، وأستاذ الإنجليزية الممتاز عبدالعال همت، وأساتذة اللغة العربية مولانا الأستاذ محمد الحسن محمد موسى، الذي درسنا اللغة العربية والدين في البريق الوسطي، والأستاذ إبراهيم محمد فقير، والأستاذ محى الدين زمواري، كان هؤلاء من الجيل الأول من مدرسي بدين، وقد ذكرتهم علي سبيل المثال، ولن لم تسعفني الذاكرة بإسمائهم العتني، كلهم أساتذة أجيال، نتحفي إحتراماً لهم، وقد جاء بعدهم عدد هائل من أبناء بدين من الجنسين، عملوا في مجال التدريس، ولا يسع المجال لذكر إسمائهم، لهم التحية والتقدير ، ومن الشخصيات التي كان لها وجود رئيسي مؤثر في المدرسة على أيامنا العـم إدريس كبوش ، وهو أول فراش في المدرسة، وجاء بعده إبنـه المرحوم عبدالمجيد إدريس ، وأيضاً ذكرـعنـا جـلالـودـيدـيـ، الذـيـكانـيـبـيعـالـأـكـلـ، ثمـالتـاجـرـالـكـبـيرـ صالح أبوضروس وزوجته ، فقد كانوا خيرـعنـونـلـلـمـدـرـسـينـفـيـمـدـهـمـبـالـطـعـامـوـالـشـرـابـعـنـدـالـحـوـجـةـأـوـعـنـدـقـدـوـمـ بعضـالـضـيـوـفـإـلـىـالـمـدـرـسـةـ، ثـمـمـجـلـسـالـآـبـاءـ، الذـيـتـكـوـنـمـنـعـدـدـرـجـالـعـلـمـالـعـامـفـيـشـبـةـ، لـجـمـيـعـهـمـ التـحـيـةـوـالـإـجـالـ، وـكـانـتـالـمـدـرـسـةـعـنـدـإـفـتـاحـهـتـحـفـةـرـائـعـةـمـقـارـنـةـبـالـمـبـانـيـالـأـخـرـىـ، وـكـانـتـالـجـدـرـانـمـطـلـيـةـبـالـجـيـرـالأـبـيـضـالـنـاصـعـ، وـفـيـسـاحـتـهاـالـدـاخـلـيـةـحـدـيـقـةـجـمـيـلـةـبـهـاـمـرـاتـمـزـيـنـةـ، وـكـانـتـارـضـيـةـالـفـصـولـمـبـلـطـةـبـالـأـسـمـنـتـ، وـمـقـاعـدـالـتـلـامـيـذـوـطاـوـلـاتـالـمـدـرـسـينـجـدـيـدـةـتـلـمـعـفـيـلـوـنـبـاـلـأـخـضـرـ.



في عام 1983 تم إنشاء مستشفى حديثة في الجزيرة بتمويل أساسـيـمـأـبـنـاءـالـجـزـيـرـةـالـمـغـتـرـيـنـفـيـدـوـلـالـخـلـيجـوـالـذـيـتـبـرـعـواـبـسـخـاءـكـعـادـتـهـمـدـائـمـاـ، وـأـوـلـطـبـيـبـقـامـبـافتـاحـوـإـدـارـةـهـذـهـ المـسـتـشـفـيـهـوـدـكـتـورـكـمـالـأـحـمـدـحـسـينـالـصـائـغـ، وـقـامـتـالـمـسـتـشـفـيـعـلـىـأـكـتـافـرـجـالـأـفـاضـلـمـنـأـبـنـاءـالـجـزـيـرـةـ، رـجـالـأـفـنـواـأـعـمـارـهـمـفـيـخـدـمـةـالـجـزـيـرـةـ، لـمـتـوـفـيـمـنـهـمـالـرـحـمـةـ، وـلـنـبـقـيـطـولـالـعـمـرـوـالـعـافـيـةـ، أـمـاـقـبـلـذـلـكـ، وـقـبـلـأـنـتـنـشـأـبـعـضـنـقـاطـ

الغيار، فكان في الجزيرة مركز صحي واحد، فيه مساعد طبي وممرض، أما أشهر المساعدين الطبيين بالنسبة لدفعتنا فقد كان عمنا صندلوبة، كان يداوي الناس بالكلام الطيب أكثر مما يداوي بالأدوية . خلق وأسرته علاقات طيبة مع أهل الجزيرة وأمتدت هذه العلاقات حتى الآن . ومن الصدف العجيبة أن إبنته تسكن الآن في البيت المجاور لبيت أخي الشقيق صلاح توفيق . والحقيقة أن المركز كان غير مكتمل ولم تكن هناك أدوية كثيرة، بعض القطن والشاش وشئ مثل الديتول، وحبوب السلفا، وشراب المزبج، وحقنة البنسلين، هذا كل ما كان متوفرا، كان شراب المزبج هذا دواء لكل داء، وكان الناس يطمئنون إلى تشخيص الحكيم إذا قرر لهم حقنة، ولكن إذا لم تكن هناك حقنة فيتم لململ الناس ويعودون إلى بيوتهم وهو غير مقتنعين بالعلاج، وربما أعادهم أهل البيت إلى العيادة مرة أخرى ليطالبوا الحكيم بحقنة بنسلين، وكان العلاج يعتمد على براعة المساعدين الطبيين أكثر منه على الأدوية.

ومن المرضين الذي خدموا في البلد عبد الدائم حسن عثمان برسى، والمرحوم أخونا حسين عبد الرحمن أدم، والذي توفي شاباً، رحمه الله، كذلك عمنا عباس كمبال، وعبد البادي عكاشه رحمهم الله . جاءنا كثيرون من خارج الجزيرة كمدرسین ومساعدين طبيين وأطباء وممرضين، والحقيقة أن كل المهنيين الذين كانوا يأتون إلى الجزيرة للعمل كانوا (يركسون) هناك. يجدون تلك البيئة الهدامة وجو الجزيرة المنعش واهلها الطبيين، فيطيب لهم المقام وتحلو الحياة ومهمن (عمل الحالـة واحدة) وتزوج من الجزيرة واستقر بها.

كانت الرعاية الصحية فيما مضى منظورة أكثر منها الآن ، فبالإضافة إلى الإهتمام الذي كان يجده الإنسان في نفسه كان هناك اهتمام كبير بالبيئة . فقد كان لكل منطقة عامل صحة يعمل على رش البيوت والمزارع وبرك المياه الواقفة بالمبيدات الحشرية، وكان عامل الصحة يستعمل مادة الجمكسين . ولكن هذه المادة منعت من الاستعمال عالمياً إذ ثبت أنها يمكن أن تسبب في أمراض خطيرة.

وعلى ذكر مرافق التعليم والصحة والخدمات الاجتماعية فلا بد أن نذكر شخصية بدینية بقدر ما كانت مثيرة للجدل فهي شخصية تفانلت في خدمة أهل الجزيرة . وهي شخصية عمنا محمد عثمان فقر (موسوليبي)

وموسوليبي هو أحد أميز الشخصيات في تاريخ الجزيرة، وكان به ولع شديد للعمل العام من خلال حب مفروط للقيادة والزعامة . وبمؤهلات فطرية من دهاء وذكاء عرف بهما، وكانشيخ خلوة يعرف القراءة والكتابة، والذين يعرفون القراءة والكتابة كانوا قليلاً في جيله . ورغم أنه في أحيان كثيرة كان يتعامل مع الناس بترفع (المثقف) كما كان يعتبر نفسه (مع فارق معنى الكلمة). ومع أن ردوته للناس كثيراً ما كانت تعبر عن ضيق ساخر بجهلهم، إلا أنه كان محباً للدعابة ويتمتع بحس فكاهي رفيع، وكما وصف أستاذنا جعفر عباس فقد كانت ضيحته مجللة، تسمع في الأحياء المجاورة. ومن فكهاته التي كان يدخلها في الوعظ الديني أنه وعظ الناس مرة وقال لهم أن مصافحة النساء لا تجوز، فسأله أحدهم قائلاً: ليه ما قلتانا الكلام ده من زمان؟، فقال: (أيُّنَا أَبْلَيْنَ اِرْسِنْ) يعني أنا ذاتي عرفت الحكاية دي يا دوب.

كان مهتماً بالتعليم فتصدى له، أورد الأستاذ جعفر عباس هذه الفقرة في حديثه عن الرجل في منتديات أبناء بدين : (وموسوليبي هو أول من انتقل بفكرة الخلوة التقليدية (المسيد) إلى روضة يتعلم فيها الصغار مبادئ القراءة والكتابة وعلم الحساب.. ولعل قلبين يعرفون ان تلك الروضة ذات الإمكانيات المتواضعة (كانت الكتابة غالباً بمسح التراب/الرمل ثم الكتابة عليه) كانت نواة مدرسة بدين الجنوبيه.. فقد نجح موسوليبي في اقناع السلطات بتحويل روضته التي كنا نسمها "ميمد اسمانتو"، ونقول عن الملتحق بها "ميمد اسمنتولا دافي.." نجح في اقناع الجماعة في المديرية بالامر بترقيعها إلى مدرسة صغير.. ذلك ان بعض تلامذته استطاعوا الدخول في الصف الثالث في مدرسة بدين الابتدائية (الشمالية) لاحقاً متخطين سنين دراسياتهن.. وكان أول مدرس بدين الجنوبي يأتي معيناً من قبل وزارة المعارف (التربية) يسمى بشير.. وانتقلت مدرسة موسوليبي من المبتدئ المتواضع الواقع خلف بيته إلى غرفة في الداخلية التابعة للمدرسة الابتدائية وبعدها صارت هناك ضرورة لنقلها إلى مبنى مستقل فكان أن تم تشييد مدرسة بدين الجنوبيه ) (وقفة عند حقيقة ينبغي أن يفتخر بها كل بدناوي وهي انت رoad في العمل التعاوني الناجع والفعال.. بعد الشفخانة ومدرستي بدين الشمالية والابتدائية للبنات لم تقدم اي حكومة خدمة لجزرتنا).. كان موسوليبي مهندس مشروع شبة الزراعي ومشروع جزيرة عثماناري واسمها الرسمي "مشروع بدين ص" والطاحونة التي تقع جنوب المدرسة الجنوبية وافتتح أول بقالة تعاونية شرق بيته بمحاذة الجدول الذي يفصل منطقة المدارس القديمة عن خميس إكي.. وهو الذي سافر إلى الدامر (رئاسة المديرية الشمالية) وأنقى بتصديق مدرسة بدين الاولية للبنات وطاف على البيوت ليقنع الآباء والأمهات بتسجيل بناتهم فيها ) إنني حديث الأستاذ جعفر عباس .

كان عمنا موسوليبي ((سقراطياً، مشاء)). يمتلك حماره ويطوف بالبلد ويقف هنا يتحدث .. وهناك يلقي ببعض الفكاهة، وهناك بعض التوجيهات والمواعظ ، وكما أنه تصدى للتعليم تصدى أيضاً للمشروع الزراعي، فكان من المؤسسين لمشروع شبة الزراعي وقضى على رئاسته مدة من الزمن. وما ينفل عنه أنه وبعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية أبرق ملك بريطانيا مهنتناً إنتصار الحلفاء، وعندما تلقى الرد من جلالة الملك جمع الناس وقال لهم أنه لم يفعل ذلك للشهرة بل ليعلم الملك أن جزيرة بدين في السودان توجد بها وسائل إتصال، وليلعلم الحاكم العام في السودان أن أهل الجزيرة في إمكانهم أن يتخطوه ويغاطسوا لندن مباشرة.

وقد كافح عمنا موسوليبي كفاحاً مستميتاً لتثبيت مشروع زراعي تابع لمشروع البرقيق كان موقعه شرق بلدة البرقيق مقابل جزيرة أرتقاشة. وقد حدثت منافسة ضارية بين أهل بدين وأهل جزيرة أرتقاشي. ووصلت القضية إلى المحاكم، وكان موسوليبي يمثل بدين. وعندما سأله القاضي في حيث شديد أين تقع الأرض المتنازع عليها. مقابل بدين أم مقابل أرتقاشة. قال للقاضي : مقابل السماء، وبعد صراع طويل تمكّن أهل أرتقاشة من الإستيلاء على المشروع بعد وفاة موسوليبي . كانت فيه . رحمة الله . موسوليبي معدلة، حسب المعطيات المحلية. ومن هنا أخذ الإسم، كان يتمتع بشقة مفرطة في نفسه، أخذ من الدنيا أكثر مما أعطته .

في رب القرآن الكريم  
شعر عبدالله الخطامي

منشور شرعى نمرة (٢٥) ساد و٣ يدرى ان يهادىء بـ «العنده»، مع اتفاق طلاقه سنة  
١٩٧٣  
الموارد ٣ الزواج مادة ٤١  
الولى للمرأة يشرىءه مشروط بالمحنة الزواج سرعا لا يلطفه  
بعد وفاته ولها قدره في تزويج العول والزواج او ما يقرره لها حسنا  
مادة ٤٢  
ينقسم الولى الى مجهود وظير جهودها الجهد مع اباب الرشيد او فيه  
ماره ٤٣  
باب الرشيد انتيجيرته المصغرة ولو ارشاً ولابد اياها  
ان تكون مطلقاً مثلاً في سنة الا اذا الذي عاشه تكون محبها ومحظها  
وغير محبها مبغضها ومحظها وسائر العبيدين بصيغة زوجها  
اذا كانت بخلافية اوجهها  
ماره ٤٤  
نقدم السفينة اذ كان فاعلاً ومتى حضرته اليها والانكشاف عليه  
تقدير الزوج وتزويج بنته كتحية قيسى فقد زواجها الولى ولها  
عند السفينة قلوبها امضاها وام حسن والاربه  
ماره ٤٥  
الصغير الثب او المفلوس من زوجها ببره او عذرها سهل الغسلة  
ولا ينكسر على الزوج  
ماره ٤٦  
مجبر الاب بنته البالغة التي قاتلت بكتابها بعقد زواج سهل كله  
لذلك ايمه او غيره على انسانه بما له ولا ينفعه الامر الشرايين  
وشهد لها اماماً بشهادة يقول لها شيئاً تذكره كلما طلقت سكاكا او خنزير ولا ينفعه  
انها اقامت بيتها اثناء زواجهها وورثة بيتها من اخرين خود الزوج بما  
واد اثارة الهرطه بعد زفافها لاخذها الزوج ام لا لا اد احاطة بهم  
خلوة الزوج بما خلدوه فحقهم اصحابها هنها ولو اقامه معموراً اصحابها  
سيجيء  
ماره ٤٧  
ان النساء اذا اخذن فسادها ومحضها وليجاوا عن صفاتهن اعتبرن ابراما

يا أيها الكلم على الشان  
يا من أصوات غيابه الإنسان  
ما دمت فيها لن يتوجه سفينتنا  
فالحروف نور في يد الريان  
من عند ربى قد أتيت مفصلاً  
وبقيت وحياناً دائم التبيان  
هو حبل ربى للوجود جميه  
جماع الأمور وصاغ كل بيان  
هو قول حق غير ذي عوج أتى  
اللهم به - قد جاء من منان  
وتتكلل الله الحفظ بحفظه  
ليعيش صرحاً كامل البنيان  
يا أيها العطشى تعالوا نرتوي  
ونعيش أمناً في ربى الفرقان

كان في الجزيرة عدد كبير من حفظة القرآن. حفظوا القرآن في خلاوي كبيرة في مقاصير (الشيخ هارون)، وشيخ شريف، والترعة، ومناطق أخرى. ثم عادوا وفتحوا الخلاوي في الجزيرة، فدرس خلق كثير علي أيديهم، من هؤلاء الشيخ جدنا الشيخ شيخ طويل، وجدنا الشيخ عثمان فقير، وعثمان فقير كان من العلماء الكبار، فبجانب حفظه للقرآن كان فقهياً مفتياً، كما أنه كان المأذون الشرعي للمنطقة، وله بعض الكتابات الشرعية ولكنها ضاعت ولم يبق منها إلا منشور واحد خاص بمسائل الزواج، مكتوب بخط يده، وهو نفسه غير مكتمل، وقد بدأ الكثيرون حفظ القرآن على يده ولكنه توفي صغيراً، ثم تولى أمر الخلوة جدنا محمد فقير، ثم والدي فقير علي، الذي قرأنا الخلوة على يديه، ومن الحفظة أيضاً جدنا الشيخ بشير صالح تور، وإبنه الشيخ سعيد بشير تور، وجدنا الشيخ عثمان محمد صالح تور، ووالدنا الشيخ عبد الحميد محمد، الذي كان من القلائل الذين يحفظون القرآن على أكثر

من رواية، وبتجويد متمكن، كان جيد الحفظ جيد التجويد ، ومرة أثار خلافاً فقهياً، فقد كان يتلو من المصحف في المسجد، ودأهنته غفوة ، فتوسد المصحف تحت رأسه ونام، فأيقظهه عمنا عبدالله شريف، الذي كان مشاغباً، ولإله علي توسد المصحف ، فوجد الشيخ لنفسه مخرجاً فقهياً بأن أشار إلى راسه قائلاً ان رأسه في الحقيقة مصحف، فلا تعدو المسألة من أن تكون مصحف فوق مصحف، وكان لغويًّا يحفظ الكثير من قواعد اللغة المتعلقة بالقرآن، كما أنه كان يحفظ ألفية ابن مالك، وكان بعض الأحيان يقرأ منها فلا نعرف إن كان الكلام عربيًّا أو شيئاً آخر، فلم نكن نفهم منه شيئاً ، ولم نعلم أنه ألفية ابن مالك إلا لاحقاً :

وكل حرفٍ مستحقٍ للبنا\*\*\* والأصل في المبني أن يسكنَنا  
 ومنه ذو فتحٍ ذو كسرٍ وضمٍ \*\*\* كأينَ أمسَ حيَثُ والساكنُ كم  
 والرفعُ والنَّصْبُ أَجْعَلْنَ إعراباً\*\*\* لاسمٍ وفعليٍ نحوَنَ أهابَا  
 والإِسْمُ قدْ حُصَّنَ بالجزِّ كما\*\*\* قدْ حُصَّنَ الفعلُ بِأَنْ ينجزَ ما  
 فارفع بضمٍ وانصبتْ فتحاً وجـَرـَ \*\*\* كـسـراـ كـذـكـرـ اللهـ عـبـدـهـ يـسـرـ  
 واجزم بتسكينٍ وغيـرـ ما ذـكـرـ \*\*\* يـنـوبـ نحوـ جـاـ أـخـوـ بـنـيـ نـمـرـ  
 وارفع بواوٍ وانصبتْ بـالـأـلـفـ \*\*\* وأـجـرـ بـيـاءـ ماـ منـ الـأـسـمـاءـ أـصـفـ  
 من ذاك ذو إـنـ صـحـبـةـ أـبـانـا~ \*\*\* وـالـفـ حـيـثـ المـيـمـ منهـ بـاـناـ  
 أـبـ أـخـ حـمـ كـذاـكـ وهـنـ \*\*\* وـالـنـقـصـ فيـ هـذـاـ الـأـخـيرـ أـحـسـنـ  
 وفيـ أـبـ وـتـالـيـهـ يـنـدرـ \*\*\* وـقـصـرـهاـ منـ نـقـصـنـ أـشـهـرـ  
 وـشـرـطـ ذـاـ إـلـعـارـابـ إـنـ يـضـفـنـ لـا~ \*\*\* لـلـيـاـ كـجاـ أـخـوـ أـبـيـكـ ذـاـ اـعـتـلاـ  
 بـالـأـلـفـ أـرـفـعـ المـشـئـيـ وكـلـا~ \*\*\* إـذـاـ بـمـضـمـرـ مـضـافـاـ وـصـلـاـ

ومن الحفظة أيضاً الشيخ سيد عبدون (سيد مايو) (والد الأستاذ عبدالوهاب سيد)، وأيضاً الشيخ عكاشه حاج محمد أرو، والشيخ الحاج حمزة حاج، والشيخ حاج محمد أحمد الأمين، والشيخ فضل أبيكر، والشيخ علي محمد خير عنبر، والشيخ بشير فرج أورسابل، والشيخ فقير أحمد عثمان، والأستاذ محمد حسنин (والد الأستاذ سعيد محمد حسنين)، والشيخ عوض الله طه، والأستاذ محمد علي محمد موسى، والشيخ حامد شوكت الشهير بـ"فقير بحرية"، والشيخ حاج فرحان، والشيخ محمد حاج عبدالعزيز، وأخيه الشيخ عثمان حاج، والشيخ محمد عبد العزيز الزين، والشيخ فقير همت، ووالدنا الشيخ محمد طه صالح (الصورة على اليمين) وكان من القلائل الذين يجيدون قراءة القرآن على أكثر من رواية ، بدأ الحفظ في خلوة شيخ طويل محمد نور على يد الشيخ عثمان فقير، ولكن الشيخ عثمان توفي في سن مبكرة ، كان الشيخ محمد طه قد حفظ بعض أجزاء القرآن ، ثم إنطلق إلى خلوة سلطاناتي ، وتلتمذ على الشيخ محمد الأمين لمدة سنتين ، ثم إنطلق إلى قرية



شيخ شريف ، حيث خلوة الشيخ حاج سعيد أحمد حاج سعيد ، وهي الخلوة التي خرجت العشرات من حفظة القرآن ، هناك أتم الشيخ محمد طه حفظ القرآن . ولأنه كان من المتفوقين والمجيدين لحفظه فقد طلب منه الشيخ حاج سعيد كتابة مصحف بخط يده ، كان ذلك كما ذكر الشيخ محمد في عام 1941 ، وذكر الشيخ محمد أنه بعد إكمال كتابة المصحف تجهيز للسفر إلى بدین ، وبعد أن صعد إلى العربية تذكر أنه نسي تشكيل صغير، ربما فتحة على حرف من حروف أحدى الآيات ، فنزل وركض إلى الخلوة ووضع الفتاحة على الحرف في الآية ثم سافر ، بعد ذلك سافر الشيخ محمد إلى أمدرمان ، وإن الحق بالمعهد العلمي . ولكنه لم يكمل دراسته هناك ، إذ اضطرته ظروف أسرية إلى العودة إلى بدین ، فاستقر بها ، وأفتتح خلوة لمدة قصيرة ، ثم عمل بالزراعة والتجارة ، وأذكر أنني عندما كنت أعود ليلاً من منزل جدى الأمين إلى قبة ، كنت أمر بجانب دكانه فكنت أسمع الشيخ يتلو القرآن ليلاً على ضوء مصباح صغير بعد أن يغلق الدكان ، رحمهم الله جميعاً وأثابهم بالقرآن . ومن الحفظة أيضاً الشيخ عبد الله محمد موسى (عبد الله فقير)،



والشيخ أبو زيد حمزة . والأستاذ طاهر سيد ترجمان . والشيخ عبد الله محمد همت (عبدون ميمد) ، ومن الجيل الجديد الأستاذ الشيخ أنور عبد الصادق ، وعبدالباقي إدريس كجر ، وعبد الغفور محمد علي محمد موسى . والشيخ أمير السر سيد أحمد . من الخلاوي القديمة والمعروفة في جزيرة بدین خلوة الشيخ شيخ طويل في شَبَّة ، التي تولى أمرها أجدادنا حتى انتهى أمرها إلى والدي فقير علي الذي كان آخر شيخ في تلك الخلوة . وخلوة الشيخ عبد الحميد محمد الذي قرأتنا عنده بعض الوقت . وكانت خلوته في مكان مدرسة شَبَّة الإبتدائية بين الحالية ، هناك كنا (نكنس) الحوش بآيدينا . كنا نقف صفاً في خط مستقيم ثم ننحني ونعرس أصابعنا في التراب ونشي للخلف (حركة ورا) ونحن ننشد:

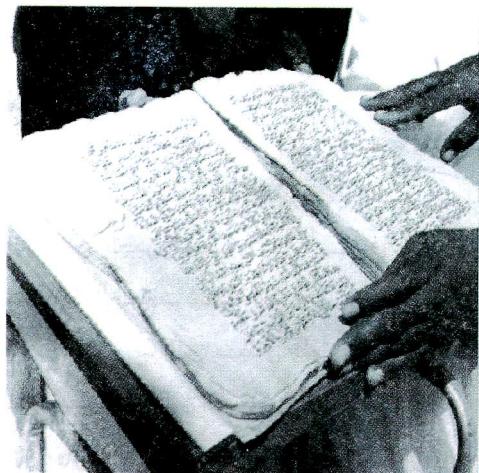
أَقِيسْنَ قِيسْرُولَلَا جَلْبُو  
تَكَّا جَلْبُونَ قِيسْرُولَلَا جَلْبُو

وكان الشيخ عبد الحميد حليماً ، ولكنه عندما يغضب كانت له شراسة لا تقاوم . كان يحمل العصا ويجز الطلبة في رcken ويضرب حيث إتفق ، ينزل العصا ولا يبالي ، وكان إذا غضب من طالب يجلده (فلقة) بأربعة كبار وهو يسأل الطالب:

إِرْ كَجَا؟ (يعني هل أنت حمار؟) فـيقول الطالب (أيي) يعني نعم  
فـيقول: قـيدتا فـكـبـينا (يعني هل تـأكلـ القـشـ) فـيقول الطـالـبـ (أـيـ)  
فـيقول :: دـقـرـكـاـ أـكـرـ دـوـقـواـ (يعـنيـ هـلـ نـضـعـ عـلـيـكـ السـرـجـ وـنـرـكـبـ) فـيـقـولـ الطـالـبـ نـعـمـ  
فـيـقـولـ: نـزـلـوهـ.

وكانت هناك خلوة الشيخ محمد شوكت الكبير في تشي، وجاء من بعده الشيخ حامد صوفي الكبير، تم الشيخ حاج فرحان، وخلوة الشيخ عبدالله محمد موسى والي

مازالت مستمرة، وخلوة الشيخ محمد الحاج عبد العزيز في سلناري، التي تولى أمرها لفترة الشيخ محمد عبد العزيز الزين، وخلوة الشيخ إسحاق يعقوب في سقدان، وفي سلناري أيضاً خلوة الشيخ محمد أحمد حاج علي (صائم)، وهو من خريجي الأزهر في 1845 ميلادية، وكانت الخلوة ((مسيداً)) صغيراً ثم قام أحفاده بتحويلها إلى جامع كبير ملحق به خلوة تقويم الآن بتحفيظ القرآن وتخصص جائزة كبيرة للحفظة في رمضان من كل عام، ثم خلوة (آل خطيب) الشيخ حاج



شوكت إمام جامع سلناري، وخلوة الشيخ أبو زيد حمزة التي خرجت بعض الحافظات من النساء في السنوات الماضية، والخلوة لها فرع في أبسقان، ثم هناك مركز الشيخ صالح شبر الإسلامي في سقدان، والذي اسس في العام 1998 ، جاء في تعريف المركز في منتدي بدین هذه الفقرة : ((ويقوم المركز بأعمال الإشراف والتنسيق للمحاضرات والندوات والدورات الدينية العلمية بجزيرة بدین وما جاورها من الجزر والقرى والبلجر، مسترشداً في ذلك ومهتماً بالشيخ صالح شبر (رحمه الله ) الذي كان يوزع محاضراته ودروسه وكلماته التوجيهية في جميع جوامع جزيرة بدین وماجاورها ..

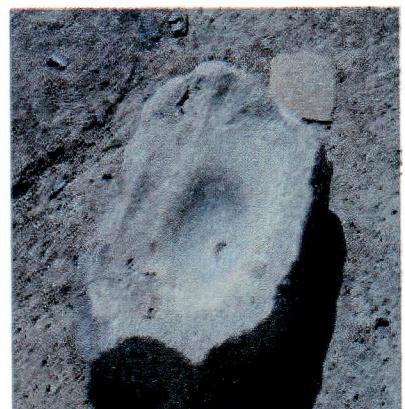
كما يشرف المركز على أحد عشر داراً لتحفيظ القرآن الكريم والسنة النبوية للنساء داخل جزيرة بدین موزعة توزيعاً جغرافياً على الشياخات الاربع ، كما يشرف على ثلاثة خلاٍ لتدريس وتعليم القرآن للناشئة من الجنسين تلقيناً ثم باستخدام الالواح الخشبية للمتفوقين في مراحل متقدمة حسب التقاليد التراثية . دون إغفال الوسائل الحديثة .. كما يعمل المركز على إحياء دور ورسالة المسجد داخل الجزيرة وخارجها)). والشيخ حنفي عثمان الطيب هو أمين الدعوة وإمام وخطيب مسجد المركز.

وكان من المتعارف عليه في كل أنحاء السودان، عند اكتمال قبول الحوار في الخلوة أن يقدمولي أمره هدية للشيخ حسب طاقته وإمكاناته، ببدأ الطالب الجديد بكتابة الحروف على الأرض وبظل يكررها في كل يوم إلى أن يستقر رسمها في ذهنه، وتسمى هذه العملية عندنا (أرمي) بعد ذلك يستتحق الغلام حمل (لوح) وهو عبارة عن قطعة مستطيلة من الخشب، وفي الخلاوي الكبيرة ألواح مشهورة اكتسبت شهرتها من كثرة عدد الحيران الذين حفظوا عليها فيتنافس علمها الحيران الجدد ويتفاءلون بها، وتجري عملية التعليم الأولى في اللوح بأن يكتب الشيخ للطالب في البداية بنواة التمر على اللوح المطلي بالجير الأبيض، ثم يمرر الحوار القلم علمها إلى أن يثبت القلم في يده ثم يوالي

الكتابة كل يوم وبذات الطريقة حتى يتمكن من الكتابة بنفسه مباشرة على اللوح .  
يجري في الخلاوي استعمال وسائل وأدوات معينة في التعليم، وهذه الأدوات جلها من البيئة المحلية المحيطة بالخلوة؛ فنجد أن اللوح الذي يكتب عليه الطلبة هو من خشب الأشجار الموجودة في نواحي القرية، كما أن القلم المستخدم في الكتابة يجري صنعه من مواد محلية أشهرها سيقان نبات الذرة (مزي) أو أشجار البوص (القنا) وهي أشجار رقيقة وجوفة فيصبح كل طالب أقلامه بنفسه ويضعها في (كنانة) يسمى بها الحوار قلامة أو مقلمة، كذلك على الطالب في الخلوة أن يؤمن لنفسه حبر الكتابة ويسمى (العمار) ويصنع من الصمغ مضافاً إليه السخام الذي يتكون أسفل أواني الطهي بالجمر والخطب والأثافي ويسمى في عامية أهل السودان السكن، ووبر الغنم (شنقرتي) أو (دلتي)، وبعد أن يكمل الطالب صناعة العمار يصنع له أناء خاص لوضع العمار يسمى (الدواية)، وحسب حديث والدنا الشيخ حمزة أبوزيد الذي حفظ في خلوة شيخ شريف فقد كانت

مدة الحفظ تتراوح ما بين الخمسة إلى السبعة

أعوام، وكان الطلبة موزعين على البيوت في القرية، يستضيفهم الناس بفرح وسرور وتفاؤل، وقد قرأ هو وجبله بقراءة ورش ولكنهم الآن يعلمون التلاميذ بقراءة حفص لصعوبة ورش، وختم القرآن كان أهم مهرجانات الخلوة، والختمة (الختمي) كانت تتم عادة في يوم أربعاء معين في شهر صفر، وفي كثير من مناطق السودان تقام وليمة (كرامة) كبيرة يدها أهل الطالب الحافظ ، وبعد تخرج الطالب جرى العرف إذا كان الطالب من يجيدون الخط أن يكلفه الشيخ بكتابة مصحف هدية للخلوة.



أما إذا كان المتخرج لا يجيد الخط فعليه أن (يدلي) يتلو القرآن مائة مرة ويهدي ثوابه لمؤسس الخلوة. وكل الأمرين ليس شرطاً ولكن أغلب الخلاوي تأخذ به. غالباً ما كانت الخلاوي ملحقة بالمساجد (المسيد) كما يُعرف، كان يوجد في الخلوة حجر كبير م-cur يسمى حجر (المحاية) وهو الإناء الذي تمحي (تفصل) فيه الألواح المكتوبة كل صباح لتعاد الكتابة عليها مرة أخرى، وفي وسط الخلوة يلاحظ الداخل موضع نار وهي معلم كبير في الخلاوي (نار القرآن) أو التقابة، وتبدأ قراءة القرآن عندها مع مغيب الشمس ، فتشتعل النار بالخطب الذي يحضره الطلبة، ويجلس الشيخ والطلبة (الحيران) ملتفين حول الحلقة. وكان المشايخ قد يمدون بتعليم الطلاب ألفية ابن مالك التي تحوى قواعد اللغة عندما يكون الطفل قد بلغ مرحلة "الشرفية" في القرآن أي حفظ ربع القرآن وما فوق؛ وعندما يلبس ثياب جديدة ويزيّن لوجهه ويخرج في زفة مع أقرانه ليطوف على أهله وجيشه فرحاً بما أنجز، فمبونه كل بحسب سعته من المال ما يعطيه لشيخه.

ويقوم نظام التحفيظ على القراءات السبع المتواترة برواياتها المختلفة وخاصة رواية حفص عن عاصم وورش عن

نافع والأخيرة يعتقد عدد غير قليل من شيوخ الخلاوي أنها رواية أهل الجنة: لأن أهل المدينة المنورة يقررون بها، ويأتي علم التجويد على رأس العلوم التي يتلقاها طلاب الخلاوي بقواعد وأسمه وتعاليمه وهي إخراج كل حرف من مخرجه وإعطاء حقه دون تكلف أو تعسف، وهو واجب على كل مسلم بالغ يحفظ القرآن أو جزءاً منه، ومن الأمور العجيبة في الخلاوي أن الشيخ يستطيع تصحيح كل الطلبة عندما يخطئون رغم أنهم يقررون في سور مختلفة، وفي نهاية اليوم وعندما ينتهي "العيان" من عرض ألواحهم يقومون بوضع الألواح في مكان مرتفع، يسمى عدتنا (الكتبس) وهو شئ مروع أو مستطيل كالشبكة منسوجة من أخشاب رقيقة مربوطة بخيوط من الجلد أو سعف النخيل يعلق من الأربع أركان في سقف الغرفة بحال متذليلة.

في كل شياخات بدين عدد كبير من المساجد، ففي شبة مسجد بدين ساب والذي أسمسه وقام علي إمامته والدنا الشيخ عبدالرحيم محمد أبداب رحمة الله، ثم مسجد جبرين، وكان قائماً في موقع جميل جداً فوق شاطئ النيل مباشرة، وكان يوم الناس فيه البيش المتمكن عبدالحميد، ثم تم بناء مسجد جديد بعيداً عن القديم، قام عليه الشيخ عمرنوري لفترة من الزمن ، ويتولى أمره الآن الأستاذ الشيف أنور عبدالصادق، ثم مسجد قبة وهو من أقدم المساجد في الجزيرة، كان يقوم علي الإمامة فيه جدنا الشيخ شيخ محمود فقير علي ، وشيخ محمود من أوائل من عرفناهم من (السلفيين) أو أنصار السنة ، لم يكن يحب التصوف ، وكان له هيبة في شخصيته بطوله الفارع وملبسه الأنيق ولحيته البيضاء الطويلة ، رحمة الله ، ثم جاء بعده والدنا الشيخ محمد طه صالح ، رحمة الله ، ثم الأستاذ نجم الدين عبدالجبار نصر، وهناك جامع شبة الشرقية وكان يوم الناس فيه عمنا الشيخ عثمان محمد خليفة رحمة الله، ثم مسجد أبيسان، وفي دقرني مسجدان، وفي شياخة تشي هناك مسجد كبان ، ومسجد بدين كنج، ومسجد ابجاسي، ومسجد سابلكي، ومسجد تشي الشرقية (فتحي أرمن تو) وفي كل من سقدان وسلناري عدد من المساجد.

وكل بقاع السودان في الجزيرة قباب واضحة عابقات الطيب ، لمشائخ متصرفه أجلاء، فتحوا الخلاوي وأودعوا نار القرآن، وأشاروا في جو الجزيرة روح تسامح وإباء، مشوا علي الأرض هوناً، تحسيهم أغنياء من التعفف، مثلوا الدين في بساطته فأخذ الناس منهم من هؤلاء الشيوخ بالحكمة والموعظة الحسنة، وإنظمتهم طريقة صوفية في العقائد والعبادات، مارس الناس شعائرهم في يسر وسهولة، كانوا يذدون الصلاة دون أن يحفظوا شيئاً من القرآن، ولا آية واحدة، أحسنهم كان يحفظ الفاتحة، يسبغون الوضوء دون أن يعرفوا له سنة او فرض ، كانوا يتوجهون في صلاتهم بالدعاء إلى الله باللهجة النبوية، يصومون ويتصدقون، يخرجون الزكاة من محصول البلح، كانوا يقيمون ليالي المولد النبوى بالمدح الجميل، والمدح من العوامل التي صاحت وجادنا بما فيه من حب وشجن وصياغة ولحن جميل، ومن أكثر الأشياء التي حزن لها في السودان هو ادخال الآلات الموسيقية في المدح، وتحولتها إلى أغاني كالغناء العادي، وهذه افقدت المدح نكهتها الخاصة، وكثير شعراء المدح، الذين أخذوا يكتبون المدح دون التمعن

بذلك الإرتباط الروحي الخاص بالله، ودون التمتع بالمقدرة الشعرية واللغوية التي تتمتع بها الكبار. مثل ( حاج الماجي )  
و( البرعي)، ولن تجد اليوم من يستطيع ان يقول مثل ما قال حاج الماجي.

طالبين ام رمال قام الحجيج عجلان	في نمرة الظهر جمعوا الفروض باحسان	فوق عرفة الطلوع يتحعن الليمان	العيد في مفي ورجمنا للشيطان
مزدلفة المبيت جمعوا الحصى العبان	حلقنا الشعور دبحوا البدايا سمان	فرحان الحجيج يتلابس القمحصان	نوصل في مدینته النايرة ام بنيان
والعجب العجائب لية الشيلان	وادونا الاذن ندخل علي السلطان	تلقي الخير موجود والنعيم كيمان	سيد الدار ضمن قال يا عبيد امان

انظروا الي حلاوة هذه الأبيات، وكيف التزم الشيخ بحرف النون في شطري البيت، ذلك من اصعب فنون الشعر، أكثر ما أذكره في مجال المديح عندنا، جدنا سعد الدين وهو يتصدح بالبردة و قصيدة زهير (بانت سعاد) بصوت جميل ولغة صحيحة، يبدأ القصيدة كما هي بالغزل:

بانت سعاد فقل لياليوم متبول	مُنْتَئِم إثراها لم يفدى مكبول	واما سعاد غداة اليين إذ رحلوا	أرجو وأمل أن تدنو مودتها
لا أغنى غضيض الطرف مكحول	وَمَا أَخَالَ لَدِينَا مِنْكَ تَنْوِيلَ	ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى الْمَدِيْحِ :	تَبَنِّتَ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ أَعْدَنِي
وَالعَفْوُ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولٌ	أَذْنَبَ لَوْكَثَرَ فِي الْأَقاوِيلِ	لَا تَأْخُذنِي بِأَقْوَالِ الْوَشَاءِ وَلِمَ	إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَأُ بِهِ
مَهْنَدَ مِنْ سَيِّوفِ اللَّهِ مَسْلُولٌ	عَلَى كَثِيرٍ وَبِالاسْلَامِ خَوْلَنَا	إِلَى أَخْرِ الْمَدِيْحِ فِي الْقَصِيدَةِ.	إِلَيْهِ بِالْمَصْطَفَى الْمُخْتَارِ فَضَلَّنَا

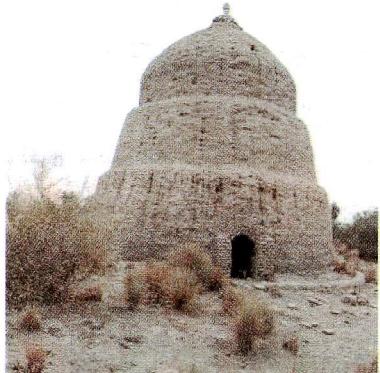
وكان والدي ينشد بربة البوصيري :

مولاي صلي وسلم دائمًا أبدا	على حبيبك خير الخلق كلهم	الله بال MSCF المختار فضلنا	على كثير وبالاسلام خولنا
مذ لاح نور البدى الهدى وهن لنا	نادي منادي الينا في حيننا علينا	بشرى لنا معشر الاسلام إن لنا	ونرتجي أنه للفوز أهلنا

أما كبير مادحي المنطقة كلها فهو الشيخ المادح عبدالعزيز عبدالكريم قورتي الملقب بـ(شراووي) ، كان رحمة الله ذو صوت جميل عذب وله تسجيلات في الإذاعة السودانية.

كان من الأحداث الكبيرة أن يسافر أحدهم لأداء فريضة الحج، يجتمع الناس في بيته في وليمة كبيرة علي كيش أقرن، ثم يزفونه إلى مشرع المركب في سيرة ضخمة وهم ينشدون نشيدا دينيا مصحوبا بدقائق قوية من طبل (نبوة) دائرة كبيرة تدق بالجنين، كان يربطها عنان النور علي كتفيه بحبلين لتتدلى أمامه، ويحمل عصاتين في يديه يضرب بهما الطلبل بالجنين بایقاع معين فينشد معه المجموعة، ولأن عنان النور كان يعرج قليلاً فتأتي ضربة الطلبل مع العرجفة فتخاله يرقص، ولعرجته حكاية طريقة لا استحضرها لأن، يودعون الحاج بأنه لن يعود، وعندما يعود يستقبلونه بوليمة أكبر كأنه غزا الروم او هزم الفرس، وكان من العادة أن يعتكف الحاج في بيته سبعة أيام لا يخرج منه، يزار ولا يزور.

قلت أن في الجزيرة عدة قباب، وهناك قبة الشيخ (شيخ طويل ابورابحة)، والصورة على اليمين هي القبة المذكورة وتاريخ بناء القبة وكيفية بناؤها والمدة الزمنية لبنائها ألغاز لا تفسير لها ، ولا يعلم عنها أحد شيئاً على وجه التحديد. يقول الأخ تاج السر عكاشه أنه سمع من والده أن هذه القبة قديمة جداً ، وأن والده سمع من أبيه أن القبة كانت مبنية على أيامهم ، وشيخ طويل هو جدي والد جدي. وتقول الأسطورة أن الشيخ توفي ليلاً، فدفنوه في مكان حدهه هو قبل ان يموت، وفي الصباح وجدوا تلك القبة الضخمة مبنية، وحسب



رواية جدي رابحة فقد بناها الملائكة ليلاً، ويقال ايضاً أنه حدث أن ابتلع التمساح صبياً من العي، فلجلأوا إليه، فأخذ إبريقه ونزل إلى النهر غاضباً، وبغرفة واحدة من إبريقه (نشف) النيل، فافتضح أمر التمساح، ووجد نفسه في العراء، وعندما حاول الهرب جرياً في اليابسة، ناداه الشيخ، ف جاء يرتجف، فأمره أن يلقط الصبي، ففعل، فأطلق الشيخ سراحه، وأعاد النيل من إبريقه إلى مجراه فشرب منه الناس، وما زالوا يشربون إلى يومنا هذا ، وبالقرب من قبة شيخ طويل، هناك قبة جدنا الشيخ فقير علي (نيشقوق) يعني أبوقررون، وهي القبة الظاهرة في الصورة على اليسار مع جزء من الجامع القديم ، تقول الأسطورة أن فقير علي عندما كان يغضب، كانت تنبت له قرون ينطح بها الخصم فيرسله إلى القبر، ولذلك سُمي (نيشقوق) . والقبة ملحقة بها مآذنة صغيرة ، سالم كان يصعد بها المؤذن إلى أعلى القبة ليرفع الأذان ، وعندما كنت أصور كان معه أبننا (حمد) فصعد السلم في خفة شديدة ليمثل الطريقة القديمة للأذان.

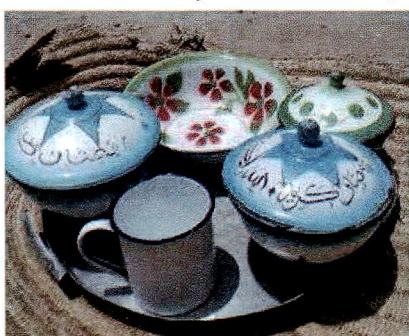


وهناك قبة الشيخ عبدالحكم، وعبدالحكم هذا مجھول البویة، لا يعرف أحد عنه شيئاً، وتوجد أمام القبة شجرة (مور) ضخمة، قالت الأسطورة، إنك اذا قطعت فرعاً من تلك الشجرة ودخلت بها البيت، فسوف يشتعل البيت ناراً، فتفادي الناس الحرائق بأن امتنعوا من الإقتراب من الشجرة.

وهناك في منطقة جبرين، في شياخة شَبَّة، قبة الشيخ (جبرين)،شيخ جبرين شيخ نُوار كما يسميه أهل المنطقة، ويقولون (أيّقَا تَبَّوْجِي) يعني ثبتنا، وفي منطقة (حركبا) هناك قبة تعرف باسم حبس السين ، ولا اعرف اذا كان هذا الاسم تحريفاً من اسم الشيخ صاحب القبة، وهناك في ايجاسي، في شياخة تشي، قبة الشيخ (محمد . شوكت الكبير)، وهو والد حامد(صوفي) الكبير، والذي هو والد بحرية حاج فرحان، وبحرية هذا هو والد آمنة فقير، رحمها الله ، والتي هي والدة أستاذنا جعفر عباس، وهذه الأسرة حسب الأخ (حسن حامد)، تُكَنَّى اي حامد في الأسرة بلقب (صوفي)، والإمام الحالي لجامع شوكت، هو عمّنا محمد حامد(صوفي)، وفي تلك المنطقة ، وعلى شاطئ النيل، كانت هناك مقبرة تنسب الى شيخ اسمه (شيخ موسى ود بُرو). وكان الأطفال عندما يتزلون الى التهر للسباحة ينادونه ويقولون (شيخ موسى ود بُرو، أَلْمَنْ أَفْلَالَا كُكُنْدِي وِيَكَا إِدَنْ). الْأَلْمُ هو التمساح، والككundi هو حجر صلب ضخم قوي، يدق به (الكجِر) في الأرض، والكجر هو الوتد الذي تربط فيه اليائمه، وكان النداء كأنه يقول، امنع عننا التمساح بان تضع في فمه حجراً، ويقال انه في الفيضانات ، كانت المياه تغرق المنطقة التي فيها القبر ولكنها لا تفرق القبر، وقد نُقل قبر هذا الشيخ من قرب الشاطئ الى المقابر، وحسب إجتهد الأخ معتصم عبد الفتاح ، وهو إجتهد اراه صائبأً، ان الأجزاء الجنوبية من جزيرة بدین جديدة لحد كبير مقارنة بالمناطق الشمالية منها، والقباب مبان قدية، ولذلك فلا توجد قبة في سقدان وسلناري .

كان رمضان كما في كل السودان والوطن الإسلامي له طعم خاص، ويكون الإفطار من البلح والنشا الساخن والـ (أبري قيل) يعني الحلو مر ، وبعض العصائر وطبعاً القراصة، أما في السحور فكانوا يأكلون شعيرية بلدية سميكه الجدائل تقوم النساء بعملها قبل بداية الشهر، وكان عمل هذه الشعيرية مناسبة تجتمع فيها نساء الحي في بيت واحد، وفي نفس الوقت يبدأون عمل الحلو مر، وكانوا ينامون مبكرين ويصححون للسحور لأكل وجبة كاملة ، ونذكر عمنا عبيدي أبسكو الذي كان يدور في البلدة وقت السحور ضارباً صفيفة بالعصا منادياً النيام للقيام.

ورمضان هو رمضان، يَهَلْ عليك في كل عام بطعنه الخاص والفرد .. وحي من لا يصوم رمضان يحبه .. ويستحلِي طقوسه .. ويجد فيه تغييراً من رتابة باقي شهور العام .. وهو رمضان حتى لو جاء في آب (الليل فيه ساعة :: ونهاره



يوم الحساب) كما قال ابن الرومي .. لا يتساءل فيه الناس كيف جاء ولم جاء .. إنما يستعدون للقياد بالحب والعزيمة .. وشبيه مفتوحة .. تمر باقى شهور العام بطريقة روتينية لا يحس الناس فيها بالوقت كاحساسهم به في رمضان .. يمر اليوم .. ربما ثقلياً بعض الشئ .. بين إحساس مختلط ما بين الجوع والعطش (خرمة) المكيفات .. وما أن يقترب الإفطار حتى يشعر كل واحد أنه إنتصر على نفسه .. أو على الوسوس الخناس .. وكلما مر يوم .. كلما كبر ذلك الإحساس بالإنتصار .. حتى ينقضي الشهر ويميل العيد .. وأما العيد فأنمه مختلف .. العيد يوحى بالتأمل ويغري بالمسؤول .. يت天涯ج بك بين السعادة والحزن .. وأصل العيد في اللغة هو ما اعتنادك من هم وشوق .. قال الشاعر (والقلب يعتناده من حبّها عيده) .. وعلى ذلك كان تساؤل ابوالطيب (عيده بآية حال عدث يا عيده == بما مضي أم لأمر فيك تجديده؟؟ .. منذ أن أطلقه الأستاذ فهو سؤال هي .. ينظر إليه الأعمى ويسمعه من به صمم .. يردد الدهر ...) ينطلق جيل إلى جيل .. سؤال ينحاوم في أذهان الناس .. وفوق رؤوسهم .. يطفو على ذاكرتهم .. قالوه جبراً أو سراً .. العيد يواظب في الناس الشجون .. يفتقد فيه الناس بعضهم البعض .. يتزاورون ويتصافحون ويتسامحون .. يغمرهم فرح جميل .. والفرح الجميل دائمًا مختلف بحزن نبيل .. وليس السر إلا في ذلك العزن النبيل .. هو الذي يملأ قلوب الناس ودأ وتسامحاً .. في العيد يفتقد الناس موتاهم .. حتى أنهم كانوا يزورون المقابر .. يترحمون على الموتى ... ويفرغصون الجريدة الأخضر في طرق القبر .. ويرشون العجوب فوقه ... في العيد يفتقد الناس مفتربهم .. يفتقد الناس كل من هو بعيد .. أربعة وثلاثين عاماً منذ أن شهدت إحتفالات العيد في قريتي في بدین .. يااااااه .. ياله من عمر طويل .. كل هذه الأعوام وأنا أعيده في المراقب البعيدة الغربية .. كل هذه الأعوام وأنا أستيقظ في صباح العيد فلا أحد نفسي بين أهلي وعشيري .. إستيقظت ذات صباح عيد فوجدت نفسي في الغرطوم ... واستيقظت ذات صباحات أعياد أخرى ووجدت نفسي في مدينة الرياض في السعودية ... إستيقظت ذات صباح عيد ووجدت نفسي في باريس .... واستيقظت ذات صباح عيد ووجدت نفسي في القاهرة .... واستيقظت ذات صباح عيد ووجدت نفسي في مطار روما ... واستيقظت ذات صباح عيد ووجدت نفسي في أديس أبابا .... واستيقظت ذات صباح عيد ووجدت نفسي في شيكاغو ... واستيقظت ذات صباحات أعياد كثيرة ووجدت نفسي في تورنتو .. تورنتو التي إنخدتها سكناً دون مدن الأرض وما زالت أتساءل لماذا فعلت ذلك ... تلك الصباحات العيدية الكثيرة لا تساوي صباح عيد واحد شهدته في مسقط رأسني .. في قرية صغيرة تكون من سبعة أو ثمانية بيوت إسمها (قبة) .. في شياخة صغيرة إسمها (شبة) .. في جزيرة في شمال السودان إسمها بدین .. هناك بين والدي وأخوتي .. بين عماتي وخالاتي .. هناك كان العيد له طعم شهي بيبي حبي .. له طعم جديد مدید معيد ..

كل صباح عيد يطرق أسماعي صوت إحداهم وهي تهنى في نبرة ملؤها الإخلاص:

Koreegon aaja nalana

Salmayeenta saleemayeentan

Gemingalq hawlingalag

Bitani onigoodani assi onigodani

Oreen dolly malladani

onna geegintan

Odi wayini weeri jammini

Magissi samallowgo need nolologo

Oyun werwaka gara najjam

Afian koreiayeeantan malleedo keroragam

(عبد سعيد وعمر مديد لكم ولأطفالكم واحفادكم .. وتمتنياتي بزيادة الخلفة .. وشفاء المريض .. وعودة البعيد ...  
يعود عليكم العيد بالصحة والعافية عاماً بعد عام ... وحولاً بعد حول .. لنحضرن بعضنا البعض بفرحة وابتسامة .) ... تلكم كانت تهنئة العيد ... كما كنت أسمعها ... ثم بعد كل تلك المدة الطويلة التي غبت فيها عن أعياد البلد ذهبت هذا العام (2013) لأشهد العيد في بيدين .. ولكن لم يكن للعيد طعمه القديم ... ولم تطرق سمعي تلك التهنئة الحميمية .. فقد تغيرت كما تغير كل شيء .. وفقدت ذلك الإحساس المتبادل ... والذي كنت أحسه في ما مضى ... في سنين العمر الفرحة المرحة .. المدينة بالتفاهم .. لم أكن قد عشت ما عشت .. ولا جربت ما جربت .. ولا رأيت ما رأيت ..  
ولا قلب لي الزمان ظهر الجن .. كان ذلك قبل أن يماطلني زمامي ما منيَّت نفسي به من أمال .. كما ماطل العباسي من قبل ... حين كان (العود أخضر .. والأيام مشرقة .. وحالة الأنس تغري بي وتغربي) ... كان ذلك قبل أن تنقلنا الهموم .. قبل أن (الدنيا بهينك والزمان يوريك == وقلن المال يُفرِّقُكُمْ من بنتك واديك) ... كان ذلك قبل أن تكن المدن بعيدة من تذري بنا الأوجاع .. حينئذ كانت الدنيا ممتدة أمامنا كسهل منبسط .. في ذلك الوقت لم تكن المدن بعيدة من أحلامي .. ولا كانت الهجرة من خواطري .. لم يكن المتنبي من معارفي .. ولم يكن شعره من رفقائي .. ولم أكن (قلقاً كان الريح تحقي) ... أما الآن فـأين المفر من كل ما تراكم !؟ أين المفر من الواقع الذكري ..  
وباربع العينين ..

\*لم يتذكِ الدهرُ مِنْ فَلَيْ وَلَا كَبِدِي شَيْئًا ثَبَّتْهُ عَيْنُ وَلَا جَيْدُ

\*يا ساقِيَ أَخْمَرَ فِي كُووسِكُمَا أَمْ فِي كُووسِكُمَا هَمْ وَتَسْبِدُ

\*أَصْنَخَرَهُ أَنَا مَالِي لَا تُخْرِكِي هَنْدِي الْأَغْارِبُ

\*إِذَا أَرْدَثُ كُمْبِتَ اللَّوْنَ صَافِيَةً وَجَدْتُهَا وَخَبِيبَ النَّفْسِ مَفْقُودٌ

\*مَاذَا لَقِيْتُ مِنْ الدُّنْيَا وَأَعْجَبَهُ أَنِّي بِمَا شَالَبَ مِنْهُ مَحْسُودٌ

هكذا قلت فرددت صدي قولك القلوب .. هكذا قلت فكان قوله مورداً للنفوس .. وها أنذا أجد في قوله العزاء ..  
ها أنذا أنسأله اليوم ماذا لقيت من الدنيا ؟ .. أشتكي من غريبي .. وأعاني من بعدي .. هذه الغريبة اللعينة ليست أكثر من سترة حال .. أتجزع فيها كرؤس الهم والتسهيد .. وفيها ما فيها من كمبـت اللون أصناف صافية وممزوجة ..

بيضاء وحمراء وصفراء.. دون ذلك وفوق ذلك مختلف الوابها.. (لا تنزل الأحزان ساحتها=إن مسها حجر مسته سراء)  
 .. لها في هذه المنافي بيوت وصالات .. وأديرة وحانات .. ومقاصد ومقامات .. مبذولة لشارها .. ثني بالأنها ونسى  
 بأحسن أسمائها .. من نسل الكربخية والأندرينا .. من الصبهاء والحميقاء.. من أم ليلى والسلافة والمشعشعه .. من  
 البكر والشمول والراح .. من كل مداة للأغتاب والأصطباح .. من مثل (المعنقة منذ دهر في جرار::ختومها بالأفاوبيه  
 وكافور وقار) .. ومن بنات العنبر زجاجات لهن مدبر .. مثل التي أذهلت الأخطل قديماً. فخرج يجر الذيل تهأ كأنه  
 على أمير المؤمنين أمير.. من كل (قبة تأتك قبل مزاجها عطلاً :: فيلبسها المزاج وشاحاً) .. أو كقبة الوليد بن يزيد ..  
 التي زتها تقادمها حتى تجلت ورق جوهرها .. فتبعدت في منظر عجب .. ومثل الذي شربها الأعشى علي لذة .. ثم تداوي  
 منها بها .. كل تلك متوفرة في المنافي .. تناولك إياها اسيلات الخد .. مشروقات الفد .. مملوفات اليد .. مسبلات  
 الطرف .. بالغات الظُّرف .. ساهلات العُرْف .. يسكنك من اليد خمراً ومن الفم خمراً فما لك من سكرين من بد ..  
 كما لم يكن للحسن بن هانق من بد .. في دير حنة من ذات الأكيراج .. أو قطرين. أو قبة الفرك من أكثاف كلواز ..  
 كل ذلك لا يُسلي ولا يفید ولا يداوي .. كل ذلك كان لي قبل هذا اليوم فيه هوئ أطیعه وحدیث ذو أفاتین .. كل ذلك  
 كان في زمن مضي وعمر إنقضى .. وأنت يا سيد الشعراء لماذا سقتني إلى كل ذلك .. هلا حدثني الآن بحدث آخر..

ما لَنَا كُلُّنَا جَوِيْ يَا رَسُولَ  
 آتَنَا هَمَّوْيَ وَقَلْبَنَا المَتَّبُولَ  
 غَازَ مَيْ وَخَانَ فِيْنَا يَمْهُولَ  
 كُلَّمَا عَادَ مِنْ بَعْثَتْ إِلَيْنَا  
 فَعَلَيْهِ لِكْنَ عَنْ دَلْبَلَ  
 إِذَا حَامَرَ الْهَوَى قَلْبَ صَبَّتَ  
 رَوْدِيْنَا مِنْ حَسْنَ وَجْهِكَ مَا دَامَ  
 فَحُسْنُ الْوُجُوهِ حَالَ تَخُونَ  
 وَصَبِيلِنَا نَصِيلِكَ فِي هَذِهِ الدَّنَيَا  
 فَإِنَّ الْمَقَامَ فِيهَا قَلِيلٌ  
 نَخْنَ أَذْرِى وَقَدْ سَأَلَنَا بِنَجْدٍ  
 أَطْبَلَنَ طَرِيقَنَا أَمْ يَنْطُولَ  
 وَكَثِيرٌ مِنْ السُّؤَالِ اشْتَيْاقٌ  
 لَا أَقْنَنَا عَلَى مَكَانٍ وَلَنْ طَابَ  
 وَلَا يُمْكِنُ الْمَكَانَ الزَّجْلِ

اما أنا فاقيم بالمكان إن طاب .. وألفه إن أليف .. ربما ملنته .. ربما رحلت عنه .. وسافرت منه .. إلا أنني أعود إليه ..  
 وأقيم في ريوهه وكأني ولدت به .. علي أن إحساس المقيم ذاك لا يدوم صافياً .. إذ يرق أمامي مكان آخر.. أشتاق له  
 وأحن إليه .. مكان آخر يطوف في خاطري .. يلوح أمام ناظري .. هو دار أبي .. التي إن دخلتها كنت أمنا.. ولكن أين مني  
 دار أبي .. وأين مفي الأمان ..منذ أن فارقت دار أبي فارقني الأمان .. قطعت البوادي وعبرت المحيطات .. فقط لاكتشف  
 أن ما جلت أبحث عنه هنا تركته وراني هناك ..

\* أَمَا الْفِرَاقُ فَلَائِهَا مَا أَغْهَدَ  
 هُوَ تَوَآمِي لَوْ أَنْ يَنْبَأْ يُولَدَ  
 \* وَلَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّنَا سَنُطِيعُهُ  
 لَمَّا عَلِمْنَا أَنَّنَا لَا نَخْلُدُ  
 \* وَإِذَا الْجِيَادُ أَبَا الْبَيْهِيْ تَقْلَنَنَا  
 عَنْكُمْ فَازَدَأُ ما رَكِبَتِ الْأَجْوَدُ

\* من حُصَنَ بالذمِّ الفراق فلأني من لا يرى في الدهر شيئاً يُحْمِدُ  
 هذا رحمك الله شعر محيد .. وقول فريد .. فرغم أن (البيـن) لا يولد إلا أنه يصبح توءـماً للأـنام .. يصطفيـنـهمـ منـ يـشـاءـ .. يـتـغـيـرـ مـهـمـ منـ يـرـيدـ .. نـمـ يـلـزـمـهـ مـلـزـمـةـ الـظـلـ .. فـلاـ يـجـدـونـ مـنـهـ فـكـاـكـاـ .. يـذـهـبـ فيـ فـنـوـنـ التـفـرـيقـ مـذـاهـبـ.  
 يـعـنـ فـيـ الـقـسـوةـ .. وـبـيـالـغـ فـيـ الـتـجـرـبـ .. وـلـاـ يـمـلـكـ الـمـرـءـ الـأـلـطـاعـةـ وـالـإـذـعـانـ .. وـأـنـاـ لـمـ تـنـقـلـيـ عـنـ الـأـحـبـةـ تـلـكـ الـجـيـادـ  
 الـيـ نـقـلـتـ .. وـلـمـ أـقـطـعـ الـمـسـافـاتـ بـالـأـيـامـ وـالـلـيـالـ .. وـلـمـ أـعـانـ وـعـثـاءـ السـفـرـ وـكـابـةـ الـمـنـظـرـ .. وـلـمـ أـصـلـ إـلـىـ مـعـطـيـ أـشـعـثـ أـغـبـرـ .. إـنـمـاـ إـنـتـقـلـتـ إـلـىـ هـنـاـ بـالـسـيـارـاتـ الـمـكـبـيـةـ .. وـالـنـفـاثـاتـ الـفـارـهـةـ .. وـلـمـ يـغـنـ عـنـ ذـلـكـ شـيـئـاـ .. وـمـثـلـمـاـ كـانـتـ  
 جـيـادـكـ أـرـدـاـ مـاـ رـكـبـتـ لـأـهـلـكـ عـنـ الـأـحـبـةـ. فـإـنـ النـفـاثـاتـ أـرـدـاـ مـاـ رـكـبـتـ أـنـاـ .. فـيـ لـمـ تـنـقـلـ شـيـئـاـ غـيرـ أـهـلـاـ بـعـدـيـ عنـ دـارـأـيـ .. وـمـنـازـلـ قـومـيـ .. عـنـ أـغـنـامـ أـمـيـ وـدـجـاجـهاـ وـخـمـامـهاـ .. عـنـ مـزـرـعـةـ جـدـيـ الـيـ أـطـعـمـتـيـ.. وـ(ـأـيـارـ) جـدـيـ الـيـ روـتـيـ .. عـنـ شـجـرـةـ الـلـالـوـبـ الـيـ ظـلـلـتـ طـفـولـتـيـ .. عـنـ تـلـ الرـمـلـ الـذـيـ اـرـتـمـيـتـ فـيـ لـيـالـيـ الـفـرـيـةـ الـمـقـمـرـةـ .. عـنـ أـشـجـارـ  
 النـحـيلـ الـيـ تـحـفـ بـيـتـنـاـ الـطـيـبـ الـوـدـيـعـ .. عـنـ الـجـدـولـ وـصـوـتـ الـبـرـيـخـ .. عـنـ الـجـامـعـ وـالـخـلـوـةـ وـصـوـتـ الـمـؤـذـنـ .. عـنـ  
 شـقاـوةـ أـطـفـالـ الـقـرـبةـ .. عـنـ مـرـاتـ الصـبـيـ وـمـرـابـ الـلـبـوـ

\* آني الزمان بنوه في شببته فسرزم واتيناه علي البرم

إن قلت هذا قبل أكثر من 1000 عام فماذا أقول أنا .. هل جنت أنا إلى الدنيا في (الزمن الضائع) ... هل جنتها  
 والزمان (شرم برم) .. هل جنتها وهي (فرندقس) أم جنتها وهي (دبنة) .. وكيف لي أن أعبر عن زمانى إلا بمفردات لا  
 تفهمها .. هي مفردات العصر .. 1000 عام يا صاحبى .. ألقية كاملة .. تبدلـتـ فيهاـ الـدـنـيـاـ .. تبدلـتـ فيهاـ المـفـرـدـاتـ ..  
 تبدلـتـ فيهاـ الـمـعـانـيـ .. تبدلـتـ فيهاـ الشـعـرـ كـلـهـ .. هـذـاـ زـمـانـ رـدـىـ .. أـصـابـتـ رـدـائـهـ حـتـىـ الشـعـرـ فـأـصـبـعـ حـدـيـثـاـ وـحـراـ وـمـبـنـدـلاـ  
 وـرـكـيـكـاـ .. ولـكـ لـأـلـيـكـ .. أـسـمـعـيـ مـاـ قـلـتـ .. وـمـاـ أـحـسـنـ مـاـ قـلـتـ .. العـزـاءـ .. كـلـ العـزـاءـ فـيـمـاـ قـلـتـ ..

لـكـ يـاـ مـنـازـلـ فـيـ الـثـلـوبـ مـنـازـلـ	أـقـرـبـتـ أـنـتـ وـهـنـ مـنـكـ أـواـهـلـ
يـعـلـمـنـ ذـالـكـ وـمـاـ عـلـفـتـ وـأـنـماـ	أـلـأـكـمـاـ يـبـيـكـ عـلـيـهـ الـعـاقـلـ
كـمـ وـفـقـةـ سـجـرـتـكـ شـوـقـاـ بـعـدـمـاـ	غـرـيـ الرـقـبـ بـنـاـ وـلـجـ العـادـلـ
إـنـعـمـ وـلـذـ، فـيـلـأـمـورـ أـواـخـرـ	أـبـدـاـ إـذـ كـانـتـ لـهـنـ أـوـاـنـ
مـاـ ذـمـتـ مـنـ أـرـبـ الـعـسـانـ فـيـأـنـماـ	رـوـقـ الشـبـابـ عـلـيـكـ ظـلـلـ زـاـلـ
لـلـهـنـوـ أـوـنـةـ ثـمـرـ كـاتـهـاـ	فـبـلـ يـرـزـوـدـهـاـ حـبـبـ رـاجـلـ
جـمـعـ الزـمـانـ فـلـأـلـذـيـذـ خـالـصـ	مـاـ يـشـوـبـ وـلـاـ سـرـورـ كـامـلـ

نعم.. أفترت منازل قريتنا.. دياز حوت طفولتنا وصباها .. شهدت حكاوينا وغرامياتنا .. وعواطفنا الأولى .. أفترت كما  
 أفتر على عبيده من أهله ملحوظ .. أراها من هنا .. من هذا بعد السعيق .. أراها مرة تلوح كباقي الوشم في ظاهر  
 اليد .. كما لاحت لطفة ببرقة ثمبي .. أو كما لاحت للحارث ببرقة شماء ورباضن القطا والإبلاء .. لا أرى من عهدت  
 فيها فأبكي .. ولا يُعيّز البكاء.. وأراها مرة أخرى كما رأها إمرأة القيس بسقوط اللوي بين الدخول فحومل .. وأراها مرة

ثالثة بعين زهير .. فتبدو كديار الرقمنين .. مراجع وشم في نواشر معصم .. ولأياً عرفت الدار بعد توهם .. وأكاد أشكو إليها وأكلمها. أكاد أسمع صوتها كما فعل ذو الرمة ، غilan .. أكاد أدع الدمع ينحدر ، لعله يعقب راحة .. ولكن ليست لي رواحل .. وليس لي خلان .. لأسوقهم إلى هناك .. كما فعل ذو الرمة بجرعاء حزوبي :

خليلي عوجا من صدور الرواحل .. بجرعاء حزوبي فابكيها في المنازل

لعل انحدار الدمع يعقب راحة .. من الوجد أو يشفى تعني البلابل

وأراها مرة رابعة كما رأها الشريف الرضي .. ومثلمًا فعل قلبه .. تافت قلبي .. وما زال يتلفت..

ولقد مررت على ديارهم وطلولها بيد أبللي نهبت

فبكى حتى ضج من لغب نصوي ولخ بعندي الركب

وتلفتت عيتي فمذ خفيث عني الطلول تلفت القلب

أفترت كما أفترت ديار بالجواء علي عنترة بعد أم الهيثم .. وعفت كما عفت ديار لبيد في مي بحمي ضربة ومدافع  
الريان .. وأقوت كما أقوت داز مية علي النابغة بالعلياء والسندي .. فوقف فيها أصلاناً يسائلها ، فعيث جواباً ، فما  
بالربع من أحد .. وقفث منازلنا خاوية علي عروشها .. هاجر منها من هاجر شرقاً .. وهاجر منها من هاجر غرباً .. وهاجر  
منها من هاجر من الدنيا الفانية .. أفترت تلك المنازل .. ولكن لها في قلوبنا منازل أهلة بذكرها .. مليئة بالشوق إليها  
.. فاض بها الحنين .. وطال بها الشجن .. وكيف لا .. فيها مسقط الرأس .. وذكريات الأممن .. رونق الشباب وموطن  
الأحباب .. حين كان للحسان فيما إرب .. ولنا فيهن مثل الذي لهن .. وأكثر .. ولكنك تقول يا سيد القول أن للأمور  
واخر كما كانت لهن اوائل .. وللهو أونة تمر كأنها قبلٌ يرُؤُدُها حبيبٌ راحل .. نعم .. ذاك يا سيد طبع الزمن .. وسنة  
الحياة .. وشيمة الدهر .. وما الدهر!! ماذا قلت؟؟ .. وكيف قلت؟؟ ..

\* وما الدهر إلا من رواة قصاندي إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدًا

\* فصار به من لا يسير مشمراً وغَنِيَ به من لا يغْنِي مُفرداً

\* أحجزني إذا أنشدت شعراً فإنما يُشَعِّري أثال الماديَّون مُرددًا

\* ودفع كل صوتٍ غير صوتي فإني أنا الصانع المخكي والأخر الصدي

تماماً كما أفعل الآن .. أسيء بشعرك مشمراً .. ولكنك سير كسر الكسيح .. وشفقٌ وإه ضعيف .. كبيت العنكبوت ..

وأغنى بشعرك مفرداً .. ولكنك غناء كفناه النافع .. لم يلجنني إليه إلا الحزن والشجن .. إلا الغربة والأمي ..

كيف لم أتغير من شعر الأستاذ إلا ما تخترت .. وهل كان لديه شعر فيه فرح وسعادة .. هل كان لديه شعر فيه مرح

وفكاهة .. أما كان صوته جريحاً .. ولعنه حزيناً .. وقلبه مفجوعاً .. ألم يكن شعره ممتعاً في المدح .. منصفاً في الرثاء ..

معنا في الهجاء .. مات المتنبي في اليوم الثامن والعشرين من رمضان .. فجاء العيد بعد يومين من وفاته .. ذلك

العيد كان يحمل الجديد من أمر الدنيا .. فقد مات مالؤها وشاغل النامن فيها .. قُتل فارس الشعر الآبن على مشارف

بغداد .. فتك به قاطع طريق إسمه فاتك بن أبي جبل الأسدي .. وما أورده الردي إلا قصيدة هجا بها ابن أخت

فاتك، ضبة بن يزيد، هكذا قضي نحبه علي أعتاب شعره .. أودع الزمان قصائد من عيون عيون الشعر .. ونام قرير العين للأبد .. وما زال الدهر يروي قصائد .. ومازال الخلق يختص في شعره وبشعره .. فهو الخصم في الشعر والحكم.

ليس لي من مجال لإنتهاء هذا الجزء من الكتاب ، والحديث فيه عن الدين ، دون ذكر شخصية دينية أساسية في تاريخ الجزيرة ، وهي شخصية شيخنا المجلد الراحل صالح شبر.

وهو صالح إدريس صالح شبر، أكثر الشخصيات الدينية شهرة في بدين وما جاورها، كان شيخنا الأستاذ صالح شبر، عليه الرحمة، أزهرياً مجيداً، جاءنا من الأزهر بعلم غزير، وإلي علمه الفزير، كان شيخنا صالح، ببي الطلعة، طاغي الحضور، قوياً مهاباً، وكانت في منتهي الحيرة كيف أكتب عنه، وماذا أقول، ولكن صديقي وأخي علي عبد الرحيم ابسكو، كفاني صبوعة تلك المهمة، فأرسل لي هذا الحديث الشائق عن شيخنا الكبير صالح شبر، واليكم حديث الأخ علي:

((بعد خصم طال مع القلم، وعشقاً مات في داخلي مع الأدب ، كما ماتت أشياء كثيرة أخرى، استمتعلك أخي محمد عنرا، لأحوال الكتابة هنا، عن الرجل الرمز، الرجل الأمة، الرجل الذي تصدّي لصلاح مجتمع بدين وحده، في زمن كان فيه، بعض أنمه المساجد عندنا، كما في كثير من بقاع الوطن الإسلامي، يدعون لنصرة السلطان عبد الحميد، كانوا يدعون لنصرته، في خطب كتب قبل مئات السنين، دون أن ينتبهوا إلى أن السلطان مات وشيع موتاً، هذا الرجل الرمز هو الشيخ صالح شبر، ومن مبنين لا يعرف صالح شبر، وإنما لا أدعني أنني الأجد بالكتابة عن هذا العبقري، ولا أدعني معرفة كاملة عن حياته، ولكنني سأكتب عنه، لحدث شهادته، وما زالت أحداث ذلك اليوم عالقة بذهني، بكل تفاصيله، رغم تمني بذاكرة خربة.

صالح شبر، يا أحبي، كان مدرسة تربوية، ومصلحاً دينياً، وعملاً اجتماعياً، وصاحب رسالة، عانى ما عانى من أجلها، تحمل الأذى الكثير، حتى أنه تعرض للضرب المبرح، ولكنه تحمل من أجل رسالته النبيلة، كان الشيخ صالح عبقرياً في وطن ارخص بضاعة فيه هي العبرية، كما قال المبدع الراحل الفاضل سعيد، كان أزهرياً متعمقاً في أمور الدين، وكان واعظاً يمر على كل مساجد بدين، والقرى القريبة، إلى الشرق من الجزيرة وإلى الغرب، كنا نراه في مسجدتنا مرة كل ثلاثة أشهر، وما كنا نجرب من بعمر معرفته، تفوق ما تعلمناه في سنوات من غيره، كان صالح الصالح هذا، يملك موهبة في الخطابة، وطريقة بسيطة وسلسلة في توصيل المعلومة، لم أو مثلها حتى هذه اللحظة، كان يملك (الكارزم)، وهي ميزة عرفنا اسمها العلمي فيما بعد، ولكننا كنا نحسها فيه، الكارزم الذي يتبااهي بها مasse العالم اليوم، لم يستعمل كلمة واحدة فوق استيعاب البسطاء من أهلنا، لا وقام بشرحها باسلوبه البسط الخفيف، كان ظريفاً يُضحك كل من في المسجد، ولكنه كان يستعمل الظرف ليغلف به جرعات قوية من أمور الدين والعقيدة.

تملك ناصية اللغتين العربية والنوبية. كانت خطبه ومواعظه بلغة وممتعة، كان يلقي خطبه بالعربية وبصوت جهوري، ثم يترجمها إلى (النوبية). وكان كثيراً ما يطلق الكلمة بالنوبية فلا يعرف الناس معناها، فيضطر إلى شرحها. وكان له مقدمة خاصة به، يقولها قبل الخطيب. ولم أسمع مقدمة أبلغ ولا أشمل من تلك المقدمة، لو وجدتها لكتبتها هنا، ولكنها ضاعت ولم تسجل، كالكثير الذي ضاع وكان جديراً بالتسجيل. وكان لا يخاف في الحق لومة لأن، يهابه حتى الأئمة والوعاظ ، شعاره قول الفاروق رضي الله عنه (الرجل اذا مشى اسرع، واذا تكلم أسمع، واذا ضرب أوجع )، وكانت له غضبات مضربة في حق الله، يفقد صوابه معها فيخاف الناس ويعيشون في رعب. كان له الفضل في محاربة الكثير من البدع والعادات التي لحقت بالدين العظيف. كان يتحدى أنتمنا ويحاول ان ينتقل بهم إلى مرحلة ادراك وفهم صحيح للدين. كان يحاول ان يقول لهم ان المساجد ليست لأداء فرائض الصلاة فقط . بل منها تنطلق حركة اصلاح المجتمع باسره. كانت رسالته واضحة وصريرة. لا بد من تطابق قولك مع عملك. تلك كانت فلسفة التي طبقها في نفسه، قبل ان يطالب الناس بها، وعدم تطابق القول مع الفعل، هو بالضبط ما يفسر امتلاء المساجد بالناس، وفي نفس الوقت تفضي الفساد الكامل في المجتمع .

في عهد الطاغية نميري، تم زيادة اسعار السكر والقمح، وأخذ هذا المصلح موقفاً من هذه القرارات الجائرة، فحرم على نفسه أكل منتجات القمح والسكر حتى مات. ويعكي أيضاً ان احدى نساء العي، جاءت لتسأل الشيخ عن راي الدين في امر ما، ولم يكن الشيخ موجوداً. فإجتهدت زوجته من عندها وأفتدت للمرأة في المسألة. وكانت مخطئة. وعندما علم الشيخ بما حدث، لم يتوان في ان يحكي هذا الموقف في كل المساجد. محذراً الناس من خطورة ان يفني من لا علم له في امور الدين، لم يكن غرضه التشهير بزوجته، ولكن احسن بخطورة الأمر وما يمكن ان يترتب عليه، ولنقارن هذا بكل ما يحدث الان، الكل يفتري ويکفر ويفسر كما يريد، الكل يتحدد في امور الدين كما يتحدد عن مباراة كرة قدم، دون معرفة، كثُرت الإجهادات فكثُرت الخلافات، وكثُرت الفرق الدينية.

اما الموقف العجيب الذي شهدته مع هذا الشيخ، فإنه كان علي خلاف مع إمام أحد مساجد الجزيرة في مسألة دينية، ولكن الإمام حول الخلاف إلى مسألة شخصية. فعندما جاء الشيخ صالح إلى المسجد للوعظ بعد صلاة الجمعة، وفور الانتهاء من الصلاة، غادر الإمام ، وطلب من المصلين مغادرة المسجد فور صعود الشيخ للمنبر، فتبعه البعض، ووقف الشيخ في المنبر يتتابع الخارجين بهدوء، ثم قام بعد من يقروا من الرجال في المسجد، وكان العدد إتنا عشر رجلاً بالضبط ، فقال الشيخ صالح، سبحان الله، هذا هو نفس الموقف الذي مر به الرسول(ص)، عندما جاءت القافلة التجارية بعد طول غياب، تركه الناس واقفاً وذهبوا إلى تجارة ولبو، فنزلت الآية (إذا رأوا تجارة ولبوا انقضوا إليها وتركوك قائمًا) وشرح الشيخ صالح كيف ان الرسول قام بعد من بقي من الرجال فكان نفس العدد، ووضح كيف ان الرسول قال للصلفين في ذلك اليوم، ان الله رحم أهل هذه الديار، وحمهم من مصيبة محققة، بفضل هؤلاء إتنا عشر رجل، ثم وجه حديثه إلى المصلين في صوت حزين وقال، لا ادرى ماذا كان

سيحدث في هذا البلد اليوم ان لم تبقوا، هذا موقف حضرته بنفسي، ويعيش في داخلي من ذلك اليوم، ألا رحم الله صالحأ، واسكنه الجنة ، وبارك في ذريته، لم تمهله المنية فقدت المنشقة كلها في عمر مبكر،))  
إلى هنا وانتهي حديث الأخ علي، والحقيقة أن العجزة (احتفت بذكراه العطرة، فأقاموا بعض المراكز باسمه، كمركز صالح شيرالإسلامي في سقDNA، والذي جاء ذكره في مكان آخر من هذا الكتاب.

## .٩.

منذ نهاية القرن السابع عشر الميلادي وبداية القرن الثامن عشر والرخالة الأوربيون يجوبون مجرى النيل ويسجلون ملاحظاتهم واكتشافاتهم وانطباعاتهم . متحملي في ذلك مشاق الطريق وعوائقه الكثيرة . ورغم أن غرضهم الأساسي كان إكتشاف منابع النيل إلا أنهم توقفوا في مناطق مختلفة على إمتداد المجرى ولدد مختلفة . وكان لآثار المنطقة النوبية النصيب الأكبر من هذا الاهتمام . ومنذ تلك المرحلة من الزمن وإلي يومنا هذا . واعتماداً على ما تركه الأولين من معلومات ووصف ورسوم . ما زالت الحفريات تتم والإكتشافات تجري . وما زالت المنطقة تُدخل العلماء والباحثين والمهتمين بما هو مدهش وثمين . ما زالت المنطقة تخرج من وعائها العامر والغنى : تخرج الدلائل وتثبت بالبراهين أن حضارة وادي النيل بدأت هنا . في الجانب الجنوبي من الوادي ثم امتدت شمالاً . في هذه المنطقة المعروفة حالياً بمنطقة النوبة . قامت حضارة كوش التي امتدت من شمال أسوان إلى سهل البطانة جنوباً . وحضارة كوش هي إحدى أهم وأكبر وأعرق حضارات العالم القديم . ولم تكن تلك الحضارة ملكاً للمنطقة النوبية ولا (للسودان) الحالي . بل لعبت حضارة كوش دوراً كبيراً وأساسياً في نطور القارة الأفريقية . إذ كانت هي الوسيط بين أفريقيا وما حولها من حضارات . وعلى إمتداد مراحلها الأساسية الأولى في ممالك كرمة . نبتة . ثم مروي . تجمعت عند كوش أفكار وعفاند حضارات العالم القديم . وقد قامت كوش بدور تاريخي في نشر هذه الأفكار والعقائد والقدرات الفنية إلى جنوب وغرب القارة . وقد إكتشف المنقبون أن شطراً من أهل أفريقيا كبار عبدوا نفس الآلة التي عرفتها مروي ودانوا بنفس الدينات .

رغم أن تجربة كوش الحضارية هي أكبر تجاريب ما يسمى الآن بالسودان . ورغم أنها الأوفر حظاً ومقدرة للإجابة على سؤال الهوية وإشكاليتها المعقّدة . ورغم أنها الوعاء الذي ينبعض بالتفاعل الحضاري في السودان بخلفيتها المتوسطية والأفريقية . إلا أن البعض (بمن فيهم بعض الباحثين) يميلون إلى إهمال دراسة تجربة كوش باعتبارها حضارة قديمة سادت ثم بادت . والأقطع من ذلك . أن البعض الآخر ينادي بعدم إبعاث الكوشية القديمة باعتبار أن ذلك تأصيل للعودة إلى ما قبل العروبة والإسلام (راجع محمد أبوالقاسم حاج حمد . المازق التاريخي) . والثقافة السودانية لا يمكن أن تمثلها مرحلة تاريخية أحادية واحدة بعينها . وتراث السودان الحضاري الأصيل سابق بكثير على التكوين الحديث للسودان . وإختزال كل تلك الحضارة السابقة في الوجود (العربي) . والدعوة الساذجة إلى حصر الثقافة الحضارية السودانية في الإسلام والعروبة هي مغالطة سخيفة . فالتاريخ ثوابت غير قابلة للتتجاهل ولا للمغالطة . التاريخ حقائق مجردة يجب أن تعرض بأمانة . وعدم الاعتراف بالحقائق التاريخية ليس إلا نكراناً للشمس في وضع النهار . وإذا أردنا أن نصل إلى سلام مع أنفسنا . إذا أردنا أن نخرج من مازق الهوية وأزمنها . فعلينا التأسيس للرتكاز على التاريخ الكوشى النوبى . تاريخ وادي النيل . الذي هو مهد الحضارات قاطبة . نحن الآن والحمد لله مسلمون . ولكن منطقتنا هي المنطقة الوحيدة التي جربت الأديان في كل صورها . بدءاً من ديانات كوش / كرمة / مروي المتعددة والتي انتهت إلى ديانة أختانون الذي كان أول من دعى إلى التوحيد . ثم اليهودية . ثم

المسيحية ثم الإسلام . وقد تقبلت المنطقة كل تلك الديانات بطوعها و اختيارها ، ولا يخفى على أحد آثار تلك المراحل وتأثيرها الموجود إلى الآن . كما لا يخفى على أحد كل المظاهر العقدية والأفكار الفلسفية والطقوس والتقاليد المشتركة بين تلك الأديان . ورغم أن صوتي هذا (اذان في مالطة) لا يسمعه أحد ، إلا أنني أقول أن الهوية السودانية لن تتعدد . ولن تبين لها ملامح إلا بالعودة إلى الدراسات الكوشية . وإدخالها في مناهج تربتنا الوطنية . إلا بالعودة إلى الأصل . إلى المنبع . إلى القرن السابع قبل الميلاد . إلى حضارة كوش . ذلك التاريخ التليد . تلك الحضارة الإنسانية المتفردة والعظيمة ، التي يسمها بعض المستعربين المسلمين (ثقافة نبه و ضلال ) . والحديث عن تلك الحضارة ، وإثباتها ، واستخراج عبر التاريخ منها ، لا ينقص من صحة إسلامنا شيئاً . ولكن ما أسف لإنسان حين ينفصل

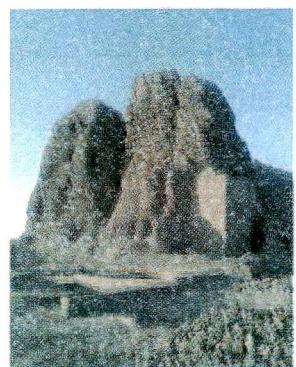
هناك الكثير من الأبحاث والدراسات التي تعنى بحضارة كوش . وهذه الدراسات والأبحاث متاحة للقارئ العادي من أمثالنا . وما كتباها هنا إلا تخيص لما قرأت قديماً وحديثاً . وأنا أكتب من خلفية قارئ مهم وليس من خلفية باحث متخصص ، أود أن أثبت ذلك ، ثم أقول أن هناك تسميات كثيرة أطلقت على السودان من قبل المصريين القدماء ، مثل تا سبتي (أرض السهام) . تا نتجر (أرض الآلهة) أو تا نهسي (الأراضي الجنوبية) أو (تبوا) . أو (واوات) أما الإغريق فمنذ أزمان هوميروس أطلقوا علي بلاد النوبة تسمية (أثيوبيا) وهي تعني ذو اللون الغامض أو المحروق . أما الإسم الرسمي والأكثر تداولاً للدولة التي قامت في المنطقة فهو (كوش) . وقد يستخدم المصريون هذا الإسم منذ عهد المملكة الوسطى . كما يستخدمه الأشوريون والفرس في مدوناتهم . وبهذا الإسم ذُكرت البلاد في الكتاب المقدس . ومن الثابت أن ملوك كورمة ونبتة ومروي أطلقوا علي بلادهم إسم كوش . ثم جاءت تسمية (النوبة) في وقت لاحق ، ولسبب ما غلطت علي تسمية كوش . وبدأ تدوين الحضارة الكوشية تحت مسمى الحضارة النوبية ، وبغض النظر عن أصل هذه الكلمة (نوبة) فإنها تدل دالة قبالية . بمعنى أنها تمثل إسماً قبلياً مثل أسماء القبائل الأخرى في السودان . وقد أضرت هذه التسمية بحجم حضارة كوش وحصرتها جغرافياً . فعند ذكر النوبة أو الحضارة النوبية ينحصر مفهومها عند السودانيين الان علي مجموعة قبلية صغيرة (المحس) تعيش في رقعة جغرافية صغيرة في شمال السودان . حتى أن بعض السودانيين أو ربما الغالبية لا يعرفون أن الدنالقة نوبة . رغم أن معاهدة البقط المشهورة كانت في دنلا . أما سكان المنطقة الممتدة من القولد إلى ما بعد سوبا جنوباً فليس لديهم أدنى معلومة عن حضارة كوشية أو نوبية . رغم أنها حضارتهم ورغم أنهم كوشيون نوبيون . ورغم أن هذه الحضارة إمتدت حتى سهل البطانة ، ودخلت في صراعات مع مملكة اكسوم الأثيوبية ، كما أنها إمتدت شمالاً حتى ساحل البحر الأبيض المتوسط . ودخلت في تنافس كبير مع الإمبراطورية الأشورية من أجل السيادة علي سوريا وفلسطين . إذن فمفهوم الحضارة النوبية بأفقها الضيق لا ينطليق مع الواقع التاريخي الحقيقي لهذه الحضارة . ولذلك يجب أحياه وإبعاث اسم كوش . ولا يقع عبء تلك المهمة إلا علي عاتق النوبيين لا غيرهم.

تلك الأبحاث والدراسات سالفة الذكر تتحدث عن كوش من العصر الحجري القديم والمتوسط والحديث ، إلا أنني أتناول كوش بدءاً من حضارة كرمة ، التي إمتدت في مراحلها المختلفة من سنة ( 3000 إلى سنة 1550 ق.م ) ، وكانت كرمة في تلك المرحلة هي عاصمة كوش ، ولذلك حملت حضارة كوش في تلك المرحلة إسم حضارة كرمة ( مملكة كرمة ) . وحضارة كرمة تمثل تطور الدولة في كوش بصورةتها الأساسية والفاصلية .

على اليمين صورة الدفوفة، مركز حضارة كرمة ، وهي حسب حدث د. بونيه ( علي اليسار )، كانت مبنياً



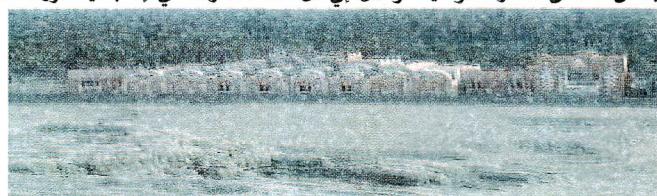
متعدد الاستعمال ، وبالإضافة إلى أنها كانت المركز الديني لكرمة ، فقد كانت أيضاً محل لتصنيع وتخزين السلع النادرة قبل تصديرها إلى مصر شمالاً وإلى مناطق مختلفة في أفريقيا جنوباً ، ويشير د. بونيه



إلى ملحوظة أساسية وبالغة الأهمية ، وهي ( أن الصعود إلى أعلى الدفوفة يتم عبر سلم جانبي وليس عبر سلم يتوسط المبني مثلاً ) هو الحال في المعابد المصرية ) ، ويشير د. بونيه إلى أن ( كرمة كانت قوية لدرجة أنها أخافت الأنظمة

في مصر وجعلتها في قلق دائم ) ، وفعلاً ، فقد دخلت في صراعات متتالية مع الأسر المصرية ، فيبعد طرد المكسوس من مصر تفرغ ملكها ( أحمس ) لمواجهة التهديدات الخطيرة التي مثلتها مملكة كرمة ، توفي أحمس تاركاً العرش لابنه منحوتب الأول ، الذي شن حملات مكثفة على كوش ، وهي حملات استمرت في تنفيذها كل من تحتمس الأول وتحتمس الثاني ، إلا أن القضاء على المقاومة الكوشية في منطقة كرمة اكتمل فقط في فترة الحكم المشترك لـ تحتمس الثالث وتحتبسبوت وتم تأسيس السلطة المصرية حتى الشلال الرابع في العام الحادي والثلاثين من حكم تحتمس الثالث 1460 ق.م.

كان من حسن حظ حضارة كرمة وأثارها المجيدة ، أن توفر لها عنابة الدكتور شارل بونيه ، وهو عالم آثار سويسري يعتبر من أكبر علماء الآثار في العالم الآن ، ترأس بونيه فرقه سويسرية عملت في آثار كرمة لمدة 43 عاماً ، ورغم أن التنقيب في آثار كرمة بدأ منذ سنوات بعيدة ، إذ كان الباحث الأمريكي جورج رايزنر قد نقب فيه في بداية القرن الماضي ، أي في حدود 1914 و 1918 . ويعتبر رايزنر من أضروا التاريخ الكوشى ضرراً بالغاً ، إذ بعد تنقيب مكثف في بعض مناطق الآثار الكوشية توصل إلى أن تلك الآثار ما هي إلا بقايا غزوات مصرية . وأعتبر أن الحضارة الكوشية إمتداد مختلف للحضارة المصرية ، وكان في ذلك مخطئاً وعنصرياً منحازاً ، وعموماً فمن مصائب التراث الكوشى أن كل الذي وصلنا



تقريباً تم كتابته بأيدي غربية ، والأيدي الغربية في جلها ماكرة ، ملفقة ، وغير أمينة ، إلا أن العمل الذي قام به دكتور بونيه ، وبالإضافة إلى عظمته ، فقد كان فاصلاً تصحيحاً لغالطات رايزنر وغيره ، مرة بعد مرة أثبتت بونيه أن هذه الآثار لم تكن بقايا غزوات مصرية ، بل كانت لحضارة أصيلة نشأت في هذه المنطقة ، وضمن دلائل كثيرة يقول شارل بونيه أن أكبر دليل على ذلك هو العثور على معبد ذي هندسة دائنة مثل ما هو موجود في روما أو اليونان، ولا يوجد له مثيل في كامل مصر او على طول وادي النيل".مرة بعد مرة دعمت إكتشافات بونيه الفرضية القائلة أن كل حضارة وادي النيل القديمة بدأت في الجنوب ، في كوش ، في كرمة ، ثم اتجهت شمالاً ، ثم يوضح د. بونيه أن هذه الإكتشافات لها دلالة كبيرة بالنسبة لتكامل القارة الإفريقية ، وإنها حضارة أسطورية غير معروفة بما فيه الكفاية ، وبعد الإكتشافات المهمة التي حققها د. بونيه والفريق العامل معه ، والتي استمرت كما سبق القول 43 عاماً ، توج د. بونيه هذه المجهودات الجبارية بإكتشاف تماثيل الفراعنة السود ، وقد مثل هذا الإكتشاف ثورة لدى الآثاريين غيرت العديد من المسلمات السابقة ، ووضعت أجوبة متكاملة لكل ما كان مشكوكاً فيه ، ثُمّ حدثت عن هذه الإكتشافات جهات إعلامية كثيرة ، أما الجهات المتخصصة في كل العالم فقد أصابها الذهول ، لكثرة المعلومات التي وفرها هذا الإكتشاف العظيم، وبالإضافة إلى ذلك الإكتشاف فقد قام د. بونيه بمساهمة أساسية في إنجاز مشروع هام وكبير ، وهو تشييد مجمع حضارة كرمة (متحف كرمة) . الصورة إلى اليمين والمتحف يحتوي . بالإضافة إلى تماثيل الفراعنة السود . على مواد وتماثيل أثرية تغطي كل الحقب التاريخية التي مررت بها المنطقة.

في هذه الصورة (من متحف كرمة) تظهر تماثيل الفراعنة السود التي قام د. بونيه بإكتشافها في (دُكى قبيل) غير بعيد من الدفوفة. تهارقا الذي يتوسط الجميع بقامته الطويلة ، متواصلاً تماثلين لثانوت آمناني ، وفي الأمام إلى اليمين واليسار، نجد تماثلي سكنامانسكن بلباسه الديني وبغطاء الرأس الذي يحمل شعار الملوك الذين حكموا كوش ومصر ، وإلى اليمين، نشاهد تمثال آنلاماني بغطاء الرأس الذي يحمل إلى جانب شعار ملوك كل من مصر وكوش. يحمل قرون الإله آمون ، أما التمثال الصغير الذي يتقدم الجميع فهو للملك آسبلتا ،

ويقول د. بونيه أن آسبلتا على الرغم من صغر قامته مقارنة مع قامة أسلافه، فإنه كان من أقوى الملوك الذين حكموا المملكة لأكثر من 25 عاماً ، وهو الذي نقل عاصمة المملكة من نبتة إلى مروي[البعراوية].



بعد حملة تختص الثالث على كوش والتي احتلت الأراضي الكوشية حتى الشلال الرابع ، يبدو أن الكوشيين أخذوا وقتاً طويلاً حتى استعادوا السيادة الكاملة على كوش ، ولما كانت كوش تدار بتنظيم قائم على مشيخات وإمارات ، ولما ضعفت السلطة المركزية في مصر ، دخلت هذه المشيخات والإمارات في صراعات داخلية ، ولكن ، وتحسباً لغزو مصرى جديد ، فقد بدأت محاولات لتوحيد كوش ، فكانت بداية مملكة نبتة ، ونبتة هي المدينة التي انتقلت إليها العاصمة في (725 ق.م)

وتم توحيد كوش في عهد الملك آلارا ، الذي توج ملكاً بعد صراع مثير مع منافسيه.

والآلا هو أول ملك معروف من ملوك نبتة ، حكم ما بين (790 إلى 760 ق.م)

أحكم سيطرته تماماً على كامل النوبة العليا ، وجعل من مدينة نبتة الواقعة أسفل الشلال الرابع ، عاصمة دينية لملكته.

ثم جاء بعده الملك كاشتا (760 إلى 747 ق.م)

ويرجع أنه كان أخاً لآلارا ، نجح كاشتا في مد حدود كوش إلى أسوان ، وهو والد الملك الشهير البطل يعانخي (يعانخي) إلى 715 ق.م

الذى أكمل طموحات والده وتمكن من احتلال مصر كلها واحتضانها تماماً في حوالي (740 ق.م) ، وأسس دولة قوية إمتدت من البحر الأبيض المتوسط حتى الحدود الحبسية . وكما فعل والده فقد حكم بعاني باسم الإله أمون فانياً (الإلهة تصنع الملك ، والناس يصنون الملك ، إلا أن أmons قد جعلني ملكاً ، وهبني أmons النبي حق حكم جميع البلدان) . ويعتبر بعاني هو أول من حكم مصر وهو في كوش ، إذ بعد حملته (الدينية المقدسة كما أعتبرها) على مصر ترك حكم مصر لخلفاء في (طيبة) التي كانت العاصمة الدينية لمصر في تلك المرحلة وعاد إلى عاصمتها نبتة التي أخذ في تجميلها وإنشاء المعابد الكبيرة فيها ، ومن هناك حكم مملكته متaramية الأطراف ، وهو أول ملوك الأسرة الخامسة والعشرين التي حكمت وادي النيل لمدة 80 عاماً . توفي بعاني في (715 ق.م) ودفن في نبتة حسب الطقوس الكوشية .

وكاشتا هو أيضاً والد الأميرة الكوشية المعروفة (أماتي ريديس) التي صاحبت أخاه بعاني إلى مصر ، وأصبحت زوجة للإله أmons الطبي ، وبذلت اسمها الكوشى بالإسم المصري الكهنوتي (أماتي ريديس) . وكانت الزوجة الإلهية . كانت من حيث المرتبة ملكة والبة حية . وأصبحت مسؤولة عن مصر العليا نيابة عن أخيها بعاني وشباكا . عاشت أماتي ريديس في مصر أربعين عاماً . من بعدها ، أصبحت الأميرة (شبينوت) إبنة الملك بعاني زوجة للإله أmons.

خلف بعاني علي العرش أخوه شباكا (شاياكو) . الذي أصبح ملك كوش ومصر بين (716 و 702 ق.م) وفي عهده تجلت الأطماع الآشورية علي مصر وكوش . فأضطر شباكا إلى البقاء في مصر مقيماً في منف . مبقياً نبتة عاصمة للمملكة . ولم يود شباكا الدخول في حروب مع الآشوريين فتوصل إلى إبرام اتفاق دبلوماسي معهم بتسليمهم أحد

المتمردين المطاردين من قبل الملك الآشوري سرجون الثاني ، كما أنه تقرب للنخبة الكنوتية للإله بتاح في منف والإلهة تاست في بوباستس وغيرهم حتى كسب ودهم فأحس بالإستقرار، عندما توفي حنط جثمانه ونقل إلى الجنوب حيث دفن في هرم الصغير في مقبرة الأسرة في الكرو قرب نبطة.

بعد وفاة شباكا اعتلي العرش شبتاكا (شبتاكو) 702 إلى 690 ق . م )، ومن غير الواضح لعلماء الآثار حتى الآن إن كان شبتاكا ابن بعاني أو ابن شباكا ، بمجرد أن أصبح شبتاكا ملكاً وجد نفسه أمام أزمة خطيرة ، إذ أصبحت التهديدات الآشورية القادمة من شمال العراق على أراضي البحر الأبيض المتوسط حقيقة ، فأضطر إلى السفر إلى مصر ، ومن هناك يستدعي أخيه تهارقا (تهارقا) للقدوم إلى مصر على رأس جيشه من كوش ، ثم إنصل بحكم سوريا وفلسطين في محاولة لتكوين جهة مواجهة للأطماع الآشورية ، ثم جاءه طلب مساعدة من حزقيا ، ملك مملكة يهودا ، فاستجاب له وأرسل حملة عسكرية بقيادة تهارقا ، دخل تهارقا مع الآشوريين في معارك متعددة ، وأبدى هو وجيشه بسالة شديدة ، ولكن لم يكن تهارقا مضطراً لمواصلة الحرب ، إذ تراجع الغزاة وذلك بفعل مرض فتاك انتشر بينهم وأدى إلى وفاة الآلاف منهم ، وهكذا عاد تهارقا وسلمت المملكة من الغزو الآشوري ، توفي شبتاكا في مصر ، ورحل جثمانه إلى مقبرة الأسرة في الكرو قرب نبطة.

بعد وفاة شبتاكا أصبح تهارقا ملكاً 690 إلى 664 ق . م )



توج في مصر ، وهو ابن بعاني وشقيق شبتاكا ، كان محارباً عظيماً ، جلداً شديد المram ، تولى قيادة الجيش وهو في العشرين ، خاض غمار العديد من المعارك ، وهو من أكثر الذين تتحدث عنهم كتب التاريخ الخاصة بالحضارة النوبية ، كما تتوفر عنه معلومات كثيرة من النقوش الحجرية التي تم العثور عليها في مصر والسودان ، وقد كتب عنه أعداؤه الآشوريون ، وذكر مرتين في الكتاب المقدس. ولكن باسم خاطئ ، وقد انتشر ذلك الإسم الخاطئ بين الكثيرين ، وهو (ترهارقا) ، ذلك نطق خاطئ للإسم يستعمله حتى بعض النوبيين . كما أن الإسم الآخر (تهارقا) خاطئ أيضاً .

ولو أنه أقرب للصحيح ، علي كل حال ، فتهارقا هو الأكثر شهرة بين ملوك الأسرة الخامسة والعشرين ، وينظر إليه كواحد من الملوك الفاتحين العظام ، كان معروفاً في سوريا وفلسطين وفينيقيا وعسقلان ومملكة يهودا ، فقد إدعى شرعية سيادة كوش على الممتلكات المصرية السابقة في سوريا وفلسطين ، تلك التمدوحات هي التي أدخلته في حروب عديدة مع الآشوريين بعد ذلك . ففي عهده أصبيت الإمبراطورية الآشورية ببعض الضعف بالإضافة إلى أنها إنشغلت بالحروب والإنتفاضات الداخلية ، فعاشت مصر وكوش فترة إستقرار خالية من التهديدات الخارجية ، وقد أثبتت الحفريات ودراسة رسومات ونقوش تلك الفترة أنه وفي العام ( 684 ق . م ) ارتفع منسوب مياه النيل إلى درجة غير مسبوقة ، كاد الفيضان يغرق المملكة كلها ، ولكنه تحول إلى فيضان خير ، فتوفرت محاصيل إستثنائية زادت

المملكة ثراءً . وفي ذلك قال تهارقا في مدونات وجدت في تانيس بمصر وبكوة في السودان ، ((أيا آمون يا أبي، يارب عرشي القطرين، لقد أنعمت على بأربع معجزات في غضون سنة واحدة، وهو العام السادس من تتوبيجي ملكاً، عندما فاض النيل ليبلغ مستوى يمكن أن يسبب انجراف المواشي وإغراق سائر البلاد، ولكن ظلت المناطق الريفية جميلة على مد البصر، ولم يسمع لرياح الجنوب أن تقضى عليها، وماتت القوارض والزواحف وطردت أسراب الجراد، وهكذا استطعت أن أحصد حصاداً وفيراً بكميات لا تقدر من أجل بيت الغلال المزدوج )) . كما توفرت ثروة كبيرة من الضرائب المفروضة على المواطنين في كوش ومصر . بالإضافة إلى العائد الكبير من العمل في مناجم الذهب في الصحراء الشرقية ، فشهدت السنوات الأولى من حكم تهارقا ازدهاراً هائلاً . وقد توسيع مملكة نبتة في عهد تهارقا جنوباً حتى مكان يسمى (ريموقابت) وشمالاً في آسيا إلى مكان يسمى (كبح حور) ولكن الواقع الحديث للمكانين غير معروفة حتى الآن . ومن النصوص الكثيرة المكتشفة في (كوة) . وكوة هذه ليست هي (الكوة) التي تقع على النيل الأبيض بل هي مركز أثري كبير يقع على الضفة الشرقية للنيل في مواجهة دنقلا العرضي . من النصوص المكتشفة هناك فإن المعابد وجدت دعماً كبيراً حتى تحولت في كوش إلى مراكز علمية كما هو الحال في مصر ، ووجد في معبد آمون بكوة آثار لمنجمين استطاعوا تحديد الوقت بحركة الأفلاك بمساعدة أجهزة متخصصة . ومن المرجح أن أعمال صهر العديد في مروي (كبوشية) قد بدأت في عهده . حيث بدأ العمل على تطوير الأسلحة لمواجهة التهديد المستمر من قبل الإمبراطورية الآشورية . وبالفعل فقد شن الآشوريون في عام 647 ق. م هجوماً عنيفاً على الكوشيين في مصر، ولكن تمكنت تهارقا من إلحاق الهزيمة بهم . ثم عاود الآشوريون الهجوم بعد ثلاثة أعوام ونجحوا بقيادة ملكهم أسارحدون في الوصول إلى منف حيث المقر الملكي لتهارقا . فخرج تهارقا من منف تاركاً زوجاته وأبناءه فوقعوا في الأسر، ومن بينهم ابنه (أوشى ناحورو) الوريث الرسمي للعرش . ولم ينعم الآشوري أسارحدون كثيراً بانتصاره الكبير إذ عاد تهارقا منتصراً إلى منف في عام 669 ق. م . وفي عام (666 ق. م ) جدد الآشوريون هجومهم على مصر بقيادة ملكهم أشور بن بعل . ووصلوا منف . فتراجع تهارقا من منف إلى طيبة في جنوب مصر. ثم إلى نبتة . ومات هناك في عام 664 ق.م قبل أن يتمكن من العودة لاستعادة منف . وترك الصراع بين مملكة نبتة والإمبراطورية الآشورية على أشده . دفن تهارقا في جبانة جديدة أنشأها في نوري. بلغ ارتفاع هرميه 150 قدمًا وكان الأكبر من بين الأهرام التي شيدت في كوش . ومثلما حدث لمدافن أسلافه فقد تعرض مدفن تهارقا إلى النهب والتخريب . ولم يتبق من جثمانه غير أجزاء من رجليه . ومن مرافقاته بعض الأواني الحجرية وبعض التماثيل . ولكن يبدو أن الكوشيين في مرحلة ما . ربما في عهد تهارقا . وصلوا إلى فلسطين . فهناك الكثير من الكتابات (اليهودية) التي تدل بوضوح على وجود أثريون كبير في تاريخ القدس . والتوراة نفسه فيه الكثير من أخبار كوش . مثال ذلك كتاب The Rescue of Jerusalem مؤلفه اليهودي (Henry T. Aubin) الذي يقول أنه لولا الحماية النوبية للقدس ضد الغارات الآشورية لما بقيت اليهودية ولما كانت هناك مسيحية على الأرض . ويجدون هنا أن ذكر أن العالم الكبير بروفسور ولIAM أدمز

ذكر في كتابه الشهير (النوبية رواق أفرقيا) أن تهارقا في الغالب مدفون في منطقة آثار صادقا شمال صلب. وأن مدفنه في نوري ما هو إلا مدفن تذكاري، والبروفسر أدمز وكتابه المذكور من مصادر التاريخ النبوي الموثوقة.

بعد وفاة تهارقا ، والصراع محتمد بين مملكة نبتة والإمبراطورية الآشورية للسيطرة على مصر، تولى العرش في نبتة الملك ثانوت أمانى (تالتلماي) الذي حكم بين (664 إلى 653 ق.م) ، وكان أحد أبناء شباكا ، وفي عهده فقدت نبتة السيطرة على مصر نهائياً . وهو الملك صاحب (لوح العلم) الذي عثر عليه مع الواح ملوك كوش الآخرين في جبل البركل . يشير اللوح إلى حلم شاهده الملك في نومه . تُرجم ما في اللوح إلى ((وفي عام تتويج جلالته رأى في المنام أفعين ضخمتين واحدة على يمينه والأخرى على يساره، فاستيقظ جلالته وبعث عنهم دون جدوى. وتساءل جلالته: ماذا حدث؟ فقدم له البعض هذا التفسير: إن البلاد في قبضتك، وبقى أن تفتح شمالها أنهاهما السيدتان اللتان ظهرتا فوق رأسك لتمتعاك البلاد دون منازع)) وكما فعل والده شباكا وجده بعانياً . ولتعقيق ذلك العلم الملكي . فقد توجه ثانوت أمانى إلى مصر لاستعادة السيطرة عليها بعد أن تراجع الآشوريون . فوصل طيبة في جنوب مصر وزار معبد الإله خنوم ، ثم سار إلى منف وحاصرها واستولى عليها دون مقاومة تذكر . لما علم أشور بن بعل أو (آشوريانبيال) بسيطرة الكوشيين على مصر مجدداً أرسل علي الفور جيشاً جراراً . كانت الإمبراطورية الآشورية هي القوة العسكرية العظمى الوحيدة في المنطقة في تلك الفترة . لم يصمد تالتلماي أمام القوة الآشورية الغاضبة ، فترك منف إلى طيبة ثم تراجع إلى كوش . فدخل الآشوريون طيبة ودمروها وتبوا ما فيها ، عاد تالتلماي إلى نبتة واستمر ملكاً على كوش حتى توفي في 653 ق.م . وكان بذلك آخر ملوك الأسرة الخامسة والعشرين . بعد ذلك لم تطا أقدام الملوك الكوشيين أرض مصر ، دفن تالتلماي في مقابر الأسرة مع أسلافه في الكرو قرب نبتة ، له تمثال وحيد عثر عليه في جبل البركل . يوجد حالياً في متحف تليدو للفنون في أمريكا.

بعد ثانوت أمانى حكم نبتة مجموعة ملوك من نفس الأسرة ، خلفه على العرش ابن عمه أتلانيسا (643-653 ق.م) ، هو أحد أبناء تهارقا ، وهو من الملوك الذين تحدث عنهم المؤرخ الإغريقي هيرودوت . له تمثال ضخم منحوت من الجرانيت عثر عليه في جبل البركل ويوجد الآن في متحف يوسبطن للفنون الجميلة في أمريكا.

خلف أتلانيسا على العرش ابنه سنكامانسكن (623-643 ق.م) الذي لا توجد له نقوش تاريخية . عُرف من آثاره فقط ، له معبد صغير في جبل البركل ، وتمثال ضخم يوجد الآن بمتحف السودان القومي للأثار في الخرطوم . إعتنى العرش من بعده ابنه أتلامانى (600-623 ق.م) . تعرف عليه الآثاريون من مسلة عثر عليها في كوة . شرق دنقلا العرضي ، وجد له تمثال بالحجم الطبيعي في جبل البركل يوجد الآن بمتحف القومي للأثار . أما قاعة عرشه الفعلية فموجودة في جبل البركل .

جاء بعده شقيقه أسيالنا (568-600 ق.م) . واسบาลنا من الملوك الذين توفرت عنهم ومهن نصوص طويلة تحتوي على معلومات كثيرة . فقد وجدت منه في جبل البركل نصوص تشرح عملية انتخاب الملك وتركيب الدولة وبنيتها في كوش . هذه النصوص تشرح أن عملية انتخاب الملك كانت تتم وفق تقاليد صارمة ، كان الكهنة يثبتون أن الروح

الإليبيه أشارت إليه . ثم تتم الموافقة من قبل المحاربين(الجيش) . وكان للكهنة أيضاً سلطة إقصاء الملك ، والنص الثالث من نصوص إسبالتا يُعرف عند الآثاريين بـ (نص التكرس) ، فقد قام إسبالتا بسن قوانين جديدة أراد بها إحتكار السلطة وإمتلاك مصالحات الحكم كاملة في يديه . تلك الإجراءات أدت إلى مواجهة بينه وبين الكهنة فأمر بقتلهم ، ويبعد أنه كان طموحاً . فقد فكر في غزو مصر وإعادة مجد كوش . ووصلت أخبار طموحاته إلى بسامييك الثاني ، ملك مصر في ذلك الوقت . فغزا كوش بجيشه جرار كما سنين بعد قليل ، عند ساعده بغير الغزو المصري . وفي عام 593 ق.م قام إسبالتا بنقل العاصمة من نبتة جنوباً إلى مروي (البجراوية) ، غير له تمثال ضخم من العرائس يوجد حالياً بمتحف بوسطن للفنون الجميلة، ويوجد أبوهول له في المتحف القومي للآثار في الخريطوم، هرمه موجود في نوري وبعد من أفضل المدافن وأكثراها اكتتمالاً من بين المدافن والأهرام الملكية الكوشية، وهو أقلها تعرضاً للنهب.

ونذكر هنا أن طريقة الدفن في الغالب خاصة في مرحلة حضارة كرمة كانت تتم على الطريقة الكوشية والتي كانت تختلف عن المصرية . إذ كان الدفن الكوشي يتم بوضع الجثمان في عنقريب وليس في تابوت . وكان الجثمان يوضع ممدداً على جانبه الأيمن . وتم الكشف في آثار بعض المواقع عن مقابر جماعية ، إذ كان علي الرقيق أن يرافقو سيدهم إلى العالم الآخر ، فكانوا يدفون أحياء بجانب مقبرة الملك ، ، ففي أحدى المقابر وجد عدد من الموقى مكدين جوار الحائز كأنهم ماتوا وهم يحاولون الخروج ، كما غير على بعضهم وهو يضع يده على عنقه ، وبعضهم وهو يغطي وجهه أو يضع يده على رأسه . وقد غير في أحدى المقابر على رفات ثلاثة شخص من العاشية تم دفنه مع الملك . وأيضاً تم إكتشاف بقايا حيوانية تبدو أنها من ممتلكات الميت . إحتوت مقابر الملوك والأمراء والملكات علي أواني من البرونز ، وفخار ، ومصنوعات من المرمر وأدوات للزينة وقطع ذهبية ، ومن الواضح بالذات عند المرويين أنهم كانوا شديدي الاهتمام بحياة ما بعد الممات ، وقد خلفو في مدفنهم أدباً جنائزياً وأغراض أرادوا بها ضمان حياة أبدية لأنفسهم . أما التعبير فلم يظهر له أثر إلا عند الملوك الذين دفنتوا في الإهرامات بدلاً من المدافن التقليدية . وجدير بالذكر أن عدد الإهرامات في السودان يبلغ الثلاثمائة هرم ، بينما عدد إهرامات مصر يبلغ نصف هذا الرقم.

سبق القول بأن ثانوت أمني كان آخر ملوك الأسرة الخامسة والعشرين . والذين حكموا كوش ومصر ، بعده تأسست في مصر الأسرة السادسة والعشرين ، بقيادة بسامييك الأول . واستمرت العلاقة بين نبتة ومصر في هذه ، ربما مشوب بالحذر ، إذ لم يتخلى ملوك كوش عن إدعائهم بشرعية وراثتهم للناتج المصري . ومن جانبه عاش ملوك الأسرة السادسة والعشرين في مصر في قلق مستمر من أن يعاود الكوشيون غزو مصر . خاصة وأن الشعور العام في الأوساط الشعبية في مصر كان موالياً للكوشيين بإعتبارهم أبطالاً وفروا الحماية لمصر من شر الحكم الآشوري ، هذا بالإضافة إلى أن الملوك الكوشيين في الأسرة الخامسة والعشرين ظلوا في نظر الدوائر الكهنوthe المصرية هم حماة الدين والتقاليد ، وذلك ما يفسر السياسة التسامحية التي اتبذلها ملوك مصر نحو من بقي من الشخصيات

الковوشية الكبيرة ، فزى أن عابدة الإله شبنيوت (ابنة الملك بعاني) تبنت نبتوكريس إبنة بساماتيك الأول. كذلك لم يتم إبعاد أفراد الطبقة الأرستقراطية الكوشية الذين بقوا في طيبة من المناصب العليا التي كانوا يشغلونها في السلك الإداري، أو في الدواوين الكهنوتجية . ورغم التسامح الظاهري من ملوك الأسرة السادسة والعشرين نحو كوش وملوكها إلا أنهم كانوا يضمرون الشر . وفي عهد بساماتيك الثاني بدأت إجراءات تهيئة الرأي العام المصري لغزو كوش . أصدر بساماتيك الثاني أوامره بإزالة أسماء الملوك الكوشيين أينما وجدت في مصر وإحلال إسمه بدلاً منها . كما بدأ حملة مكثفة لتغيير صورة الملوك الكوشيين في أذهان المصريين من حماة للعقائد القديمة ومحربين لمصر من الغزاوة الآشوريين وإحلال صورة جديدة تظهر الكوشيين كفزاة مستعمرين دمويين اغتصبوا السلطة الشرعية من الحكام المصريين ولبسوا الناج المصري من غير حق ، كانت مصر قد دخلت في الصراع الدائري لإقتتسام تركة الإمبراطورية الآشورية المحتضرة في آسيا . وتطلب ذلك تأمين الحدود الجنوبية من غزو مفاجئ من الكوشيين . بالإضافة لحوجة الاقتصاد المصري لذهب كوش ومنتجاتها الأخرى . وهكذا . ومع بداية عهد الملك الكوشي إسبالتا ، قاد بساماتيك جيئاً كبيراً تالفاً من مصريين وجند مرتزقة من الأغريق واليهود والفينيقيين والليبيين ، وتقدم بهم حتى ثبتت الحدود مؤقتاً عند الشلال الثاني.

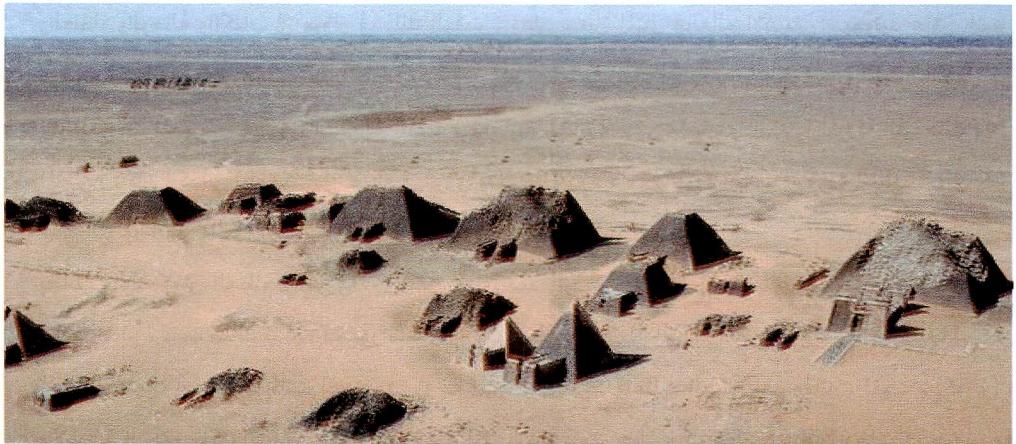
كانت حملة بساماتيك من العوامل الرئيسية التي أدت إلى نقل العاصمة الكوشية من نبتة إلى مروي بعيداً إلى الجنوب . وربما كان هناك تفكير سابق من ملوك نبتة لنقل العاصمة إلى مروي . فموقعها أكثر إستراتيجية من الناحية العسكرية والاقتصادية من نبتة . في ملتقى للعديد من الطرق التجارية التي تربط البحر الأحمر بغرب القارة ، والطرق التي تربط الشمال بالجنوب . بالإضافة إلى أن الأراضي المتاخمة لمروي أغزر أمطاراً وأكثر خصوبة ، ورغم أن إسبالتا هو الذي نقل العاصمة من نبتة إلى مروي ، ورغم أن هناك عدد من الملوك حكموا مروي بعد إسبالتا إلا أن الآثاريين يعتبرون المؤسس الحقيقي لمملكة مروي هو الملك أركاماني . كهـ (270 - 260 ق.م) . وهو من الملوك النادرین الذين ذكرهم المؤرخون الأغريق بالإسم . من تقاليد الدولة الكوشية أنه كان للكهنة الحق في تعين الملوك وإقصائهم . وعندما تولى أركاماني الحكم سعي إلى إجراء بعض الإصلاحات في نظام الحكم ، وكما حدث مع إسبالتا فقد دخل أركاماني في مواجهة مع الكهنة . وكان الكهنة إذا أرادوا إقصاء أحد الملوك يبعثون إليه بر رسالة يأمرونه فيها بالانتحار . بإعتبار الرسالة صادرة عن الإله مباشرة . تسلم أركاماني إحدى تلك الوسائل ، وبدلأ من الانتحار زحف بجنته إلى معبد أمون النبكي في جبل البركل وأباد الكهنة عن آخرهم . وقد ثورة حقيقة على الدولة الدينية ، فالنبي أله أمون . وقام بتعيين الإله الأسد أبادمالك إليها رسمياً لدولة كوش ، وأصدر مرسوماً صادر به حق تعين وإقصاء الملوك من الكهنة . ويعتبر أركاماني أول العلمانيين في العالم . كان أول ملك من بين ملوك العالم القديم الذي نادى بفصل الدين عن الدولة . إذ فصل الممارستانين الكهنوتجية والسياسية ، وثبتت الآثاريون أن أركاماني كان قد نال قدرًا كبيراً من التعليم الإغريقي ، وتشير الأبحاث إلى إزدهار الصلات التجارية بين كوش والإغريق والروماني من جهة ، وبين كوش والبطالسة في مصر من جهة أخرى ، وقد تواجد العديد من التجار

والعلماء والرحالة والكتاب في مروي في ذلك الوقت . وعلى سبيل المثال فالعالم الإغريقي سيمونيد عاش خمس سنوات كاملة في مروي، ووضع كتاباً كاملاً عن كوش وثقافتها . وفي عهد أركمانى بدأ الكوشيون التحرر الكامل من آثار الغزوات المصرية . فطوروا أساليبهم الفنية والمعمارية الخاصة بهم ، وإخترعوا الكتابة المروية التي حلّت محل المصرية . كان أركمانى أول من شيد هرمه في مروي بدلاً من نبتة . مات في مروي ودفن في هرمه الرايع الذي يعكس مدى التطور الفني والتقني الذي حققه مملكة مروي في تلك المرحلة.

بعجانب ملوك كوش العظام في مروي . والذين جاؤوا بعد أركمانى ، أمثال أديكالامانى وشناكداخيني وباكرينسانا وتانيد أمانى ، كانت هناك ملكات مشهورات ، ذكر منها أمانى رينا (أمانى رينا) 40 ق.م .، ورغم أنها لم تكن أولى الملكات إلا أن شهرتها كانت أكبر . وهي زوجة الملك تريتكاس . وأعطلت العرش بعد وفاته ، لقبت بـ (كورى) . بالإضافة إلى لقب (كنداكة) الذي كان لنقياً يمنع لكل ملكات كوش . إشتهرت أمانى رينا لأنها دخلت في حروب مع الإمبراطورية الرومانية التي سيطرت على مصر بعد هزيمة البطالسة . بدأت أمانى رينا الحرب بالهجوم على أسوان . واستولى جيشها على تمثال للقيصر نفسه ونقلوه إلى نبتة . وقرر الرومان استعادة التمثال ، فغزو كوش حتى وصلوا إلى المدينة المقدسة نبتة . لم تكن الملكة في نبتة ، ولكن الرومان لم يواصلوا سيرهم إلى مروي . بل عادوا إلى مصر بعد تخريب نبتة . وتركوا حامية في برميس في الحدود . عادت الملكة إلى نبتة . وهددت بالهجوم على الرومان من جديد . ولكن توصل الجانبان إلى اتفاق ، سحب الرومان بموجبه تلك الحامية من برميس . وأعادوا الأسرى الكوشيين ، وتم إعفاء مملكة مروي من الجزية . وتم ترسيم الحدود بين كوش ومصر الرومانية.

خلفت أمانى رينا على العرش كنداكة أخرى . هي الملكة أمانى شاخيني (10 إلى 1 ق.م) . ربما كانت اخت الملكة أمانى رينا . أو ربما كانت هي الزوجة الثانية للملك تريتكاس . تشتهر عند الآثاريين بعها للقوة والثراء . إذ شيدت مجموعة قصور ومعابد ، واقتنت كمية كبيرة من العلي والمجوهرات . هرمتها في مروي (البجراوية) من أكبر الأهرام التي بنيت ، تظهر الملكة في رسوم مدفنهما متزينة بجوائزها ، حاملة أسلحتها تقتل بها الأعداء .

بعد أمانى شاخيني جاء إلى عرش مروي ملك مملكة في ثانية فريدة . حكما معاً كزوجين . وهذا الثنائي من أكثر ملوك العصر المروي شهرة . هما: تاكامانى وأمانى تارى (1 ق.م إلى 20 ميلادية) . ورغم كثرة النقوش الخاصة بهما إلا أنهما لا يظهران منفرددين على الإطلاق . شيدا مجموعة مبانٍ جميلة على إمتداد المملكة أشهرها وأكبرها هو معبد آمون بالنفعة.



## زوال مملكة مروي

عاش غالبية سكان كوش في مجموعات زراعية رعوية ، كانوا يقضون جزءاً من العام في موقع إقامتهم على ضفاف الأنهار، يزرعون الأرض ويحصدونها، وبعد الحصاد ينتقلون بقطاعتهم إلى الداخل ، إلى المناطق الرعوية ، إلا أن سكان بعض المناطق المتاخمة للنيل كانوا مقيمين بصورة دائمة ، ومنذ عصر حضارة كرمة عرفت كوش على إمتدادها حتى سنار، عرفت نظام الري الصناعي ، وقد وجد الآثاريون سلسلة من الحفائر في مناطق مختلفة ، ويبدو أن المشائخ والزعماء والملوك إمتلكوا أعداد كبيرة من القطعان ، وكان للمعباد نشاطها الزراعي والحيواني الخاص ، كما عرفت كوش زراعة القطن ، وبالإضافة إلى ما وفره النظام الزراعي والرعوي فقد كان لمناجم الذهب والحجارة الكريمة أثر كبير في ثراء كوش ، ولأنني أن كوش كانت أولى الدول جنوب الصحراء التي دخلت عصر الحديد . وقد وجدت أكواخ عالية في مروي هي آثار الحمم التي كانت تخرج من افران صهر الحديد، ولكن ، ومنذ بداية القرن الميلادي الأول بدأ الضعف يعتري مملكة مروي ، وبدأت العلاقات في الانقطاع تدريجياً مع عالم البحر الأبيض المتوسط ، ومنذ إنتقال عاصمة كوش إلى مروي، اتجهت التطلعات السياسية والإقتصادية نحو الجنوب ، وأصبحت المدن والقرى في الشمال مهجورة ، وتغير المناخ، وقلت الأمطار ، وبالتالي إنخفضت مساحات الزراعة والرعي ، وتزايدت حملات قبائل البدو الرعوية على المدن والقرى النيلية ، وأدت الأزمة المعيشية الداخلية إلى ضعف القوة العسكرية لكوش، وتحرر مشائخ القبائل من سلطة مروي ، لذلك كله ، ونتيجة للضعف الذي أصاب مملكة مروي من جانب ، والإمبراطورية الرومانية من جانب آخر ، فقد ظهرت في شمال كوش وجنوب مصر قوة كاسحة أجبرت ملوك كوش كما أجبرت مصر الرومانية على التعامل معها كقوة لا يستهان بها ، تمثلت تلك القوة في قبائل البليميون البدوية في الصحراء الشرقية والتي كانت تعيش بين تلال البحر الأحمر ووادي النيل ، وهذه القبائل تنتمي إلى اثنية البعثة ، وهم معروفون بـ (المدجاي) في النصوص المصرية القديمة ، شكل البليميون و (النوباديون) خطورة كبيرة على مصر الرومانية ، ولأن الإمبراطورية الرومانية لم تود في الدخول مع هذه القبائل في حرب ، فقد

توصلت مع المجموعتين إلى اتفاق ، وحسب هذا الاتفاق إستقر البليميون والتوباديون في مدن وقرى على النيل في أسوان وجزيرة الفنتين وجزيرة فيلة . وهكذا إستقلت النوبة السفلية عن سلطة مروي . لذلك كله فقد قُلَ الأثر العضاري في تكوين المملكة . وفقدت دورها الحضاري المركزي على المحيط الأفريقي . وفي عهد قسطنطين الأول (306-337م)، أصبحت المسيحية هي الديانة الرسمية للدولة في مصر . وبذات محاولات نشرها إلى كوش.

في نفس بداية القرن الميلادي الأول . وفي الوقت الذي ضعفت فيه مملكة مروي ، كانت مملكة أكسوم في أثيوبيا في عنفوان إزدهارها . وأكسوم إمتدت على ساحل البحر الأحمر من باب المندب إلى سواكن . ويبعد حسب الدراسات الأثارية لتلك الفترة أن العلاقة بين الملكتين كانت ودية وسلبية . حتى أن بعض العلماء يقولون أن الأكسوميين كانوا أصدقاء ملوك مروي ، وأنه كانت هناك هدايا متبادلة . وقد تم الكشف في مدينة أكسوم على مواد أثرية تتطابق تماماً مواد أخرى وجدت في فرس في شمال كوش ، وقد حملت هذه الآثار رسوم مروية أصلية ، هذا بالإضافة إلى ملاحظة التأثير العماري المروي على معمار أكسوم . ويبعد أن العلاقات بين الملكتين توترت بسبب أو آخر ، ودقت طبول الحرب ، وإنقى الجيشان على ضفاف نهر (التكاري) . نهر عطبرة حالياً . ومازال النهر يسمى تكاري في الجانب الأثيوبي . كان ذلك في عام 350م . وانتصر عيزانا ملك أكسوم بانتصاراً مبيناً . وتفككت مملكة مروي العتيقة . وتحولت إلى أقاليم متفرقة . وقد سجل عيزانا مسار المعركة وتفاصيل إنتصاره في نص طويل أورده الدكتور أسامة عبد الرحمن النور في مجلة الآثار السودانية في موقع (arkamani.org) من ترجمته عن الترجمة الروسية للنص إذ لم يترجم النص للعربية كما أوضح ، يقول النص:

((بقوة سيد السموات الذي حقق النصر في السماء وعلى الأرض ضد (كافنة) المخلوقات، عيزانا بن على أميدا، بسخاليينا، نجاشي أكسوم، وحاكم حمير وريدان وسبأ وصالعين، وحاكم سبامو والبجة وكاسو، نجاشي النجوش، ابن على أميدا غير المهزوم أمام الأعداء، بقوة سيد السموات الذي وهبني السيادة على الجميع. جاعلاً مني محبوباً لديه، الملك غير المهزوم أمام الأعداء، لا يقف في وجهي عدو، ولا يطاردني عدو من ظهري بقوة سيد الجميع. هجمت على النوبة حين أشهر أهلها الحرب وتفاخروا: لن يجتاز التكاري قاتلين لأهل النوبة. أساءوا معاملة أهالي مانجورتو والخاسا والباريا على الزرق هجموا وعلى الحمر هجموا، وخنثوا بهدهم مرتين وثلاث . . وقاموا مرة أخرى بقتل جبرائهم بلا رحمة. دع عنك سفرينا وكل من ذهب من طرقنا وكل من أرسلته لهم لإعادتهم للاتصياع، فإنهم سليوهم ونهبوا ممتلكاتهم وسرقوه منهم صولجاناتهم. وحين راسلتهم مرة أخرى فباهم لم يصغوا إلى ورفضوا العدول عن أفعالهم وتمادوا يراوغون ويمارسون الشرور. حينها هجمت عليهم. شرعت في حملة بقوة سيد الأرض، وتعاركت معهم عند نهر التكاري ومخاضة كيمالكي حتى لاذوا بالغرار وما توقفوا. تعقبت الفارين على مدى عشرين يوماً وثلاث فقتلت وأسرت واستولت على الغنائم والأسرى الذين جلبهم قواتي التي نفذت الهجوم، حينها حرقت مدنها (النوبا) تلك المشيدة بالحجر وتلك المشيدة بالتبين، ونهبت القوات حبوبهم وفضتهم وحددهم ولحمهم المقدد. ودمرت رسوم معابدهم ومخازن حبوبهم وقطنمهم. ورميتم أنفسهم في نهر سيدا ومات الكثيرون منهم غرقاً أعدادهم غير معروفة.

عندما صعدت قواتي إلى داخل مراكيم الملينة بالناس رجالاً ونساء، أخذت في الأسر زعيمين كانا قد وصلا على ظهري جملهما للتجسس وأسميهما إيساكا وبوتال. كذلك أسرت إنجا بنتها الكبير، أولئك الذين لقوا حتفهم من الزعماء دانوكفي، وداجال، وأناكفي، وحباري، وكاركارا، وجروح كامنهم بداية ونزع عنه تاجه الفضي وخاتمه الذهبي، وأولئك هم الزعماء الذين لقوا حتفهم ووصلت إلى إقليم كاسو وقتلت منهم وأسرت عند ملتقى نهرى سيدا والتказى، في اليوم الثاني بعد وصولي ((إلى هنا)) أرسلت كتابي: كتبة ماحازا، وكتيبة حارا، وداماو، وفلاح، وسيرا إلى أعلى سيدا حيث المدن المشيدة بالحجر وتلك المشيدة بالبن. وتسمى مدينه (الكامسو) المشيدة بالحجر علوه ودارو، وقتلت (القوات) وأسرت ورميت في الماء ورجعت بدون خسائر أصابتها بعد أن أدخلت الرعب في قلوب الأعداء وأخضعتهم لزراة سيد الأرض، بعد ذلك أرسلت كتبة خالين، وكتيبة لاكن، وكتيبة صابرات، وفلاح، وسيرا إلى أسفل سيدا إلى مدن التوبال المشيدة بالبن: نجفس، وإلى المدن المشيدة بالحجر والتابعة للكامسو لكن التوبال سلطتها عنهم: تايتووفيرتوق، ووصلت القوات إلى مناطق خاصة للتوبال الحمر، ورجعت قواتي بدون خسائر أخذة في الأسر بعد أن قتلت وسبت مواشيم بقوة سيد السموات، ونصببت عرضاً في موضع ملتقى نهرى سيدا والتказى ضد المدن من الحجر التي هي في هذه الجزيرة، كل ما وهبني إيه سيد السموات: 214 أسرى من الرجال، و415 أسرى من النساء، كل ذلك كان 629 الرجال الذين قتلوا 602، والنماء اللائي قتلن والأطفال 156 كل ذلك كان 700 و58 وكان الأسرى والقتلى 1378، وكانت الغنائم من الأبقار 10.500، ومن الضأن 51.500، وتنصبت عرضاً هنا في شادو بقوة سيد السموات الذي وهبني المساعدة وحياني بالملوكيه)). إنني .

وكما فعل ، وما زال يفعل ، الملوك والأباطرة والحكام في كل أنحاء العالم ، في كل العصور ، فقد إدعى عيزاناً أيضاً أنه يحكم بأمر الله ، وأن الله هو الذي يساعدته ويوفر له العناية الإلهية. وأن الغنائم التي غنمها فإنما هي هبة من سيد السموات، وكما نعلم فكلمة النجاشي لفظة حبشية، وهي لقب ملوك الحبشة، كفيصر لمن ملك الروم، وكسرى لمن ملك الفرس، وخلقان لمن ملك الترك، وفرعون لمن ملك مصر، في منتصف القرن الرابع تحول الملك عيزاناً للمسيحة وارتبط بالكنيسة المصرية القبطية.

ومدينة مروي القديمة هي البحرينية الحالية ولم يتم حفر إلا مقبرتها الملكية وبعض قصورها ومرصد اسلبتا الفلكي ويعتقد الآثاريون ان مروي كانت مدينة كبيرة وان العصر الاثاري في محورها سوف يكشف الكثير من الأسرار، وربما سيقود حتى إلى فض أسرار اللغة المروية .

#### مالك التوبال المسيحية الثالث:

نوباديا . المقرة . علوة  
بزوال مملكة مروي وقوتها المركزية تحولت المنطقة كلها إلى أنظمة حكم محلية في أقاليم ومشيخات مستقلة . ثم وصلت المسيحية إلى مصر ، ومثل كل الأنظمة والأديان التي حكمت في مصر فقد سعت مصر المسيحية إلى الانتشار جنوباً فيما تبقى من كوش ، كانت كوش في تلك الفترة ، وبعد التفرق والإنقسامات التي سادت ، كانت كوش في

حوالي عام 540 م قد انتظمت في ثلاث ممالك ناشئة . مملكة باسم نوباديا (نوباتيا) في أقصى الشمال بين مصر وکوش (تسمى بملكه المرس أيضاً) . اتخذت من كلايشه عاصمة لها في البداية ثم حولت العاصمة إلى فرس ، وهي مملكة النوباديين ، الذين اشتق العرب من إسمهم تسمية (نوبة) والنوبين فيما بعد . ولم يأت لفظ (نوبة) إلا في المصادر العربية . مما يدل على أن التسمية جديدة . ثم قامت مملكة ثانية باسم (المقرة) امتدت من فرقة جنوب وادي حلفا إلى حدود الشلال الخامس . اتخذت من دنقلا العجوز عاصمة لها (قرية القدار الحالية) . أما المملكة الثالثة في علوة ، وقد اتخذت من سوبا في جنوب الخرطوم عاصمة لها . امتدت هذه المملكة من الشلال الخامس كحدود شمالية . أما حدودها جنوباً فيه خلاف ، ولكن الغالب أنها امتدت في الجنوب الشرقي إلى الحدود الجبشية . وامتدت غرباً إلى كردفان . ومن الثابت حسب المصادر أن نوباديا والمقرة اتحدتا وكانتا مملكة نوبادية مقرة موحدة سميت (المقرة) كانت عاصمتها في دنقلا العجوز ، لأن الجزء الشمالي (نوباديا) احتفظ ببعض الاستقلالية وكان حاكم المنطقة الذي يعينه الملك يعتبر نائباً للملك في دنقلا . ومملكة المقرة الموحدة هي المملكة التي توصلت معها المسلمين إلى معاهدة البقط فيما بعد.

في القرن السادس الميلادي . وفي عصر الإمبراطور الروماني جستنيان . تحولت تلك الممالك الكوشية الثلاث إلى المسيحية . وعملت الإمبراطورية البيزنطية على دمج نوباديا في مصر تأميناً لحدودها الجنوبية . فالكوشيون غير مضمونين . فهم شكلوا على مدى التاريخ خطورة بالغة وقاموا في أحيان كثيرة بشن هجمات مbagة على حدود مصر الجنوبية ، وكما فعل الإسلام بعد ذلك . فلم تنتشر المسيحية في كوش بالسرعة التي أرادها المبشرون الغزاة ، ولكنها انتشرت بالدرج ودان سكان كوش بالمسيحية على المذهب الأرثوذوكسي القبطي . وأنشئت الكنائس والأديرة . وصيغت التقاليد المسيحية عادات السكان في الولادة والسمامة والزواج . وتغيرت طقوس الدفن المتّعة في الديانات المصرية والكوشية . وتم قفل المعابد القديمة تدريجياً . وأخذت العلاقات بين ممالك كوش والأنظمة في مصر تتراجع بين مستقرة ومتواترة . حتى بدأت الفتوحات العربية الإسلامية والتي وصلت مصر في حوالي عام 20 هجرية / 640 ميلادية . وكالعادة ، دخل المحتل الجديد في مصر في مناوشات مع الممالك الكوشية . وبدأ العرب في التسرُّب إلى الأرضي الكوشية . وبالذات إلى الصحراء الشرقية . وفي عام 641 م تم غزو ديار النوبة (المقرة) رسميًّا ، ودارت معركة حامية بين المقربين وال المسلمين انتهت بعقد معاهدة البقط المشهورة والتي سبق الحديث عنها . بدأ الإسلام في الإنتشار تدريجياً . أما اللغة العربية فقد واجهت صعوبات شديدة في الإنتشار وما زالت ، بالذات في مناطق كوش الشمالية . بين أسوان في الشمال إلى الدبة جنوباً . ما زال السكان متّمسكون باللغة النوبية كلغة مخاطبة ، وبقاء اللغة النوبية وعدم إنثارها . كما قلت من قبل . وعدم مقدرة اللغة العربية محظوظة والنوبية والحل محلها ، إنما يعود إلى التداخل المحدود الذي حدث بين السكان النوبين والعرب الغزاة . فعلى عكس ما يفهم البعض ويدعى ، وتنفيذاً لبنود اتفاقية البقط ، لم يستقر العرب في مناطق النوبة إلا فيما ندر . وعليه فلم يتم التزاوج الذي يدعى المستعربون) الذين ينكرن لأصولهم النوبية النقية . الذين يتمسحون بأعتراف الإنوية العربية دون لزوم ، وعلى

كل حال فتاك قضية أخرى . المهم أن مملكة المقرة بعد معاهدة البقط بقيت على الديانة المسيحية ، واستمر ملوكها على دينهم لعدة قرون.

في عام 1268 اعتلى عرش المقرة في دنقالا ملك مسيحي اسمه داود، بعث الملك داود إلى السلطان المملوكي في مصر، الظاهر بيبرس. طالباً منه الاعتراف به ملكاً على المقرة. فطالب بيبرس داود بالعودة الفورية إلى الالتزام ببنود (طبيعة الذكر) إتفاقية البقط . وكان الملوك المقربين قد تخلوا عنها، وبخلاف من الاستجابة لطلب السلطان. قام داود في عام 1272 م بمهاجمة ميناء عيذاب، أهم الموانئ الحيوية لمصر. في ردة فعل عنيفة قام المالك ياجتياح المنطقة الشمالية للمقرة (نوباديا) وأسرموا حاكم المنطقة. وأخذوه إلى مصر حيث أُعدم.

في عهد داود بدأت الدسائس السياسية تسسيطر على المملكة . وبدأها ابن أخت داود . الأمير النبوي (شككدة) . إذ سافر إلى مصر وطلب من المالك مساعدته لخلع حاله داود عن العرش وتنصيبه ملكاً علي أن يكون مطيناً للسلطان المملوكي . لم يفكروا فوراً علي مساعدته . ووضعوا قوة عسكرية كبيرة تحت أمره . في بداية عام 1276 م وصلت حملة شككدة شمال المقرة . فيما كان من حاكم المنطقة الشمالية إلا الانضمام إلى الحملة . في أبريل من نفس العام وصلت الحملة إلى دنقالا العجوز . فهرب الملك داود . وعادت الحملة إلى مصر بعد تنصيب شككدة ملكاً علي عرش المقرة . وأخذ المالك بعض الأمراء كرهائن . ولكن لم يدم شهر العسل طويلاً بين المالك وشككدة ، إذ سرعان ما تأمر المالك ضد شككدة وأغتالوه عن طريق (براك) الذي نصبوه ملكاً . ثم تأمروا علي براك فأرسلوا الأمير سمامون الذي كانوا قد أخذوه رهينة . جاء سمامون إلى الملك بمكر تعلمته في مصر . فأخذ في مراوغة المالك . وفشل المالك مرات كثيرة في أسره أو قتلها . فاستمر ملكاً علي مدي إثني عشر عاماً . جاء بعده الملك أمي . الذي لم يستمر كثيراً . إذ تم إغتياله . وخلفه علي العرش أخيه كودنباس (كريبس) الذي كان آخر الملوك المسيحيين في المقرة . جاء بعده علي العرش (كتز الدولة) وقد تم تنصيب كتز الدولة من قبل أهل المقرة المسيحيين رغم أنه مسلم . احتراماً للتقاليد والأعراف . فقد كان "كتز الدولة" من أم دنقالاوية مسيحية (شقيقة ملك المقرة كريبس) ومن أب نبوي مستعرب مسلم من قبيلة الكنوز ، ولكنه علي كل حال ابن أخت الملك . فحق له الملك . بعد ذلك إختلط الحابل بالنابل . وأصبح كل ابن أخت يفتاح حاله ليعتلي العرش ، ثم يقتل بدوره ، وتولى على عرش المقرة التاريخي ملوك ( العم راس) . إذ تعارك علي العرش بنو كتز وبنو جعد وبنو ربيعة وبنو عكرمة وبنو هلال وكل عارب ومستعرب من (الناهيين البدو) كما سماهم ابن خلدون . وظلت كذلك حتى زالت تماماً في عام 1323 م ، وإنقسمت المملكة بكماليها إلى إمارات ومشيخات . حكمها أفراد إنخد كل واحد لنفسه لقب (الملك) .

إلي الجنوب من مملكة المقرة . ومنذ حوالي عام 580 م . تكونت مملكة النوبة المسيحية الثالثة . وهي مملكة علوة بعاصمتها في مدينة سوبا . ويبعدوا أن علوة عاشت لفترة طويلة في عزلة عن الشمال . ولبعدها في الجنوب فلم تتعرض للحملات العدوانية المصرية أو الفارسية أو الإغريقية أو الرومانية . بعد نشوئها بقليل تحولت علوة إلى المسيحية وبدأت تستعمل اللغة الإغريقية . وواضح حسب المصادر أن علوة كانت مملكة ثرية وتمتلت بقدر كبير من

الإكتفاء الذاتي ، فقد تمددت بين النيلين الأزرق والأبيض وضمت نهر عطبرة . تملكت أراضي زراعية مزوية ومطرية بالإضافة إلى المماعي الواسعة. ولذلك لم تتدخل كثيراً مع جارتها في الشمال ولم تكن مضطورة لخلق علاقات مع مصر . تلك المماعي الواسعة كانت قد جذبت القبائل العربية البدوية التي تدفقت إليها على مر الزمن . خاصة في العهود الطولونية والفااطمية والأيوبيّة . بالإضافة إلى أعداد العرب الكثيرة الموجودة في تلك المنطقة ، فقد كانت الصحراء الشرقية وبلاط البجة محتلة تقريباً من عدد من القبائل العربية تسللوا إلى هناك عبر التاريخ . هذه الجماعات العربية البدوية المهاجرة أصبحت تشكل تهديداً حقيقياً للملكة ، وبالإضافة إلى التهديد العربي البدوي الذي تعرضت له علوة . فقد تعرضت إلى تهديد آخر من الجنوب والغرب ، من سلطنة الفونج الزنجية . وفي عام 1504 م تجمع الشتات العربي تحت قيادة الزعيم العبدالابي عبدالله جماع ، ودخلوا في حلف مع سلطان الفونج عمارة دنقس ، وإنقض الحلف العربي الزنجي الإسلامي على المملكة النوبية المسيحية . وخربوا عاصمتها سوبا (خراب سوبا) . واقاموا على أنقاضها السلطنة الزرقاء ، التي إنخدت من ستار عاصمتها لها . تمكنت السلطنة الزرقاء من توحيد جزء كبير من السودان الحالي . وحكمت حتى عام 1821 م عندما غزا محمد علي باشا السودان . قاد الحملة العثمانية ابن محمد علي باشا ، إسماعيل باشا . لم يلق إسماعيل باشا مقاومة تذكر حتى وصل ديار الشوايقة والجعلين حيث قاوموا قليلاً ولكنهم هزموا . أرسل إسماعيل باشا إلى السلطان محمد ود عدلان في سنار طالباً منه الإستسلام وإعلان الولاء للخليفة العثماني ، وببدأ من إعداد قواته للحرب أخذ ود عدلان يطلب العون من الأولياء والصالحين . ثم كتب لإسماعيل باشا رسالته المضحك المشهورة: ((لا يفرنك انتصارك على الجعلين والشايقة . فنحن هنا الملوك وهم الرعية. أما علمت بأن سنار محروسة محصنة، بصوارم قواطع هندية، وجبار جرد أدهمية، ورجال صابرين على القتال بكرة وعشية)). ثم إختلف مع مستشاريه فتم اغتياله، واضطربت الأحوال في العاصمة سنار، وكفي الله اسماعيل باشا وجيشه شر القتال، فدخلوا سنار أمنين. وبدأت مرحلة أخرى من تاريخ السودان .

ويبدو أن خراب سوبا الأول لم يكن كافياً. فجاء خراب سوبا الثاني في عهتنا الحالي . وبعد بقاء المنطقة الأثرية بالمدينة بعيدة عن الأيدي العابثة. تعرضت المنطقة لاعتداء همجي وشرس من تجار الأرضي وأصحاب الجشع من المسؤولين، وقد تم تقديم بلاغات من خراء، ومقتشين، وباحثين، ومهتمين في مجال الآثار. حتى وزارة البيئة والإدار قامت بمخاطبة المسؤولين في وزارة الزراعة الولائية والجهات المختصة، ولكنها صمتت أذنها بطين الأرض المنهوبة . واكتشف بعض المحققين الصحفيين أن المواطنين الذين أقاموا المزارع والحظائر والمجمعات السكنية لديهم تصاريق رسمية يمتلكون تلك الأراضي . وليس للجشع حد . فمن الواضح أن المسؤولين وراء تلك الحملة . وليس الدافع إلا مادياً.

الآثار يا سادة كنوز لا تقدر بثمن. فهي تاريخ البلد ومراة حضارتها ، ليس من حق كانن العبث بها أو إزالتها . وتبا لدولة تتبع تاريخها وتحوله إلى حظائر. راجع [arkamani.org](http://arkamani.org).



حفریات فی سوبا شرق

قبل أن ترتبط أسباب السماء بأسباب الأرض . وقبل أن يهدي الله الإنسان من ضلاله بالدينات السماوية ، ناه الإنسان في بحث فكري بدائي عن قوة طاغية متعلقة ، وقد نشأ هذا البحث نتيجة إحساس الإنسان بضعفه الكبير أمام قوى الطبيعة الخارقة وظواهرها المعايرة . فالرياح والأمطار والزلزال والفيضانات . ثم الوحش البرية الكاسرة والمفترسة . بالإضافة إلى الأمراض الفتاك . وما مثله الموت من خوف حقيقي من المجهول ، وتعاقب الليل والنهار . وإنفتاح الفضاء أمامه وما فيه من أجرام بعيدة ، وإحساسه الطاغي بحوجته إلى قوة تحميه من شرور الحياة . كل ذلك أدى إلى توهان فكري بدائي للإنسان . وكان من الطبيعي أن يتعلق هذا التوهان الفكري بالأعلى ، بالسماء . فأخذ يتخيل أن في السماء قوي جبار هو الذي تسيطر على الحياة . ولا بد له من إرضاء تلك القوى ليتنقى شرها ولبيان رضاها ، هكذا إخترع الإنسان مفهوم الإله ، ولأنه يرى ظواهر طبيعية متعددة ، لأنه يرى الخير والشر ، لأنه يرى ثنائية في كل شيء ، فقد تملكه إحساس بأن في الكون أكثر من الله ، لذلك إخترع مفهوم الآلهة ، ولم تكن غير الأجرام السماوية البعيدة هي التي تستحق تلك الألوهية . فنسب إليها العناصر الرئيسية في حياته ، فجعل لكل من الحياة والموت والمرض والخير والشر والحب والكرامة . ثم المطر والفيضان والزرع والحساب والبرد والدف . ثم الخلفة والعقم والجمال والفتح ، ثم النصر والهزيمة في الغرب . جعل لكل شيء مختلف ، وأخذ في نسج الأساطير والملامح حول هذه الآلهة . وتحول إلى عبادتها والتقرب منها بتقديم القرابين . ووُجد في التوصل إلى هذه الآلهة بشقي الطرق بعض الراحة والإحساس بالأمن . لأنه أوكل أمره إلى قوة غبية خارقة . ولأنه كان يرى أقرباءه الذين ماتوا في أحلامه وهم يتحركون ويمارسون حياتهم العادية فقد أوصله تفكيره إلى أن هناك عالم آخر ينتقل إليه الناس . وهكذا نشأت فكرة الحياة الأخرى . ثم مع مر العصور أحق بها كل التصورات المصاحبة من حساب وعقاب وجنة ونار ، وقد تحولت الآلهة عند الإنسان في فترات متفرقة إلى آلهة أرضية . فعبد الإنسان عدد من الحيوانات مثل البقرة والأسد والثعبان . وما زال يبعدها حتى يومنا هذا . وبالذات الشعوب الأسيوية في الهند . ومن المرجع أن الهنود والفرس وسكان وادي النيل هم أولى الشعوب التي إخترعت فكرة الآلهة . بل هناك الكثير من الآراء التي تؤكد أن فكرة الدينات بل الحضارة الإنسانية كلها بدأت في وادي النيل . وفي وادي النيل جاءت فكرة التوحيد لأول مرة ، وكان أخناتون هو أول من أعلن عنها . وأخناتون هو الفرعون من منتخب الرابع . وقد غير اسمه بعد تائله ، فقد اعتبر أن أمون إله واحد متعال بذاته وبجانبه عدد من الآلهة تقوم بتحقيق رغبة الذات الإلهية . ثم جعل أمون الإله المطلق في السماء ، وجعل من نفسه إله علي الأرض . وأعلن أن من يعبده فقد ضمن رضي إله السماء ، وهي نفس السياسة الدينية الاجتماعية الإقطاعية التي مارسها من يُسمون ب رجال الدين من كهنة وفاسوسة وفقهاء في كل الدينات . لا يستثنى إلا من رحم ربِّي .

ينسب العلماء والباحثون نشأة الفكر الميتافيزيقي إلى مدينة (أون) وهي هليوبوليس كما سماها اليونانيون ، وهي ضاحية تقع شمال شرق القاهرة ، هناك نشأ أقدم مذهب فلسفى ديني لتفسير الوجود ونشاته . وكانت نظريتهم تقول أنه في البدء كان (نون) موجوداً وحيداً في الوجود ، وكان محياً ملائماً ، ومن ذلك الخalam خرج إله الشمس آمون رع، وإسمه يعني الخفي، الذي لا يمكن إدراكه، خرج بقدرتة الذاتية دون معين ، لأنَّه كان هو كل شيء في الوجود ، ثم اختار هذا الكامل مدينة أون ليجعل منها مركزاً للخلية كلها ، ويوماً ما عطس آمون رع أتون فنطق بأسماء أعضاء جسمه ، التي شكلت الآلة ، فخرج إلهه (شو) إله الهوا ، والإلهة (فتونت) إلهة الندى والرطوبة ، ثم إنْتَقى شو وفتونت بمشيئة آمون، وأثمر اللقاء عن إنجاب إله الرابع (جب) إله الأرض ، ثم قام الإله شو بفتق الأرض إلى قسمين ، وخلق في السماء الإلهة (نوت) ، ثم تزوج نوت وجب وأنجبا أربعة أبناء (آلهة)، ولدان هما أوزيريس وسيت، وبينان هن (إيزيس) وبنت حت أو(فتنيس) ، ثم قدر لهم أبوهم رع أتون تعمير الأرض بالبشرية .



فتزوج أوزيريس أخته إيزيس ، وتزوج سيت أخته بنت حت وأنجبوا كل الخلق الذين هم أشباه للإله ، إذ نشروا من بدنـه ، ان الإله أوزيريس الذي هو إله الخصب وإله مملكة الممات أيضاً أعيد إلى الحياة بواسطة زوجته إيزيس التي كانت مسؤولة عن إحياء الموتى ، فقد قام سيت (إله الربكة والفووضي) بقتل أخيه أوزيريس وتمزق جسده وتوزيع أشلاءه في كل أنحاء البلاد، ولكن إيزيس زوجة أوزيريس تمكنت من جمع هذه الأشلاء وإعادة إيزيريس إلى الحياة مرة أخرى، ثم حملت منه دون مضاجعة وأنجبت إبناً حورس (إله الصقر) الذي أصبح وريثاً لعرش والده، وانتقم لأبيه أوزيريس الذي أصبح ملكاً على أرباب العالم الآخر، ثم أصبحت إيزيس رمزاً للزوجة المخلصة والأم الحنون، وكثيراً ما صورت إيزيس في التماثيل وهي ترضع الطفل حورس، وهناك تشابه بين تمثيل إيزيس التي ترضع ولديها حورس، وما ظهر فيما بعد من الصور المسيحية للسيدة العذراء والطفل يسوع، وفي التمثال يظهر على رأس الإلهة قرنا البقرة حتحور وبينهما قرص الشمس.

في وادي النيل أيضاً ، وقبل المسيحية بمراحل نشأت فكرة (الثلث)، وقد تمثلت زواياه في (إيزيس وإبناها حورس وزوجها أوزيريس الذي أنجبت منه دون مجاضعة) ، كما عرّفوا فكرة الإنسان الكامل ، التي تجسدت عند المتصوفة فيما بعد، ومن نافلة القول أنهم عرفوا الآخرة والخلود، ان التأكيد على وجود الحياة الأخرى هي من معالم حضارة وادي النيل القديمة، حيث تم محاكمة الإنسان في العالم الآخر، يكون أوزيريس قاضياً، ويقوم أنوبيس إله الموت بوزن قلب الإنسان ، وفي الكفة الأخرى للعدالة توجد الإلهة معت ، ويقوم الإله توت (إله القمر والحكمة) بتسجيل النتيجة، وفي نهاية المحكمة على الميت أن يقدم اعترافاً ويقدم تبريراً لما قام به من أفعال في العالم الأرضي، ومن المعلوم أن سكان وادي النيل كانوا من أكثر الشعوب تعبداً ، أذ أخلصوا لآلهتهم ، حتى أن إنسان وادي النيل كان لا يتذوق ثمار محاصيله ولا ينتفع بحيوانه قبل أن يقدم لآلهته أولاً، بل بالغ هذا الإنسان لدرجة أنه كان يضحي

بفلذات أكباده علي مذابح الآلهة ، وكان لا يتواني في إلقاء أجمل الفتيات في جوف النيل ، هكذا عاش الإنسان النبوي في ممارسات وطقوس دينية متعلقة بكل شيء في حياته اليومية . ورغم أن الإله آمون/أمان كان معروفاً وعبد بصورة أساسية في كوش . ورغم أنه كان هو الإله المعبد في مملكة كرمة . إلا أن مركز عبادته ومقره الرئيسي المقدس أصبح في نبتة . وكان يعرف بـ(آمون النبقي) مقابل (آمون الطبي) في مصر . وطبيبي منسوب إلى مدينة طيبة في جنوب مصر والتي كانت العاصمة الدينية المصرية لفترة طويلة . وكانت نبتة هي العاصمة الدينية لكرش ، حتى بعد انتقال المملكة إلى مروي ، وكان جبل البركل هو الجبل المقدس . إذ شيد هناك معبد آمون الكبير ، وعند دفن الكثير من ملوك مروي ، وعادة ما يستخرج المؤرخون القيم الثقافية للشعوب القديمة من ديانات تلك الشعوب، ولكن في حالة مروي، فاللغة الأساسية التي كتبت بها تفاصيل الثقافة الدينية التي سادت في تلك المرحلة لم يتم فرائتها بصورة كاملة بعد . ولذلك يجد المؤرخون صعوبة بالغة في تحديد المعتقدات الدينية لملكة مروي بوضوح مؤكداً . ولكن النصوص المروية التي تمكن العلماء من فهمها تشير إلى أن المرويين تميزوا بالورع الشديد تجاه الآلهة . والنقوش التي تركها المرويون على المسالات ومواند القرابين والأغراض التي وجدت في قبورهم بالإضافة إلى النقوش الموجودة على جدران المعابد . كلها تشير إلى أن المرويين كانوا شديدي الاهتمام بما بعد الموت، وأنهم أرادوا أن يضمنوا حياة أبدية ومباركة في العالم الآخر . وبجانب آمون عبد الكوشيون الإلهين إيزيس وأوزيريس ، كان أوزيريس هو صانع الحسنات والمرشد العام إلى العالم الآخر . كما أنه كان يعتبر (المسيح المنتظر) أو (المهدي المنتظر) . بينما كانت إيزيس مسؤولة عن إصدار التصاريح بإحياء الموتى ، كما أنها كانت تعتبر (مخترعة) الزراعة ومباركة المحصول . وفي الواح القرابين نجد أيضاً الإلهة نفتيس والإله أنيبيس ، كما أن الكوشيين عرّفوا الإله أبادماك الذي كان الإله الرسمي للدولة في عهد الملك أركماني . والحقيقة أن فكرة الموت والخلود والعبادة الأخرى . وفكرة التنا藓 . وفكرة الثنائية في الكون . وجود آلهة خير وألهة شر . كل تلك الأفكار كانت موجودة عند كل شعوب العالم القديم . في حضارة وادي النيل التي تحدثنا عنها . وفي حضارة وادي الرافدين والفارسية واليونانية والرومانية والهندية . حسب دياناتهم وثقافتهم وبينهم . وقد نجلت تلك الأفكار فيما تركته تلك الشعوب من آثار تتعرض للثقافات الدينية والاجتماعية والفلسفية والطبيعية التي عاشت عليها وما زالت . فهي الديانة الهنديوسية مثلاً . هناك عقيدة الكارما والتنا藓 وفكرة التوحد بين اتمان وبراهما . يشكل براهما ماهية العالم وأصل الموجودات . بينما اتمان هي الذات الفردية (النفس) الموجودة في الطبيعة . والتي تتحدد بما هو خارج عنها (الروح) في تكون الإنسان . ثم يرتقي اتمان في طريق الكارما بالزهد والمعرفة والسيطرة على الذات حتى يذوب في براهما فيقول أنا هو براهما . وهذه الفكرة ليست بعيدة عن أفكار المتصوفة لدينا . أما في الديانة البوذية فلا يوجد مفهوم الحياة الأخرى وحساب ما بعد الممات . ولكن يوجد مبدأ الترقانى . وهي الحالة الطوباوية في تلك الديانة . وللوصول إلى تلك المرحلة يمر الإنسان بسلسلة طويلة من عمليات الموت والولادة المتعددة . والتي يمارس فيها الزهد والتنسك . حتى يصل مرحلة الكمال التي يعي فيها ذاته . وعندها تتوقف رغبات وغرائز الإنسان تماماً . فيتحول إلى خير مطلق . أما في الديانة الزرادشتية فالفكرة

الأسماسية فيها هي ثنائية الخير والشر، يتمثل الخير في الإله (اخورا مازدا) ويتمثل الشر في الإله (اهريمان). والزرادشتية من الديانات التي تتطور عبر التاريخ، وفيها أن الإنسان يحاسب في الآخرة على أعماله وأفكاره، ويفوز الخيرون بالخلاص والخلود، وفي مجموعة الديانات التي اعتنقت بها سكان وادي الراوفدين تظهر فكرة الخلود بصورة واضحة، كما في أسطوري كلكامش وعشتر، أما في الفكر الإغريقي الذي كان أهم فكر فلوفي عقلي في التاريخ فالمدارس الفكرية كثيرة، ولكن أهمها هي فلسفة أفلاطون، وأهم ما عند أفلاطون هو نظريته الشهيرة (المثل)، والتي نجد فيها تشخيص واضح لفكرة وجود النفس (الروح) التي هي أبدية، والجسد الذي هو زائل، فهناك عالمان، عالم المثل المستقر الثابت الذي لا يتغير، عالم الواقع المادي المعرض للتغير والزوال، إن الروح من عالم المثل، لذلك هي أبدية، أما الجسد فمن عالم الواقع لذلك فهو زائل، والروح في هذا العالم تتصارع مع الجسد لتتحرر منه وتندو إلى أبديتها في عالم الخلود، وليس من المستبعد أن تكون هذه العضارات قد تأثرت ببعضها البعض، وإن يكون وادي النيل من المناطق التي وصلت إليها مفاهيم دينية من مناطق أخرى.

كان الزواج والطلاق من الأمور المدنية التي كان يحكمها العرف والتقاليد في وادي النيل، ولم تتعتمد الديانة أو القانون في الزواج أو الطلاق سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، وفي العصور المبكرة كان الزواج يتم بدون عقد، ولكن بشهود، ومنذ القرن التاسع قبل الميلاد كانت عقود الزواج تكتب، إلا أنه لم يكن لها صيغة محددة، وكان هناك قواعد وشروط وشهود لا بد أن يكونوا حاضرين، وكان على الرجال أن يقدموا لزوجاتهم الهدايا والأئاث والملزول، وبعد الزواج كان الزوج يعطي زوجته ثلثي ممتلكاته، وكان هي من حقها الإحتفاظ بنصيتها التي جلبته معها من بيت أسرتها، وكان الطلاق مسموح لعدة أسباب مثل الكراهية أو إذا وقع أحد الزوجين في الزنا أو لم يكن قادرًا على الإنجاب، وفي هذه الظروف كان من حق الزوجة الحصول على تعويض.

مهما كان الأمر، فقد كان الإنسان النبوى متحضرًا وواعيًّا من الناحية الدينية ، كان مؤمناً وخاضعاً إلى الله في السماء ، ولذلك فعندما جاءت المسيحية . وتم التبشير بها ، لم تجد صعوبة ، إذ صادفت عقلاً واعياً وروحاً مؤمنة . فلم يحدث تغيير كثير لا في فكر ولا في أعماق هذا الإنسان . تحول المعبد القديم إلى كنيسة ، وأصبح الكاهن قسيساً . وتحول الثالوث النبوى ((إيزيس . حورس . أوزيريس)) إلى (الآب . الإبن . الروح القدس) . وأصبحت الرسومات ترمز إلى المسيح وأمه بدلاً من إيزيس وحورس . ولم يتغير جوهر الإعتقداد في الإلوهية . وهكذا أيضاً عندما جاء الإسلام . تحولت الكنائس إلى مساجد ، وذابت الممارسات والطقوس القديمة بيسير وسهولة ، وتحولت إلى تقاليد إسلامية رغم أنها تحمل أصول عبادة آمون أو الشمس أو تقديس النيل . تغير الأسماء والتفسيرات لفكرة واحدة ، وكان الإسلام من السماحة بحيث إمتنع كل ذلك ، فهو دين الفطرة ، وظل الإنسان النبوى كما هو ، مسالماً طيباً . مزارعاً مرتبطاً بنبيله وأرضه . ينتظر الفيضان كل عام ، رغم خوفه منه، كانت المناطق التوبية من أسلم وأمن المناطق على الكره الأرضية على الإطلاق، كانت أبواب البيوت مفتوحة علي مصراعيها طوال النهار، كانت ربة البيت عندما تقوم من نومها في الصباح الباكر أول ما تفعله هو فتح الباب، كان من العيب قفل الباب بالنهار، كان الجيران

يدخلون البيوت ويستلفون منها الأشياء حتى في عدم وجود أصحاب البيت، ولم يكن التواصي بحق الجار من منطلق ديني، إنما كان من منطلق أخلاقي فطري، والبيوت كانت متداخلة ببعض، بيت واحد يسع عدة أسر، لكل أسرة صغيرة غرفة أو اثنان، كانت النفوس طيبة، والقلوب نقية، والعيشة هنية، ومصدر الرزق واحد، هو الساقية التي تدور بالخير العميم على الجميع.



من الآثار التي ذكرها هنا، أثر منقوش على لوحة المجاعة ببحيرة سهيل بأسوان، يتحدث النص عن المجاعة التي حدثت عندما توقف الفيضان لمدة سبع سنوات في زمن الملك سنفرو من عصر الأسرة الرابعة حوالي 2650 ق.م ، وكيف أن الملك جمع الكهنة واستشارهم في الأمر، فأشاروا إليه بأن يقدم القرابين لخنوم الإله الماء في أسوان، وأن يزود معبده بالعطايا، ونفذ الملك الوصية، فرحمهم الإله وأمر النيل بالفيضان، والإله خنوم المذكور هنا من كبار الآلهة ، بل كان

القدماء يعتقدون أنه هو الذي يصنع البشر من طين الصالصال ثم ينفع بهم الإله آمون من روحه فيهم الحياة . وما يجدر ذكره أن نهر النيل كان طريق النقل الرئيسي، ولكن الملاحة فيه كان ينطوي على خطورة كبيرة بسبب التمايسير، وللبعد خطر التمايسير شيدوا معابد للإله (سوبيك) الإله التمساح في مناطق متفرقة على نهر النيل، وكانت توجد في كل معبد غرف جوفية (بحيرة صناعية) كانوا يحتفظون فيها بتمساح حي يتلقى القرابين والصلوات . وربما كان من الأنسب أن نختتم هذا الجزء بفقرة مختصرة عن الإله آمون ، وهناك كتابات ودراسات كثيرة

عنه ، ولكن أكتفي بكتابين قيمين موثوقين ، ثم بعض المقطففات من مصادر مختلفة .  
للراحل البروفيسير أسامة عبد الرحمن النور كتاب قيم جداً إسمه دراسات في تاريخ السودان القديم : نحو تأسيس علم الدراسات السودانية، صدر عن مركز عبد الكريم ميرغني، 2006 ، والكتاب مذكور في موقع أركمانى ، ولكن لا يوجد من محتوى الكتاب إلا مقدمة ، وقد بذلت كل ما أستطيع من جهد للحصول على الكتاب وباءت محاولاتي بالفشل ، ولكن أسعدني جداً أن وجدت بعض المقطففات من هذا الكتاب في الواقع الأسفيري المختلفة ، وإشارتي لبعض الفقرات من هذا الكتاب مقتبس من هذه المواقع ، (( ورد في ص 347 قال الملك بيا ( بعاني ) في وصيته للجند الذاهبون للقتال في طيبة (الأقصر) في حوالي منتصف القرن الثامن قبل الميلاد قال الملك " لا تنقضوا علي العدو ليلاً و كأنكم تلعبون و تلهون، لا تحاربوا إلا و أنتم مبصرون، خوضوا ضده المعركة دون الاقتراب منه و إذا قال لكم انتظروا المشاة و سلاح المركبات القادمة من مناطق أخرى،

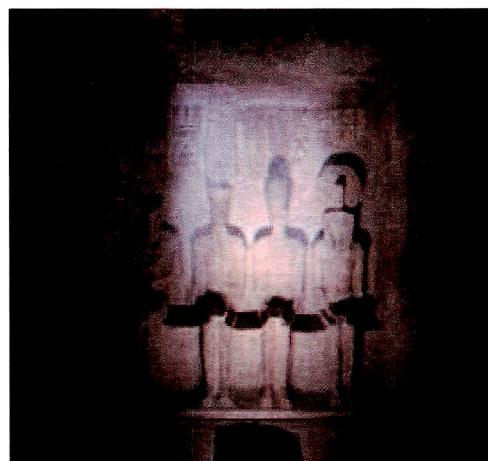


فترثوا لحين وصول جيشه و لا تبدأ المعركة الا عندما يطلب ذلك ، و إذا كان حلفاؤه في مدينة أخرى فأصدروا الأوامر بالانتظار حتى يصلوا، حاربوا في المقام الأول القادة العسكريين المرافقين له كحلفاء و حرسه الخاص من الليبيين. و عند استعراض الجيش لا ندري ملن نوجه الحديث فنقول "أيا أنت أسرج أفضل ما في اسطلك من جياد وهى نفسك للمعركة عندئذ سيعرف أنتا رسول آمون.)

وأيضاً للبروفيسور عمر حاج الزاكي كتاب قيم جداً في تاريخ السودان القديم (بالذات العهد المروي) من اصدارات دار النشر جامعة الخرطوم مطبوعات كلية الدراسات العليا ، وهو أيضاً كتاب لم أتمكن من الحصول عليه ، والفقرات المقتبسة من الكتاب في هذه الصفحات مأخوذة من الواقع الأسفيري . جاء في الصفحة 16 من كتاب د. عمر في نفس المنحي (يعانخي يخاطب الجيش فيقول ما يلي ((انغمروا في الماء و تطهروا في النهر و ارتدوا الكتان النقي و حطوا الأقواس و القوا السهام جانباً و لا تباهاوا بأنكم أصحاب سلطة في حضرة الذي بدون رضاه ليس للشجاع قدرة (المقصود الإله آمون طيبة) فيجعل الضعيف قوياً و الجموع تتراجع أمام القلة و تعود أدراجها و يتغلب الفرد على ألف و تبلوا بما هياكله و قبلوا الأرض بين يديه و قولوا له: أرشدنا إلى الطريق فلنحارب في ظل قوتكم و لتكن

معارك المجندين الذين بعثت بهم مظفرة ، وليسولي الرعب علي الجموع عندما تواجههم.))

هو الإله آمون ، الذي عبده سكان وادي النيل لمدة ستة قرون أو أكثر ، الإله الذي يasmine حارب الملوك ، مستنصرين به ، هو الإله الذي كانت الصنوات تؤدي في معابده ، وحسب الكتاين المذكورين آنفاً بالإضافة إلى مصادر أخرى فإن الإله آمون هو في الأساس معبود سوداني تعود فترة معرفته إلى ما قبل مملكة كرمة ، ثم إنطلقت عبادته إلى الأسر المصرية مع إنتقال الحضارة شمالاً من الجنوب ، ثم عاد الكوشيون إلى عبادته مرة أخرى. وله معبد كبير في منطقة الصانقيل الأثرية شمال مدينة ببر.



الصورة هنا تمثل تعامد الشمس السنوي على تمثال أمون رع في معبد الكرنك في الأقصر والذي يحدث في ديسمبر من كل عام.

من الملاحظات المهمة أنك حينما تقرأ ترجمات النصوص الأثرية القديمة فإنك تجد أن مفهوم (الإله) وعلاقة (الإنسان) به في الحضارات القديمة لا تختلف كثيراً عن مفهوم الإله في البيانات الرئيسية المعروفة . بل أن بعض التفاصيل تتطابق ، وأن دور العبادة في البيانات الحديثة ما هي إلا صورة مختلفة قليلاً عن تلك الأثرية . فالمعباد الحالية وملحقاتها تشبه إلى حد كبير معابد الآلهة القديمة ، وبعض الطقوس والمارسات التي تتم داخل المعباد الحديثة كانت تتم بطريقة مشابهة في المعابد الأثرية .

## . ١١.

تقع الجزيرة تقريباً في العد الفاصل ما بين مناطق الدنائلة والمحس، وسكان الجزيرة كلهم نوبة. ينتمون من ناحية أصول عائلية إلى أسر كبيرة في المحس أو عند الدنائلة. ويتحدث السكان اللغتين النوبين، المحسية والدنقاوية(الأشكر). ومع وجود خلاف كبير بين اللغتين إلا أن هناك كلمات كثيرة مشتركة. وأصل اللغتين واحد. أغلبية السكان محس يتحدثون المحسية، وهي نفس اللغة التي يتحدث بها سكان المنطقة المتدة من حلها إلى بدین، بالإضافة إلى منطقة النوبة المصرية، مع بعض الاختلافات في اللهجات وطريقة النطق. واختلاف في معانٍ بعض الكلمات من منطقة إلى أخرى. والنوبة عموماً وبخاصة الحلفاويين قوم إشتهروا بصفات خاصة. كاللظرف والسخرية كما يشاع لهم يتعللون بـ"هشاشة العقيدة". ويقول عنهم أهل السودان المستعربين أنهم "ئص ديانة". ويقال إنه عندما جاء رمضان اعتذر الحلفاوي عن صيام أول يوم قائلاً إن أول يوم صعب، ولذلك فقد نوي الصيام اعتباراً من اليوم التالي . . . . . وهم أصحاب نكتة. يطبعونها في اللحظة. وكثيراً ما يختلط على الناس الفرق بين المحسي والسكنداوي والحلواوي، والحقيقة أن كلهم نوبة. قومية واحدة تنقسم من الشمال إلى الجنوب، إلى، حلها ثم السكوت تم المحس، ولكن غالب تسمية المحس على الجميع. أما الدنائلة في بدین فاقلية، وهم يتحدثون الأشكر، وهي لغة سكان المنطقة المتدة من بدین شمالاً إلى القولد وما جاورها جنوباً، قوم يقولون الله أرتي، وللجدول مأني، وللفنمية برتي، وللخروف كتي، وللبلح بنقي، وللسيد ترتى، وللثدي ارتى، وهم قوم ناجحون على الصعيد الفردي، يعرفون المال ويعجّبونه حباً جماً . . . ولا ادرى من أين جاء (حديث التيس: دنقلاوي حلاق التيس.....)، فهم لا يحلّبون التيس ولا أي من ذوات الثدي غير القابل للحلب. بل إن النوبين عموماً لا يستخدمون لبن النعاج، أما ما يحلب فيحلّبونه جيلا، اوووب سُورِي، اقصد حلباً، معليش. دنقلاوي يا جماعة . وهناك من سكان الجزيرة من يجيد الفروع والفنون والأغراض، ونبذ الحديث بالتعليق على الجدل الذي يدور بين اعتبار اللغة النوبية (لغة) أو (وطامة) . . . . . والحقيقة أن اللغة النوبية التي يتحدث بها الإنما هي (لهجة) . . . واللهجة هي (المواضعة) اللغوية التي يتحدث بها الناس في المجتمعات المختلفة ، واللهجة تنشأ في الأصل من لغة فصحي . . كما نرى في اللغة العربية . فهناك اللهجات (العاميات العربية) المختلفة ، لهجة سعودية ، لهجة عراقية ، لهجة يمنية ، لهجة مصرية ، لهجة مغربية ... إلى الآخر ، ولكن الأصل هي اللغة العربية الفصحي والتي يلتجأ إليها الجميع عندما يكتبون ، ونفس الشيء يقال عن كل لغات العالم ، بما فيها اللغة الإنجليزية ، التي ربما أعتبرها البعض لغة ذات لهجة واحدة ، مع أنها متعددة اللهجات ، حتى

تسوقنا هذه المداخلة القصيرة إلى الحديث عن اللغة النوبية، والحديث عن اللغة النوبية ذو شجون، وشجون هنا تعني شجون وشجون، ذو شجون بمعنى أشجان، ما يشجيك وبصيبك بالشجن، وذوشجون بمعنى المتشعب كثير الفروع والفنون والأغراض، ونبذ الحديث بالتعليق على الجدل الذي يدور بين اعتبار اللغة النوبية (لغة) أو (وطامة) . . . . . والحقيقة أن اللغة النوبية التي يتحدث بها الإنما هي (لهجة) . . . واللهجة هي (المواضعة) اللغوية التي يتحدث بها الناس في المجتمعات المختلفة ، واللهجة تنشأ في الأصل من لغة فصحي . . كما نرى في اللغة العربية . فهناك اللهجات (العاميات العربية) المختلفة ، لهجة سعودية ، لهجة عراقية ، لهجة يمنية ، لهجة مصرية ، لهجة مغربية ... إلى الآخر ، ولكن الأصل هي اللغة العربية الفصحي والتي يلتجأ إليها الجميع عندما يكتبون ، ونفس الشيء يقال عن كل لغات العالم ، بما فيها اللغة الإنجليزية ، التي ربما أعتبرها البعض لغة ذات لهجة واحدة ، مع أنها متعددة اللهجات ، حتى

داخل الدولة الواحدة . واللغة النوبية كانت يوماً من الأيام لغة مكتوبة بعروفها ، ثم كُتبت نفس اللغة بعروف لغات أخرى كاللاتينية والقبطية . ثم بالمرورية التي كانت آخرها . ثم . ولعوامل كثيرة . أهمل كتابة اللغة النوبية ، وما جاءت اللغة العربية وبدلاً من كتابة اللغة النوبية بالعروف العربية . كما فعلت بعض الشعوب بلغاتها (السوائلية والصومالية والهوسا والأردو والفارسية والكردية والبشتو كمثال) . بدلاً من ذلك ، إستعرب النوبيون وتركوا لغتهم وإنحدروا اللغة العربية لغة رسمية تحدثاً وكتاباً . حدث ذلك لعدة أسباب، الأول هو إضفاء قدسيّة للغة العربية باعتبارها لغة القرآن من جانب . واعتبار اللغة النوبية لغة وثنية ثم مسيحية من جانب آخر، ثم تقليل العرب من قدر اللغة النوبية وبالذات لأنها لم تكن مكتوبة . وإنشار تعليم القرآن بتعليم الكتابة باللغة العربية . ثم بعث السودانيين عن لغة مكتوبة تجمعهم، وما تبع ذلك من فرض اللغة العربية بالقوة من قبل أفنديّة السودان في مواحل التعليم، كل ذلك أدى إلى إفتراب اللغة النوبية من الإنحراف، وإضفاء قداسة على اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن خلط لا يستقيم، فالقرآن هو كلام الله المترى، ولا تنحصر معانٍ كلام الله على اللغة العربية، والقرآن كتاب أنزله الله لكل شعوب وقبائل الأرض، ولا تتحدث كل تلك الشعوب والقبائل باللغة العربية، وليس في القرآن ولا السنة ما يوجب نشر اللغة العربية على شعوب العالم، ليس هناك أمر بذلك . . واللغة العربية كانت موجودة ومتدولة من قبل القرآن بكثير، فإذا ذكر فالقداسة للقرآن ومن خلاله للدين، أما اللغة فلا قداسة لها، فترك اللغة الأصلية ومحاربتها بذلك الفهم الخاطئ كان خطأً فادحاً . لم ترتكب الشعوب الأخرى . وبذلك حافظت علي لغتها الأصلية . وأدخلت العروض العربية في كتابة لغتها بجانب حروف أخرى . وترجمت معانٍ القرآن إلى لغتها . ولم يفقد القرآن قدسيته نتيجة تلك الترجمات . ولا يكتسب تلك اللغات أية قدسيّة ، ولذلك لم تحدث أزمة البوية التي حدثت عندنا في السودان . أما لفظة (رطانة) فهي لفظة عربية بحتة ، وقد أطلق العرب تعريف رطانة علي لغات أخرى قبل أن يطلقوها علي اللغة النوبية . إذ أطلقوها علي اللغات الفارسية والرومانيّة والإغريقية، وقد جاء تعريف (رطان) في لسان العرب، وفي الصحاح، وفي القاموس المحيط ، بنفس المعنى، وهو التكلم بالعامية، أي بلغة لا تفهمها العرب، رطان أو تراطن رطاناً : تحدث بلغته، وتراطناً يعني تكلموا بلغتهم.

قال علامة بن عبيدة بن النعمان بن قيس:

يوجي إليها بانتقادٍ ونقنةٍ

كما تراطن في أفعالها الروم

وقال طرفة بن العبد:

أصواته كَتَرَاطِنَ الْفَرَس

فَأَتَازَ فَارَطُهُمْ غَطَاطِنَ جُنَاحًا

والكلمة في الأصل تعني أصوات الأبل . (إذا كُتبت الإبل، وكانت رفافاً، و Merchant أهلها . في الرطانة والرطون) كما جاء في القاموس المحيط . وبمنطق العرب فاللغة العربية نفسها رطانة لن لا يفهمونها . وعلى كل حال، ورغم أنها لا تلغي حقيقة أن النوبية لغة فقد أخذت كلمة رطانة معنى معايراً . وأصبحت مرتبطة في أذهان الناس بوصف دوني وتقليل وإزدراء للغة، والحقيقة أن معناها كما نقول في النوبية (ترنزي) أو كما يقول المصريون (إنت بتبرطم بتقول أيه).

ووصف أية لغة بروطانة هو وصف سخيف، ولذلك ففي رأي الشخصي من الأنساب اعتبار اللغة النوبية لهجة، والهجة هي اللغة غير المكتوبة، يقابلها بالإنجليزية كلمة (dialect)، ولا توجد مرادفة لها في اللغة النوبية. فماذا نطلق على اللغة النوبية لو أردنا تعريفها بغير التعريف العربي (لغة نوبية)؟، ورغم أن كلمة لهجة كلمة عربية هي الأخرى، إلا أنها يمكن أن تكون أقرب إلى حال اللغة النوبية، فإذا بدلنا كلمة رطانة بكلمة لهجة تبقى أقل وقعاً وأكثر دلالة، غير أن هناك من لا يتفق مع هذا الطرح من منطلق أن الهجة تتفرع عن لغة أم وبما أن النوبية لغة أم ولغة أولى للناطقين بها فلا يجوز اعتبارها لهجة لأنها لا تتفرع عن أصل آخر.

يرجع الباحثون أن اللغة النوبية الحالية ظهرت في هذه المنطقة في القرن الثالث قبل الميلاد ، ثم اكتملت في صورتها الحالية ما بين القرنين الثالث قبل الميلاد والثاني بعد الميلاد ، أما قبل ذلك فكانت اللغة الفرعونية المصرية هي المستخدمة، وفي عهد مروي كانت المروية هي اللغة الرسمية للدولة، بينما كانت النوبية هي اللغة الشعبية، والمروية لغة نوبية، إلا أنها لم تكن اللغة المتداولة، فقد كانت هناك لغتان في الدولة، لغة رسمية هي المروية، والتي تمت بها كتابة الأحداث الرسمية الخاصة بالملوك وحكمهم، ومن المعروف أن اللغة المروية لم يتم فك شفرتها بالكامل حتى الآن، رغم المحاولات المستمرة. ثم كانت هناك لغة شعبية أخذت إسم اللغة النوبية فيما بعد، ولذلك تفرز الدراسات بين اللغتين، دراسات تهتم باللغة المروية، ودراسات مستقلة تهتم باللغة النوبية، ومن المؤكد أن اللغة المروية ليست هي اللغة النوبية التي نتحدث عنها الآن، وبعد سقوط مروي استمرت الكتابات الرسمية بالمروية، أما في الفترة ما قبل المروية مباشرة، فكانت الكتابات تقتصر على الكتابات الدينية التي اعتمدت إما الحروف الإغريقية أو القبطية ذات الأصل اليوناني، وأستخدم القساوسة المسيحيون اللغة الإغريقية كلغة للتراويل الدينية في الكنائس، وحتى الأنجليل التي ترجمت إلى النوبية، رغم قلتها، استخدمت الأبجدية الإغريقية لكتابه النصوص، ولم يهتم رجال الكنيسة بالحياة العامة، ولم يتم تدوين أي أثر بالأبجدية النوبية، وهذا تحولت النوبية إلى لغة شعبية دارجة يتحدث بها الناس ولكنهم لا يكتبونها، وذلك هو حالها إلى يومنا هذا.

يمكن تقسيم اللغة النوبية إلى لغتين أساسيتين هما:

- 1 . (نوبين) وهي لغة الفديجا في مصر والحلفاوين والسكداوين والمحسن في السودان . وفي كثير من الأحيان تعرف هذه اللغة بـ (المحسية) ، وأنا سوف استعمل (محسية) للتغيير عنها.
- 2 . (نشكرن) وهي (الأشكر) وهي لغة الكنوز والمنكين في مصر والدناقلة في السودان وتعرف بالدنقلاوية أيضاً .  
ورغم أن اللغتين من أصل واحد ، ورغم وجود كلمات مشتركة ، إلا أن هناك فروقات كبيرة بينهما ،  
ولنضرب مثلاً ببعض الكلمات:.

1- جميل

بالأشكر      تونجل (Tongil)

2. الشمن

بالأشكر	مسيل	(Masil)
بالمحسني	مشا	(Masha)

3. الماء

بالأشكر	أسي	(Assi)
بالمحسني	أمن	(Amen)

4. صغير

بالأشكر	كينا	(Kinna)
بالمحسني	كودود	(Kodoud)

5. الأكل

بالأشكر	كلن	(Kel)
بالمحسني	كبا	(Kaba)

6. حصان

بالأشكر	كعج	(Keg)
بالمحسني	مُوتى	(Morti)

7. حمار

بالأشكر	فتو	(Hano)
بالمحسني	كعج	(Keg)

#### 8. الساقية

كُلّي (Koleh)	بالأشكر
أسكري (Askaleh)	بالمحسية

---

#### 9. الحائط

كتري (Katre)	بالأشker
داب (Dab)	بالمحسية

---

#### 10. المركب

كُب (Kob)	بالأشكر
سقر (Sigir)	بالمحسية

هذه أمثلة بسيطة للكلمات المختلفة بين اللغتين . أما الكلمات التي تتطابق تماماً بين المحسية والدنقلاوية فكثيرة .. وهي تعني نفس المعنى وتنطق بنفس النطق ، ومن الملاحظ أن الكلمات التي تتعلق بالزراعة وملحقاتها هي التي تتطابق أو تتشابه في الغالب، كما أن بعض هذه الكلمات تستعمل عند الشوايفة والجعلين وقطاع آخر كبير من سكان السودان، وعلى سبيل المثال:

1. الثور (Gor)	قرْ (Gor)
2. البقرة (Ti)	تي (Ti)
3. قمح (Elleh)	إله (Elleh)
4. الذرة (Mare)	مري (Mare)

#### 5. فاصل أحواض الزراعة تكند/تكمد ( Tokmad )

6. المزارع (Torber)	تُبَرَ (Torber)
7. الزراعة (Awrer)	أوزر (Awrer)
8. القش ( Geed )	فيـد ( Geed )

هناك بعض الكلمات التي تختلف في حرف واحد أو حرفين، وبالذات الكلمات التي تبدأ بحروف الـ (فـ) والـ (بـ) ،  
مثال على ذلك:

#### 1. حوض الزراعة

بـالأشكر ( Ba )	با ( Ba )
بـالمحسية ( Fa )	فا ( Fa )

## 2 . المنجل

بالأشكر ثورب (Torob)

بامحسنة ترب (Trib)

## 3 . جدول الماء

بالأشكر ملقي (Malti)

بالمحسنة مرتي (Marti)

## 4 . البليح (القمر)

بالأشكر بنتي (benti)

بالمحسنة فنتي (Fenti)

## 5 . بعد

بالأشكر وري (Warri)

بالمحسنة ويرا (wira)

## 6 . نمساح

بالأشكر ألم (Alim)

بالمحسنة ألم (Olom)

## 7 . تحضر

بالأشكر بوكى (Bokki)

بالمحسنة فوكى (Fokki)

## 8 . ملح

بالأشكر أوميد (Ombod)

بالمحسنة إميد (Emeed)

## 9 . اسود

بالأشكر أزنې (Oremmeh)

بالمحسنة أزنم (Orom)

## 10 . تحت

بالأشكر تقو (Togo)

بالمحسنة تووه (Tawwo)

## 11. يصل

بأي (Belleh)	بالأشكر
فلي (feleh)	بالمحسية
<b>12 أخرج</b>	
بل (Bell)	بالأشكر
فل (Fell)	بالمحسية

من المهم أن نورد هنا ميزة أساسية للغة النوبية . وهي أنها لا تعرف صيغة المثنى أو التأنيث والتذكير . ومن المعروف أن الإنسان ، أي إنسان ، عندما يتحدث بلغة ثانية غير لغته الأم . فإنه لا شعورياً يترجم الكلام من لغته الأصلية . وذلك ما يفسر عدم مقدرة كثير من النوبين على الفرز بين المؤنث والمذكر عند الحديث بالعربية . ولا يقلل ذلك من قدر اللغة النوبية . كما أن وجود المؤنث والمذكر في اللغة العربية لا يزيدها تميزاً . وكما قال العرب أنفسهم فلا التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال . وليس علي النوبى حرج إذا أخطأ في الحديث بالعربية . ففي ليست لغته الأم . وميزة أخرى هي إمكانية جمع العدد (واحد) ليفيد الكثرة . وواحد هو (وي) أو (وير) فيجمع (ويكو) أو (ويري) وهي من التراكيب النوبية التي دخلت في العامية السودانية . فنقول للكثير (واحدين) . ولا يوجد ذلك في آية لهجة عربية أخرى . كما أن الفاعل في اللغة النوبية يقدم علي الفعل . عكس اللغة العربية . فإذا كنا نقول بالعربية (أكل محمد) في في النوبية نقول (مييد گيدن) أو (مييد گلکو) وعلى كل حال فمن المؤكد أن أصل المحسية والدقلاوية واحد . ولكن الغريب في الأمر أن (الأشكر) يتحدث بها الكنوز والمتكين في أقصى الشمال والدقلاقة في أقصى الجنوب ، بينما المحسية تنتشر في الوسط بينهما . نحن نتحدثنا عن (كتز الدولة) الذي كان أول ملك مسلم في دنقال العجوز . وكان هو من أم دنقااوية وأب كتزي . هل إنطلقت اللغة من عند الكنوز إلى منطقة دنقالا مع كتز الدولة ؟ أم أن الأشكر الدنقاولي هو الأصل للغة النوبية كلها كما يرجع البعض ؟ علي كل حال هناك ملحوظة خطيرة وهي أن بعض الكلمات العربية المتداولة في اللغة النوبية لا تجد مرادف لها في المحسية . بينما نفس الكلمات تجد لها مرادف في الدنقااوية . وجدير بالذكر ملاحظة أن كبار السن في منطقة دنقالا يتحدثون (اللهجتين) بينما الكبار عند المحس لا يجيئون الدنقااوية إلا قليلاً .

تقول منظمة اليونسكو أن اللغات المستعملة في العالم تقدر بنحو 6000 ألف لغة ، منها نحو 2500 لغة مهددة بالإندثار وبعضها قد انقرض فعلاً . وتقول المنظمة أيضاً أن حوالي 97 % من سكان العالم يتحدثون نسبة 4 % من لغات العالم . ويتحدث 3 % من السكان بـ 96 % من اللغات . وتقرر المنظمة أن اللغات الأكثر تعرضاً للإنقراض هي تلك التي يتوقف ناطقوها عن التحدث بها ، ويتوقفون عن نقلها من جيل إلى آخر . ولا يتم تدرسيها في المدارس . واللغة النوبية من اللغات المهددة بالإندثار . وتنطبق عليها عوامل الإنقراض الأساسية . هناك كم هائل من الدراسات الخاصة باللغة النوبية في دول الغرب . فهناك معاهد وكليات تقوم بتدريس تاريخ اللغة النوبية . وهناك

علماء آثار كثيرون أمضوا وقتاً طويلاً في دراستها . كما أن الجامعات والمتاحف في كثير من الدول الغربية لديها أقسام خاصة بآثار الحضارة النوبية . وحسب علمي، فإن هناك محاولات كثيرة من جانب النوبين لاكتشاف العروض الأصلية للغة . وفي مقدمة بعض الأفراد كتابة اللغة إما بعروقها أو بالحروف اللاتينية أو العربية . رغم تحفظ البعض على الكتابة بالعربية ، فهي لا تستوعب كل حركات وأصوات اللغة النوبية . ولكن كل هذه المحاولات فردية ولا تكتمل ولا تنشر، وما ينشر منها ينشر في المنتديات النوبية المختلفة على الأنترنت . والمنتديات محدودة القراء، وهذه الطريقة لن تجدي كثيراً، المطلوب هو العمل الجاد على إدخال تدريس اللغة النوبية كمادة أساسية في مدارس المنطقة كلها إن أردنا لهذه اللغة أن تستمر.

أما تأثير اللغة النوبية على اللغة العربية السودانية فلا يحتاج إلى تبيين. ومن الطبيعي أن يكون هذا التأثير كبيراً. من الطبيعي تماماً أن توجد كلمات نوبية كثيرة في العامية السودانية، فالعربية السودانية حلّت محل النوبية. بمعنى أن نفس الناس الذين كانوا يتحدثون بالنوبية بدأوا في التحدث بالعربية، ولم يكن من الممكن للغة العربية أن تمحو النوبية وكأنها لم تكن. وإذا أردنا أن تورد الكلمات نوبية الأصل في العامية السودانية فسوف نضطر إلى إبراد نصف هذه العامية، ولكن، وبما أن الشعر يمثل عمق اللغة فأنظروا إلى هذه الأبيات: قال الشاعر السوداني

(العربي) البلولة حاج الأمين:

الناس بتتقلب كذا التوريق

دائرة تجيب خدار لاموية لا موريق

جبيل الرملة ما بصعب علي الكوريق

وحصالة التقى بتظير مع النوريق

ماذا قال الشاعر شيخ العرب هنا؟، لا يذكره هذا القول بتلك المرأة النوبية التي أرادت أن تستاجر ناكسي من الخرطوم إلى الكلاكلة. وعندما تحدثت مع السائق بالعربية رد عليها السائق بالنوبية. فقالت المرأة للسائق كيف عرفت أنني أتحدث النوبية، فقال لها السائق أنك لم تقول شيئاً بالعربية.

نتحول الآن إلى الحديث عن آثار الحضارة واللغة النوبية في غرب السودان، والحقيقة أن ربط حضارة غرب السودان القديم بالحضارة النوبية يبدو للبعض غير موضوعي، ولكن هناك رابط وثيق. ومن الباحثين الحالين في هذه القضية، أحد أبناء دارفور، هو الأستاذ إبراهيم محمد إسحاق، وهو روائي وباحث وأستاذ جامعي، ووجدت له مقابلة في جريدة الصحافة، العدد 5297 بتاريخ 16 يونيو 2008 . وأحببت أن أنقل لكم مختصر من ذلك اللقاء، يقول الأستاذ إبراهيم: ((الحضارة النوبية القديمة ليست بعيدة عن أقاليم دارفور وكردفان. بالذات قبائل الميدوب في دارفور، والنوبا سكان جبال النوبة في كردفان، وكانت دارفور بحدودها القديمة ضمن نطاق ونفوذ الدولة المروية القديمة، وهناك الكثير من الشواهد المادية ومن الآثار ومن العلائق الإثنية والثقافية يمكن الاستئناد إليها، ولكن الكتابات التي تمت عن دارفور فكلها إنصبت على دراسة تاريخ دارفور وتراثها الثقافي واللغوي في العهد الإسلامي. ولم

هيمن أحد بالحقب ما قبل الإسلامية. وإذا كان من الثابت أن الحضارة المروية إمتدت إلى غرب القارة فمن الطبيعي أنها مرت خلال غرب السودان، والشوامد التي تم اكتشافها والأثار التي وجدت في منطقة «عين فرح» القريبة من بلدة كتم بشمال دارفور و«جبل أوري» و«منطقة قرنق» في أطراف جبل مرة، تأكيد بأنها ترجع لحقبة ما قبل الإسلام وندل على ارتباط بين مروي والحضارة التي قامت في دارفور. ففي قمة جبل عين فرح «ولاية شمال دارفور» اكتشفت مدينة كاملة وبها قصر ضخم مبني على الطراز المروي وممسجد مبني على طراز المعابد المروية مبني من الطوب الأحمر يرجع تاريخه لما قبل 1440 م، وكذلك تم اكتشاف مدينة في قمة جبل أوري أكبر من الأول. وكل هذه المنطقة - امتداد طبيعي لما يعرف بمنطقة «فورنون» ويطلق عليها اسم سلسلة جبال (فونون) وترجمتها «جبل نوح» وهذه السلسلة امتداد لسلسلة جبل مرة تمثل تماماً ما خلفته الحضارة المروية. وتقول النتبعة التي نصل إليها من خلال وجود مسجد مبني على الطراز النبوي القديم دليلاً على أن حضارة قد سبقت الإسلام في هذه المنطقة وتاريخ بنائه يحدد فترة التحول الذي حدث كنقطة تاريخية للتحول إلى الحضارة الإسلامية على الرغم من أن مرحلة الانتقال من عقيدة وحضارة قائمة إلى أخرى تحتاج إلى زمن طويل. ولا يمكن أن نتجاهل وجود القصور الشبيهة بالأثار المروية وتنخططها إلى الحقبة الإسلامية.

وقد أورد البروفيسور الراحل محمد إبراهيم أبو سليم ((مؤرخ ومدير سابق لدار الوثائق السودانية)) عن عملية التحول في بلاط دارفور إلى الإسلام. من أن ذلك ((كان عملية داخلية حين دخلت النظم الإسلامية الخاصة بالحكم في التركيبة السياسية للسلطنة من دون أن تعرض التركيب القديم للاتهاب). وهذا يعني أن المجتمع قد حافظ على تقاليده وعاداته ولغته وأعراقه الضاربة في عمق جذور التاريخ)). وهذه النقلة والتلاقي الإسلامي والعربي كان عن علم وقناعة ودراءة بحقيقة الدين الإسلامي. بعدما عرفت دارفور في وقت ما المسيحية كعقيدة قبل الإسلام. وبؤكد ذلك باذل دافنشن في كتابه «أفريقيا تحت أضواء جديدة» والذي يؤكد بأن دارفور كانت همزة الوصل بين المالك المسيحية التي قامت على النيل الأوسط. ويستند في قوله إلى أن العلماء الذين درسوا آثار عين فرح. قالوا إن المسجد الذي بني في قمة جبل عين فرح كان في الأصل كنيسة. وبؤدده «أركل» في ذلك بأن دارفور كانت ضمن المالك التوبية القديمة التي أسهمت المسيحية في ربطها وشعورها ثقافياً فخالقت «كوش» من جديد.

وبضيف .. «أهم ما نود أن نتناوله هنا هو الاكتشاف المثير الذي تحقق على يدبعثة البريطانية عام 1935 م. حينما أعلنت عن اكتشافها لأقدم مدن أفرقيا الصانعة: القصور على قمم جبال قرنق. ومن ضمن هذه المدن مدينة «أنقري» التي يشبه نطقها كلمة «منقوع» الفرعونية «الأغرب من ذلك أن القرية التي تحتها تسمى «منقري» ومدينة (جلا) العريقة ومدينة عين فرح ومدينة أوري في قمة جبل أوري.

وقد بني الشاويون الأوائل مدننا من الأحجار والطوب الأحمر على قسم من سلسلة جبال فورنون ما تزال آثارها باقية. هذه المدن استطاعت إن تعمّر لأكثر من أربعة قرون وأن الطوب الذي بنيت به لا يوجد مثله إلا في الأثار التي خلفتها مروي، وهو الطوب نفسه الذي بني به التوبية كنانسيهم. وهذه الأثار ربما تكون ذكرى من مروي التي اختفت وظهرت

من تلال دارفور. ومن بين الشواهد الأخرى أن طريقة الزراعة التي يمارسها الأهالي في قمم الجبال خاصة في سلسلة جبال فورنونق وجبل مرة، هي نفس الطرق التي كانت متبعه إبان الفترة المروية، والمفردة مروي أو ماري، تلتقي في معناها في لغة ثلاث قبائل في دارفور منها «الزغاوة - الفور - الميدوب» وتعني حداد أو صانع الحديد بهذا النطق «مير - ميرو - ميري» مثلما هو الحال في جبال النوبة، حيث هنالك قبيلة نوبية يطلق عليها «الميري» وتعني الحدادين في لغة الفور. كما أن مروي اشتهرت بصناعة الحديد واكتشفت مؤخرًا مناجم لصهر الحديد في «غرب جبل مرة» جهة وادي صالح.

هناك تشابه لغوی غريب بين القبائل النوبية الواقعة في الشمال وجبال النوبة والقبائل الرئيسية في دارفور «الزغاوة، والفور، والميدوب، والمساليت» في بعض الاصطلاحات وهنالك تشابه غريب في أسماء بعض المدن في الشمال ودارفور، مع ملاحظة أن لكل مدينة في الشمال تفسيراً معنوياً بلغة الفور مثل مدينة المقرة التي تعني عند الفور قراءة نص ديفي، في حين تعني الكلمة «علوة» عند الفور التأكيد بأن الله فوق كل شيء، ثم أن الرسوم التي يرسمها الأهالي في دارفور على حيواناتهم «اللوسم أو الوشم» هي في الأصل لغة هروغلوفية، وأن الصالة المطلة على القصر الملكي في قمة جبل أوري كانت منصة يجلس عليها الملوك المرويون لاستقبال رعاياهم قرب القصر الملكي، حيث يعتقد أن العائلة المالكة في مروي هربت أمام الفزو الأكسومي صوب الغرب ووصلت إلى تلال دارفور، وأقاموا فيها مملكة تحمل كثيراً من الطابع المروي، وهناك بعض العادات المتشابهة عند بعض القبائل في مصر «الكنوز علي وجه التحديد» والتقاليد التي عرفت في مصر الفرعونية، مع عادات وتقاليد القبائل الموجودة في دارفور، ويمكن تقسيم القبائل التي تلتقي في التشابه اللغوي إلى ثلاث مجموعات كنماذج، ففي شمال النوبة «الدناقلة - المحس - السكداوين . الحلفاويون» وفي كردفان مجموعة الغلغان «التيرا - النمنق - التورا - الميري» وفي دارفور مجموعة «الفور - الزغاوة - الميدوب - المساليت - البرتي - الداجو)، إن التشابه اللغوي في بعض القبائل في الشمال والغرب ووسط الغرب، يقودنا للبحث في أصول العلاقة الثقافية الجامحة لهذه القبائل كقبائل أفريقية ذات جذور حضارية في السودان القديم.

وتعد مروي من الحضارات العرقية التي تتركز عليها الحضارة القديمة في السودان، ففي نهايات القرن الخامس قبل الميلاد انتقلت عاصمة النوبة من نبتة إلى مروي التي تقع جنوب الشلال الخامس، وتميزت بخصائص كبيرة أهلتها لأن تكون العاصمة الجديدة للمملكة النوبية، أهمها الموقع الجغرافي المتميز، في مفترق طرق القوافل التي تربط مصر بأثيوبيا وكافة بلاد أفريقيا، وتميزت حضارة مروي بطابعها الأفريقي الذي تفرد به، خلافاً لبقية الثقافات التي ازدهرت في وادي النيل، وتدل الآثار المتبقية من هذا العصر على تأثر مروي بالثقافات المختلفة التي عاصرتها، ويبدو ذلك جلياً في معابدها ذات الطابع الروماني والمصري والإغريقي،).

إلى هنا وانتهي حديث الأستاذ إبراهيم إسحاق، وقد أوردتُ هذا اللقاء الطويل حتى ألفت الإنتباه إلى وجود علاقة وثيقة بين الحضارة النوبية وأقاليم غرب السودان، أما من ناحية اللغة فقبائل البرقد والميدوب في دارفور تحدثت

حتى وقت قريب لغة سيطرت عليها مفردات اللغة النوبية، كما أن لغة النوبا سكان جبال النوبا بها كثير جداً من المفردات التي تتطابق أو تتشابه مع مفردات اللغة النوبية، وينذكر تاريخياً أن هناك هجرة نوبية كبيرة حدثت إلى الغرب عند سقوط مملكة علوة، فانتقلت الحضارة النوبية إلى هناك بلغتها، ثم إندمجت مع العحضرات المحلية، كما تفعل الحضارات المهاجرة دائماً، ولكن الأهم في هذا المجال فهو الرأي الشائع بين علماء النوبيات والذي يفاده أن أصل موطن النوبيين قبيل قدومهم إلى نهر النيل كان بمكان ما بشمال غرب دارفور، وتقدر هذه الفترة بـألف عام قبل الميلاد، حيث وصلت أولى المجموعات، وهي المجموعة الناطقة باللغة المحسية، وبعد ذلك بخمسة مائة عام وصلت المجموعة التي تتحدث باللغة الدنقلاوية، وعلى كل حال، فإذا جاءت اللغة من هناك إلى النيل، أم ذهب من النيل إلى هناك، فهناك الكثير من المفردات النوبية متداولة حتى الآن عند القبائل الأفريقية المختلفة في دارفور وكوهدان، وعلى سبيل المثال:

الوجه (كونج). اللبن (أج). أنا (أي). المطر (أري). الرأس (أن). الحصان (كج). العمارة (خنو). النار (إيقه). العمل (كملا). الأحمر (قبيلي). العر الشديد (اسي). حي (انجي). العشب (كشي). البطن (تو). الماء (اشي). الثور (قُن). النمل (قور). أعمى (دُنقر). الفضيحة أو العار (أودي). الزاد في السفر (بسِر). هناك (ناندو). الأخضر (دمسي). الثدي (اري). العصي (أروادي). الأذن (أقي). واسع (بُجو). قدح الخشب (كوسى). العجوز (دوري). الماضي (واي). الموت (ويبر).

هذه بعض الأمثلة التي وجدتها في المنتديات، وهي مدرجة عن طريق أشخاص من قبائل الميدوب والبرقد في دارفور، وبعض أبناء الأجانق في جبال النوبا، ورغم رغبي في إظهار مدى عراقة الحضارة النوبية، ومدى إنتشار لغتنا في الماضي، ومدى اعتمادنا بذلك، إلا أنني لا أوفق الكثير من النوبيين على إتخاذ هذه الحضارة وهذه اللغة مرجعاً لتفسير التاريخ الإنساني أجمع، بإعتساف كبير، وإنما تخريجات وتلقيقات سخيفة لتفسير أسماء كثيرة ومحاولات إرجاعها إلى أصول نوبية، حتى يصل بنا الحال إلى محاولة إثبات أن سيدنا آدم كان يتحدث النوبية، وأنها لغة الأنبياء من نوع إلى موسى، وأن أسماء الملائكة نوبية، فاللغة النوبية التي نعرفها الآن حديثة نسبياً، ولا يمكن لها أن تكون أصلاً لأي لغة أخرى، فلا داعي لإتخاذ أنفسنا مضحكة بتفسير اسم كندا أو الأرجنتين مثلاً تفسيراً نوبياً، فكل الشعوب حضارتها ولغاتها التي إستمدت منها وما زالت تستمد ثقافتها العالية، ولو سلمنا أن كل لغات اليوم أصلها من لغة واحدة بالضرورة، لأن سيدنا آدم وأبنائه كانوا يتحدثون لغة واحدة، فليس من المعقول ولا من الموضوعية أن نقول أن لغة آدم كانت اللغة النوبية التي تتحدث بها الآن، فاللغات من أكثر الحقائق التي تتغير مع مرور الزمن، وهذه قاعدة تنطبق على كل اللغات دون فرز، فإذا أخذنا اللغة النوبية كمثال فمن المؤكد أن الجيل الرابع من أجدادنا إلى الوراء لم يكن يتحدث بالنوبية كما يتحدث بها اليوم، والجيل الرابع من أبنائنا في المستقبل لن يتحدث بمثيل لغتنا اليوم، وإذا أخذنا اللغة العربية كمثال آخر لوجدنا أنها في البداية كانت لغة واحدة، ثم تحولت إلى لهجات مختلفة في أماكن مختلفة في أزمان مختلفة، واللغة التي يتحدث بها أهل مكان اليوم ليست هي نفس اللغة

التي كان يتحدث بها أهلها في الجاهلية، ولللغة التي يتحدث بها أهل المدينة اليوم ليست هي اللغة التي كان يتحدث بها أهلها قبل الهجرة، وليس لغة بغداد اليوم هي لغتها في العهد الأموي، وليس لغة الشام اليوم هي لغة العهد العباسي، وليس بين فصحاء العرب اليوم من يستطيع أن يجاري ابن المقفع أو الجاحظ . بل أن اللغة النوبية التي يتحدث بها أهل جزيرة بدين اليوم ليست هي التي تحدث بها أهلها قبل مائة عام، فاللغة تتعرض إلى تعديلات وتتعديلات مستمرة، ويلحق بها مفردات جديدة في كل حين، فتتجدد مع تجدد العباية، وتتغير مع تداخل الشعوب والقبائل في بعضها البعض كجتنمية تاريخية، وتتطور مع تقدم المدنية، ولللغة كان حي يطرأ عليه ما يطرأ على الكائنات الحية من تغير وكبر وشيخوخة ومرض وموت ، مختلفة بعدها كان آخر من أبنائها الذين ربما شاهدوها قليلاً وأختلفوا عنها كثيراً ، وهناك مفردات كثيرة اليوم في النوبية ليست هي من النوبية ولا حتى من العربية، جاءت هذه المفردات مصاحبة للآلات والأجهزة التكنولوجية الحديثة ، وسوف تصبح بعد عشرين أو ثلاثين عاماً كأنها مفردات محلية، وهكذا فبنية اللغة لا تبقى ثابتة، مفردات تستحدث ومفردات تندثر، حتى قواعد اللغة وأصولها تتبدل، بل حتى الأنماط الصوتية التي تميز أصحاب لغة معينة تتغير، ولذلك فعلينا اتباع الحذر الشديد عندما نأخذ مفردة نوبية حالية لنفسها إسمًا موجوداً من الآف السنين، وعلماء الفيلولوجيا (وهو علم دراسة اللغات) يبذلون جهداً مضنياً ووقتاً طويلاً في البحث والتدقيق في النصوص والتحقيق فيها والمقارنة بين المصطلحات والعبارات وتاريخ تطورها والتغييرات التي طرأت عليها عبر العصور . فدراسة اللغات من العلوم الصعبة والمضنية جداً.

أخيراً أشير إلى أن بعض الكلمات الصغيرة في اللغة النوبية والتي تكون من ثلاثة أحرف مثلاً يمكن تشكيلها لنؤدي معانٍ كثيرة جداً . مثلاً كلمة (كري)

**كري .... معناها العيد**

**كري .... معناها العدة أو الأواني**

**كري .... معناها انتى**

**كري .... معناها ضب**

**كري .... معناها ينسج**

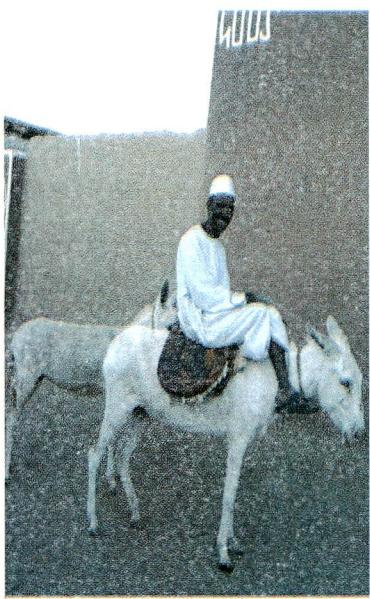
**كري .... معناها يربط**

**كري .... معناها الغير ظليل**

في نهاية هذا الجزء عن اللغة أود أن أتقدم بشكري الجزل للأخوين الشيخ أحمد عزالدين محمد أحمد ومحمد لطيف حسن زبير اللذان يعتبران مراجع في اللغة النوبية وقد لجنت إليهما في أحياناً كثيرة للإستفسار.

## . ١٢.

ربما كان هذا الجزء من الكتاب غريباً أو طريفاً، أو ربما إستاء البعض منه، ولكنني أتعاطف مع هذا الحيوان المظلوم، الذي فتحنا أعيننا ووجدناه يقوم بخدمات جليلة لأهل الجزيرة، من هنا لم يتمكن صهوة الحمار جينه وذهبها في طرقات البلدة، هو جزء أصيل من سكان الجزيرة ، وقوة أساسية في تاريخها، وقد اعتمد عليه سكان الجزيرة في قطع مشاورهم الطويلة والقصيرة ، حالهم في ذلك كحال أهل النوبة جميعاً، إنتم على المزارع والعمدة والشيخ والمدرس والطالب، إنتم على الجميع للذهاب إلى السوق والطاحونة، وقبل ترف العربات كان الحمار هو وسيلة المواصلات الوحيدة إلى أرقو ودنقلاء، إلى فريق ولائق وحلفا، وكان بعض الناس يهتمون بحميرهم وكأنها خيول ثمينة، حتى أن بعض الحمير طبقت سمعتها الأفاق ، وثبت أن الحمار حيوان ذكي ، وأن إيمانه بالغباء محض إفتراء من جانب الإنسان ، والحمار إذا تركته علي بعد عشرات الكيلومترات من مربطيه يستطيع العودة بمفرده ، كما أن الحمار يألف صاحبه إلفة حميمة . وقد كانت الحمير تابعة لأصحابها إسمياً، ولكنها إدارياً كانت تابعة للمشروع الزراعي، وكان مستولو الماء في المشروع، الذي كان يتقد الجدول الرئيسي، إذا وجد حماراً مطلقاً في أي من المزارع، كان يسوق الحمار إلى (كارا) قرب الوابور، وكان الكارا سجنًا مؤقتاً يحبس فيه الحمار حتى يأتي صاحبه ويدفع الغرامة فيطلق سراح الحمار، وكان الحمار يشارك الناس إحتفالات الأعياد، فقد كانوا يتسابقون على ظهور الحمير، يركبون الحمار بالمقلوب، يجلسون على عكس إتجاه سير الحمار، فينطلق بهم وهو يقهقهه من لعب الأطفال الذي كان يمارسه الكبار، ولأن جد الحمار المعروف حاليا هو (الحمار النبوي ) حسب كتاب (كلتون بروك) (التاريخ الطبيعي للحيوانات الأليفة)، فهو يعتبر جزء من التراث، لذلك فلنتوقف عنده قليلاً ، ولنورد هذه الفقرة عن الحمير.



تقدر منظمة الفاو عدد الحمير في العالم اليوم بـ ( 44 ) مليون حمار، وأكثر الدول امتلاكاً للحمير هي الصين، ثم الجبنة، ثم المكسيك، أما السودان، وللعجب، غير مذكور، وكنت اعتقد إننا بلد (حمير)، ولكن والحمد لله، وبشهادة الفاو، فإننا لسنا كذلك، وذكرت المنظمة أن المهام التي انيطت بالحمير تاريخياً، ومنذ 6000 سنة، هي نفسها إلى تاريخ اليوم، نقل الناس والأسفار، جر العربات، توليد البغال، حراسة الماشية، والتوفيق عن الأطفال، وإعتماداً على هذا التقرير، فلم يختلف، ولا تعرف مهمتها الأساسية ، فهي لا تلد البغال، ولا تحرس الماشية، ولا ترفع عن الأطفال، وقد فكرت.

بعد قراءة التقرير، ان اذهب إلى الصين او المكسيك، واشحن من هناك، إلى السودان، عدد كبير من الحمير المدرية

على الترفيه عن الأطفال ، فأطفالنا المساكين في السودان لا يجدون من يرفه عنهم . فالكل مشغول عن الأطفال بما هو أهم . أباء ومدرسين وحكومات . مشغولون بالتنمية والمستقبل الذي في رأيهم لا يتضمن الأطفال . وكان الأطفال لا علاقة لهم بالمستقبل . رغم أنهم هم المستقبل كله . ربما قامت حمير الصين أو المكسيك بمهمة الترفيه . وقال التقرير أن عمر الحمار في البلدان الغربية، يتراوح ما بين 35 إلى 40 سنة، بينما في الشرق الأوسط لا يتجاوز سبع سنوات، حتى الحمير عندنا لا تستطيع أن تعيش كثيراً . وكما قلت في مكان آخر فقد كنا نشرب لبن العمارة كعلاج أخير لمرض الـ (كاكود) . وهو الكحة المزمنة (السعال الديكي) التي تصيب مراحل صعبة جداً ولا يجدي معها أي دواء . وقد ثبتت الآن أن لبن الحمير يحتوي على مواد غذائية مفيدة جداً . وقد اكتشف بعض الخبراء الصينيين إمكانية الاستفادة من جلود الحمير اقتصادياً . كما أنهم أثبتوا أنه يمكن استخلاص بعض العقاقير والمنظفات الجنسية منها . ويقال أن الملكة كيلوباترا كانت تحرض علي استعمال لبن الحمير . لتفريح بشرتها . والحفاظ علي نضارة وجهها . ثم ظهرت الآن في بعض أسواق أوروبا (جيبيه الحمير) وهي أغلى أنواع الجبن في العالم .  
اما في مصر أم الدنيا . وارض العجائب . فهناك حتى من الحمير شعراء ساخرون . انظروا الي هذه القصيدة الحمارية الدارجية الساخرة .

عجي يا ابن آدم، قومت الدنيا لم قالو لك حمار

هو إسمى شتيمة؟، ولا أنا جنبي ده عار

عايش في حالي متبني ولينا افكار

باكل وبشرب وبنهق وبجامع، وما فيهش أسرار

وعندي ابن آدم يخدموني، ليل ونهار

إن جمعت يشتري برسيمي بأغلي الأسعار

خادم امين من غير راتب ولا حتى إيجار

الجين عرفت يا ابن آدم مين فيينا حمار؟

اما امير الشعرا شوقى فقد كان قاسياً علي الحمير . وانا اعتقد انه لم يكن يقصد الحمار الحيوان . بقدر ما كان يقصد الأغبياء . الثقلاء من بني آدم . عندما قال :-

سقط الحمار من السفينة في الدحي :: فيك الرفاق لفقدوه وترجموا

حيي اذا طلع النهار أنت به :: نحو السفينة موجة تقدم

قالت خذوه كما اثاني سالماً :: لم أبلغه لأنه لا يحضر

ويقال أن أول رواية في التاريخ هي (الحمار الذهبي) للروائي لوكيوس أيليوس في القرن الثاني الميلادي . وكان الحمار هو الراوى ، وهناك كتاب حمار بوريدان . لكاتب الماني . عن تجربة قام بها جان بوريدان عميد جامعة السوربون . حول سلامة الاختيار العر عند الحيوان . أما في كتاب جورج أروبل (مزرعة الحيوانات) فالحمار لا يضحك أبداً . لاته

ما من سبب في الدنيا يدعو إلى الضحك، وهناك اديب اسباني فاز بجائزة نوبل للآداب عام 56 له كتاب اسمه (الحمار ذو اللون الفضي)، أما عربياً فهناك حمار الشيخ الذي وقف في العقبة، وكثير من الشيوخ توقف حميرهم في عقبات الأسئلة، ثم هناك حمار الحكيم، وحماري قال لي، وحماري وعصاي والآخرون، لتفويق الحكيم ، والحمار يلعب دور كبير في أدب توفيق الحكيم ، وهو قد كتب أكثر من ثلاثة كتب القاسم المشترك بينها هو الحمار، وإنخد من الحمار شريكاً له في النشاش وتوضيح الأمور من احتاج للتوضيح من الأدميين، وهم كثيرون، ويروي الحكيم أنه سأله حماره ذات يوم عن الفرق بين عشر الحمير ومعشر الأدميين؟ وأجاب الحمار: وجدت أن الفرق الأساسي بيننا وبينكم هو أنكم تعرفون النفاق، ونحن لا نعرفه، وقد عللت نفسي ومنيها بحمل جميل هو أن تعلمي النفاق لأنك لو أمكنني تعلم النفاق وإدخاله في فصيلة الحمير لانقلينا مخلوقات مثلكم. أما إجتماعياً فقد قامـت مدينة (بلاكبول الساحلية شمال غرب إنجلترا) بتطبيق قواعد صارمة لحفظـ علىـ الحميرـ، إـحدـاهـاـ لاـ تـجـاـوزـ أـيـامـ عملـ الحـمـارـ ستـةـ أيامـ فيـ الأـسـبـوعـ، ماـ بـيـنـ الـعـاـشـرـ صـبـاحـاـ وـحتـىـ السـاـبـعـةـ مـسـاءـ، تـتـخلـلـهاـ سـاعـةـ رـاحـةـ يـوـمـيـاـ لـتـنـاـولـ وجـبـةـ الـغـدـاءـ، عـلـوةـ عـلـىـ إـجـراءـ أـخـبـارـاتـ صـحـيـةـ إـلـزـامـيـةـ قـبـيلـ بدـءـ موـسـمـ الصـيفـ، وـالـحـمـارـ هوـ شـعـارـ الـدـيمـقـراـطـيـ الـأـمـرـيـكـيـ كـنـيـةـ عنـ الصـبـرـ، وـفـيـ التـقـوـيـمـ الجـمـهـورـيـ الفـرـنـسـيـ، يـعـتـبـرـ يومـ 6ـ أـكـتوـبـرـ منـ كـلـ عـامـ هوـ يـوـمـ الـحـمـارـ، وـعـلـىـ عـكـسـ الصـورـةـ الشـائـعـةـ عـنـهـ يـثـبـتـ الـعـلـمـ وـالـوـاقـعـ: أـنـ الـحـمـارـ حـيـوانـ ذـكـيـ، يـتـعـلـمـ وـيـفـهـمـ، وـيـتـحـمـلـ الـإـنـسـانـ بـكـلـ ظـلـمـهـ وـحـمـاقـاتـهـ، وـالـحـمـارـ مـذـكـورـ فيـ مـخـطـوـطـاتـ كـثـيرـةـ، مـنـهـ مـاـ قـالـ الدـمـيـريـ فيـ حـيـاةـ الـحـيـوانـ الـكـبـرـيـ عـنـ الـحـمـارـ: الـحـمـارـ جـمـعـهـ حـمـيرـ وأـحـمـرـةـ وـرـبـماـ قـالـواـ لـلـأـتـانـ حـمـارـ، وـتـصـفـيـرـهـ حـمـيرـ، وـكـنـيـةـ الـحـمـارـ أبوـ صـابـرـ وأـبـوـ زـيـادـ.

قال الشاعر: زـيـادـاـ لـسـتـ أـدـرـيـ مـنـ أـبـوهـ :: وـلـكـنـ الـحـمـارـ أبوـ زـيـادـ.

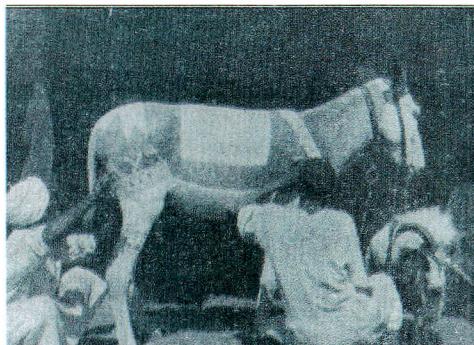
وقـالـ: يـقـالـ لـلـحـمـارـةـ أـمـ نـافـعـ، وـأـمـ تـولـبـ، وـأـمـ جـحـشـ، وـأـمـ وـهـبـ، كـمـاـ يـوـصـفـ بـحـدـةـ السـمـعـ، وـصـوتـ الـحـمـارـ هوـ المـئـيقـ، وـالـذـيـ هوـ أـنـكـرـ الـأـصـوـاتـ، فـإـذـاـ كـرـرـ مـهـيقـهـ وـاشـتـدـ قـيـلـ: أـخـذـهـ الـهـيـاقـ .  
وـفـيـ الـفـكـاهـةـ فـقـدـ كـانـ لـجـحـاـ حـمـارـ لـيـفـارـقـهـ، وـحـدـثـ أـنـ جـاءـهـ رـجـلـ ذـاتـ يـوـمـ وـطـلـبـ مـنـهـ أـنـ يـعـيـرـهـ الـحـمـارـ فـقـالـ لـهـ جـحـاـ:

الـحـمـارـ غـيـرـ مـوجـودـ لـآنـ

فـبـهـقـ الـحـمـارـ وـقـالـ الرـجـلـ: وـهـذـاـ؟!

فـأـجـابـهـ جـحـاـ: أـتـكـذـبـيـ وـتـصـيـقـ الـحـمـارـ؟!

أـمـاـ بـشـارـ بـنـ بـرـ، الشـاعـرـ الـمـجـيدـ، وـصـاحـبـ الرـوحـ الـمـرـحةـ،  
وـالـدـعـاـبـةـ الـذـكـيـةـ، وـهـوـ شـاعـرـ أـحـبـهـ كـثـيرـاـ، فـقـدـ مـاتـ لـهـ  
حـمـارـ، فـلـمـاـ زـارـهـ أـصـدـقاـوـهـ لـلـعـزـاءـ، أـظـهـرـ لـهـمـ أـنـهـ مـغـمـومـ  
مـحـزـونـ. فـأـلـحـوـاـ عـلـيـهـ فـيـ السـؤـالـ يـرـيدـوـنـ أـنـ يـعـرـفـوـ سـبـبـ  
حـزـنـهـ وـغـمـهـ، فـقـالـ لـهـمـ: إـنـيـ رـأـيـتـ حـلـمـاـ مـزـعـجـاـ، رـأـيـتـ  
حـمـارـيـ فـيـ النـوـمـ، فـقـلـتـ لـهـ: وـبـلـكـ! مـالـكـ مـيـتـ؟ـ. قـالـ: إـنـكـ



ركيبي يوم كذا، فمررتنا على باب الأصهانى. فرأيت أثنا (أثنى الحمار) عند بابه. فعشقتها فمث. وزعم بشار أن حماره أشده المقطوعة التالية:

سَيِّدِي مَنْ بِعْنَانِي نَحْوَ بَابِ الْأَصْنَهَانِ  
 إِنْ بِالْبَابِ أَتَانَا فَضَلَّتْ كُلُّ أَنَانَ  
 تَيْمَتْنِي يَوْمَ رُخْنَا بِثَنَابِاهَا الْجَسَانِ  
 تَيْمَتْنِي بِبَنَانِ وَبِذَلِّنِ قَدْ شَجَانِي  
 وَبِخُسْنِ وَدَلَالِ مَلَّنِ جَسْمِي وَبِرَانِي  
 وَلَهَا خَدْنَ أَسِيلٌ مَلِّنْ خَتِّ الشَّيْفِرَانِ  
 فِيهَا مِئَتْ وَلَوْ عَشْتُ إِذَا طَالْ هَوَانِي  
 فَقَالَ لَهُ أَحَدْ جَلْسَانَهَا: مَا الشَّيْفِرَانِ؟

قال: ما يُدرِّي؟! هذا من غرب العمر. فإذا لقيتم حماراً فسالوه.

كان هناك حلاق العمير الذي يأتي الى الجزيرة فيبادر بعض الناس الى حلقة حميرهم وتزيينها.



في هذا الجزء سوف أحاول إبراد سير بعض الشخصيات في بدين من لم أذكرهم في ثنايا الكتاب ، وكما قلت في المقدمة. فلا يمكن ذكر كل الشخصيات مستحقة الذكر، إلا أن بعض كانوا أكثر شهرة وتأثيراً في تاريخ الجزيرة، ومنهم من كان له تأثير كبير على تاريخ السودان. والسيرة الأولى سيرة رجل معروف علي نطاق السودان ، هو أحد ابناء السودان الذين أثروا علي مجريات الأمور فيه ، تقلد مناصب أساسية في الدولة ، إتخاذ قرارات مصرية ، من قوانين تمس حياة المواطنين في كل بيت ، إقترب وابتعد من الأنظمة بدهاء كبير ، كان من أوائل رجال الأعمال الذين أسسوا شركات خاصة ما زالت تعمل في الساحة الاقتصادية ، حيث أسس الشركة السودانية للتأمين وإعادة التأمين المحدودة ، هو السيد عزالدين السيد محمد، وقد وجدت تعريف ضاف لسيرته الذاتية في موقع المجلس الوطني (parliament.gov.sd) ، وحسب ما جاء في الموقع فقد درس في جامعة بيروت وجامعة لندن ، نال عضوية الجمعية التأسيسية الأولى عام 1965 ، كان أول وزير للصناعة والتعدين عام 1966 ، ثم وزيراً للتجارة والتموين ، عضو مجلس الشعب الأول عام 1973م ، ثم تقلد عدة مناصب مهمة في مجلس الشعب والإتحاد الإشتراكي السوداني ، ترأس عدة مجالس في مواقع مختلفة ، شارك في عدة مؤتمرات خارجية ، نال أكثر من دكتوراه فخرية من مؤسسات تعليمية ، نال عدة أوسمة في السودان وخارج السودان.

#### السيد محمد صالح عمر



ولد في جزيرة بدين عام 1932م، تخرج في كلية الحقوق (القانون) قسم الشريعة بجامعة الخرطوم في الأول من أبريل 1959 م حيث تم استيعابه معيداً بكلية الحقوق. تم ابعاؤه لجامعة لندن (School of Oriental & African Studies) حيث حصل على درجة الماجستير في القانون في 24 أكتوبر 1961م.

إنضم لجامعة الأخوان المسلمين أثناء دراسته بالمرحلة الثانوية. تم اختياره في وزارة سر الختم الخليفة وزيراً للثروة الحيوانية في حكومة ثورة أكتوبر 1964 م ، التي خلفت حكومة الفريق إبراهيم عبود، حيث كان ممثلاً لجبهة الميثاق الإسلامي، استقال لاحقاً من وظيفته كمحاضر بجامعة الخرطوم والتحق بالمقاومة الفلسطينية الجناح العسكري لحركة فتح، رجع الي السودان في عام 1969 ، بعد وصول جعفر نميري الي السلطة بانقلاب عسكري.

هو من رموز العركة الإسلامية في السودان، من جبل الطاهرين المتظاهرين، حاول الكثيرون من الإسلاميين معه سيرته من الذاكرة التنظيمية. لاته يرمز الى ببوريانية/ تطهيرية يجعلهم يحسون بالذنب. كما قال الأستاذ جعفر عباس، والأستاذ جعفر هو ابن خال الشهيد، وهو خير من يكتب عنه، وأنا سوف أكتفي بإيراد حديث الأستاذ عنه: ((اسمه بالكامل محمد صالح عمر محمد الأمين احمد تاقي.. ولد في قرية خميس إكي بجزيرة بدين و(إكي) كلمة نوبية تعني «دار» وتطلق هي (مار) على الأحياء السكنية. ولكنه كان ينادي على الدوام «شيخ صالح» وعاش ومات مؤكدا انه كان شيئاً صالحـا.. أبوه أيضاً كان يحمل اسم «شيخ عمر» وكان من بين نحو ثمانية أشخاص من أبناء جيله في بدين يحسنون القراءة والكتابة.. عمل شيخ عمر لسنوات طويلة في مصر لتوفير القوت لعياله: شيخ صالح وحسن وعبد الرحيم وصلاح وأمنة.. أم شيخ صالح هي فرجين سيد أحمد شقيقة والدي .. كان أخوه صلاح في نفس عمري تقريباً. كان يلعب معنا في بيتنا ونحن صغار، ولما غربت الشمس عاد إلى بيت العائلة في خميس (إكي)، وبعد نحو نصف ساعة سمعنا العويل: صلاح مات بلدغة عقرب.. وهكذا وإلى يومنا هذا لا زلمني الخوف المرضي (فوبيا) من العقارب.. وطوال سنوات إقامتي في بدين لم أتعرض للدغة عقرب بينما كان متوسط دخل الفرد من اللدغات نحو ثلاثة في السنة، وكنت أحقر على نحو خاص على تفادي لدغة مقرن سقد (عقبـ المغارب) داكن اللون الذي لا يمهلك طويلاً.

انتقل شيخ صالح من بدين الأولية إلى القولد الوسطى وكان أول دفعته في امتحان الانتقال إلى المرحلة الثانوية على مستوى القطر، ونال جائزة الملك فاروق، ومنها إلى وادي سيدنا الثانوية حيث زامل فاروق حمدنا الله ومأمون عوض أبوزيد (وكانا المهندسين الحقيقيين لانقلاب مايو 1969). ومن هناك إلى جامعة الخرطوم.. كان بإمكان شيخ/ محمد صالح دخول الطب أو الهندسة أو العلوم، ولكنه قرر دراسة الشريعة لأنه كان قد قرر تكرس عمره كله للنضال لإقامة نظام إسلامي في السودان.. وكان وزيراً في حكومة ثورة أكتوبر الأولى.. وكان شوكة حوت في حلقة الدكتور الترابي وبعض قيادات جبهة الميثاق الإسلامي.. ورغم أنه كان شديد البر بأهله ويحرص على زيارتهم على نحو منتظم، وبالتالي منقطعة خلال الإجازات المدرسية، ورغم أنه كان شديد البر بأهله ويحرص على زيارتهم على نحو منتظم، وبالتالي تعهدني بالرعاية والحب، إلا أنه أتعذر من يقول إن محمد صالح جابر بخصوصاته التنظيمية خارج التنظيم.. وترك الجامعة وانضم إلى الفدائيين الفلسطينيين وحارب معهم في الأردن والضفة الغربية، وعندما قام انقلاب مايو تسلل إلى الجزيرة أياً ومهماً بعض المسلمين وتحالف مع السيد الهادي المهدى للشرع في عمل مسلح ضد حكومة نميري، ولكن الحكومة أخذت علماً بالمخاطط، وهاجمت أياً بطائرات المبعاث والدبابات واستشهد محمد صالح بالقرب من محلج ريك.

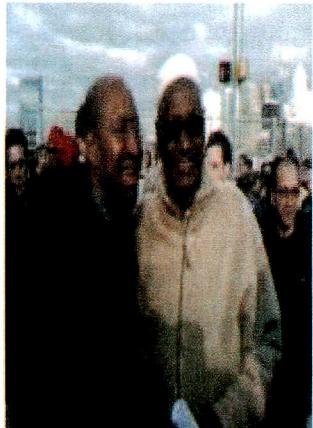
لم يكن محمد صالح من النوع الذي يسعى لـ (تجنيد) كل من هو قريب منه، بل كان في حياته الخاصة يحب الونسة وصاحب نكتة.. تجده جالساً في مخبز محمد عبد العزيز في سوق بحري ومعه إبراهيم محمد افندي ومحمد الحسن كمبال وغيرهما فلا تسمع منهم كلمة واحدة باللغة العربية، بل يكاد كل كلامهم يكون قفهـات متصلة.. لم يخاطبني

قط في أمر سياسي، وكان والدنا يزجينا كلما وجدنا نمارس اللعب بالورق/ الكشتيبة: شيخ صالح كان يقوم ويرقد طول اليوم وفي يده كتاب.. وهكذا صرنا أنا وإخوتي عابدين ومحجوب مولعين بالكتب حتى نحصل بالمكانة التي حظي بها شيخ صالح في قلب والدي.

وبعد أحداث أبا ظلت السيدة الفاضلة إحسان أرمته تلهمت من مسؤول إلى آخر لاسترداد شهادات ميلاد عيالها حتى لا تفوت السنة الدراسية على «سلمي»، وساعدني صالح محمود مدير مكتب وزير الداخلية فاروق حمدنا الله على مقابلته وشرح له الأمر فأمر على الفور برد الشهادات إلى إحسان وقال لي - والله على ما أقول شهيد: قابلت محمد صالح في بيروت وأعطيته الأمان ليعود أستاذًا في الجامعة بشرط عدم ممارسة السياسة فقال لي: ما عندي شغله غير أسقط حكمتكم.. وأضاف حمدنا الله: لو كان عندنا خمسة اشتراكيين من نوع محمد صالح ليقيينا في الحكم إلى يوم القيمة!! والفضل ما شهدت به الأداء.

والده عمر محمد الامين (وكانوا ينادونه شيخ عمر) كان حسن التعليم ومتدربنا و”دوغرى“ وكان من قلة في بدین تقضي وقت فراغها في القراءة، من اخوته عبد الرحيم عمر الذي توفي في حادث سيارة اليم في الرياض في مطلع الثمانينات، كان عبدالرحيم قاضياً شرعياً على حُلُق رفيع، كما زملاء منذ ما قبل المدرسة حتى جامعة الخرطوم ولم اسمعه يوماً ما ينطق بكلمة نابية أو لفظ جارح وحتى عندما كنا صغاراً لم يكن يمارس الشيطنة المعتادة مثل سرقة البطيخ وعيش الريف، وحسن عمر يقيم الآن بالعاصمة بعد اغتراب طويل في السعودية ولديهم اخت واحدة هي آمنة)) إنتر كلام الأستاذ جعفر، وعندما توفي مولانا القاضي عبدالرحيم عمر كنت أنا في الرياض في ذلك الوقت، وما زلت أذكر موقع الحادث، كان الحادث الأليم في ثاني أيام العيد، وكان الراحل صائماً، وكان في طريقه إلى الجمعية ملاقاً إخوته أبناء بدین، ولكنه لاقى خيراً منهم، إذ لاقى ربه، له الرحمة والمغفرة.

#### عبدالقادر أحمد همت



(يبدو الحاج عبدالقادر في الصورة مع عمدة مدينة فلديفيا في ولاية بنسلفانيا الأمريكية ، وهي المدينة الآتيرة للكثيرين من أبناء بدین المقيمين بأمريكا ، وهي مدينة في غالها شعبية لا يحس فيها المرء بكثير فارق بينها وبين الخرطوم ، وأبناء بدین في (فلي) كما يدعونها ، أصبحوا وكأنهم من السكان الأصليين ، يتحدثون مثل أهلها ويمشون في أسواقها ويتجولون في شوارعها وكأنها ضاحية من ضواحي ملتقى النيلين ، تجدهم في أماكن العمل يتحدثون مع بعض بالنوبية ،

يمتلكون البيوت ويمارسون أعمالهم الخاصة ، لهم في المدينة صولات وجولات في شتى مناحي الحياة ، تذهب إليهم فيختلفون بك في كرم حاتمي حميم. هناك يعيش الحاج مع أحفاده أبناء إبنه هشام ، وهشام يشغل وظيفة هندسية مرموقة في بلدية فلديفيا).

ولد الحاج عبدالقادر بجزيرة بدبن في العام 1940 . تلقى تعليمه الأولى في مدرسة بدبن الأولية التي التحق بها في العام 1948 ، وكان منتظمًا في خلوة الشيخ حاج فرحان، وكان الناس في ذلك الوقت لا يبعدون إرسال ابنائهم الى المدارس، كانوا يرسلونهم الى الخلاوي، منها خلوة الشيخ حاج فرحان، وبعد إنشاء المدرسة جاء المفتش الإنجليزي، وذُرِّنَ الوضع، وبدهاء المستعمر، عين الشيخ حاج فرحان مدرساً للدين في المدرسة . حتى يرسل الناس ابنائهم الى المدرسة، وقد كان، فذهب الكثيرون الى المدرسة . وتوقف التعليم في الخلوة علي أيام الجمعة، إذكتب عبدالقادر من روحانيات الشيخ الكبير ما صبغت نفسه وقلبه بآيات نبيل، وزاهدة في القول والفعل، والحديث عن الشيخ حاج فرحان محبب الي نفسه، ومما حكاه أن الشيخ كان يشرب الشاي ببراد أصفر صغير، وكان هذا البراد الصغير يكفي كل العبران، وكانت له حاسة غريبة بوجود ما يضر بالقرب من الخلوة، فكان مرات يقف فجأة ويطلب الأبريق، ثم يخرج ويصب الماء علي حجر معين فتخرج عقرية فيقتلها وبعود، وكان في المدرسة في حصة الدين عندما يأتي المفتش الإنجليزي يطلب من التلاميذ قراءة سورة (الكافرون) قل يا أيها الكافرون، الي آخر السورة، وإذا حدث أن صافحه المفتش كان يخرج سريعاً من الفصل ويمسح يديه بالتراب ويفلسها بالماء، والمفتش ينظر ويبتسم.

في العام 1952 إنطلق عبدالقادر إلى وادي حلفا للالتحاق بمدرسة حلفا الأميرية الوسطى، وكان معه 11 طالباً من بدبن، منهم أرصد أحمد، عوض إبراهيم، عثمان قرشوم، خيري ملجان، كمال محمد أفندي وسعيد محمد سيد احمد وأخرون، وكان في حلفا مدرستان، الأميرية والأهلية، يذهب الطالبة من المناطق المختلفة للإمتحان والمنافسة في المدرستين، وفي تلك السنة كان عدد الطلبة المتنافسين 360 طالباً، يقبل منهم اولاً 42 طالب في الأميرية وهي مجانية، ثم 42 في الأهلية وفيها رسوم، وعلى بقية الطلبة العودة أو الذهاب للمنافسة في مدارس أخرى، وكان ترتيب عبدالقادر هو 28 من الـ 360، وكان المفروض أن يقبل في الأميرية، ولكن حدثت مؤامرة من تجار حلفا وبالاتفاق مع المفتش الإنجليزي أكملوا العدد المطلوب في الأميرية من ابنائهم، وقبل هو في الأهلية، وكان مبلغ الرسوم 150 قرشاً، وما أن إنطلقت الدراسة في المدرسة حتى جاءه عرض (مغربي) من مصر للسفر إليها والدراسة هناك، فاختار في الأمر وشاور الفصل نادة الناظر وقال له أن إخوانك في مصر يريدون منك السفر لمواصلة الدراسة هناك، فإختار في الأمر وشاور زملاءه، هو يريد المواصلة في حلفا ولكن مصر بدت مغربية، وفهم الناظر أنه سوف يسافر فقبل طالياً آخر في الداخلية بدلاً منه ، ولما عاد إلى الناظر وقال له أنه ربما يواصل قال له الناظر أن فرصته في الداخلية ضاعت وأنه يمكن أن يواصل خارجي، وقد عرض عليه الإخوان درس بدوي وعوض بدوي السكن معهم في البيت، وهو من أبناء المحسن الذين تربوا مع عبدالقادر في بدبن، ولكن في النهاية قرر السفر إلى مصر، وكان الطلبة في الفصل، ومن الشباك ودعهم وقال لهم أنه مسافر، وفي الميناء وجد العم سعيد هاشم الذي إشتري له ذكره بـ (7 قروش) إلى الشلال ثم من هناك إلى القاهرة، ولم تكن جوازات السفر مطلوبة، بل كان السودانيون يذهبون إلى مصر بدون أي أوراق ثبوتية، وثاني يوم وصوله إلى القاهرة قامت الثورة، انقلاب جمال عبد الناصر، كان إخوانه وأبناء عمومته في

الأسكندرية، فسافر الي هناك. ونافس في مدرسة ثانوية مع 800 طالب. وكان ترتيبه الأول في الـ 800 ، ولكن ما أن إنتظمت الدراسة حتى تم قفل المدرسة من قبل الثورة باعتبارها مدرسة برجوازية، فعاد عبدالقادر إلى القاهرة للالتحاق بالآzهر، وكان بالآzهر في ذلك الوقت عدد كبير من أبناء بدين، حوالي 42 طالباً، منهم: محمد عثمان موسى، الذي عمل في وزارة التربية والتعليم في السودان، قسم المناهج المدرسية، وكان له كتاب شرح لعلقة عنترة التي درسناها في الثانوية العامة، ومحمد علي موسى، ومحمد الحسن موسى، ومحمد حسنين، والطاهر سيد ترجمان، وعبدالرازق عبدالودود، وعبدالمجيد عبد الرحمن، الذي عمل مديرأً زراعياً في عسلية، وعمسيب محمد فضل، وفضل عكاشة، وعبدالمجيد خليل، وإبراهيم حسن وأخرون.

وبينما كان عبدالقادر يدرس في الآzهر إلتحق بمدرسة عابدين الإعدادية الليلية، ثم في العام 1955 إلتحق بثانوية (مسانية) وفي 1957 سمع للطلبة السودانيين بالتحول إلى المدارس الأكاديمية، فألتحق بالثانوية التجارية ومعه الطاهر سيد أحمد، وإلتحق عمسيب بقسم الكهرباء، وعبدالمجيد بالقسم الزراعي، وكانت المنحة الحكومية للطالب السوداني في ذلك الوقت 8 جنيهات من الحكومة المصرية، وفي العام 1960 تحصل على دبلوم التجارة الثانوية، وكان مع الدراسة يمارس الرياضة، وبين عامي 57 و 1960 تحصل على بطولة جمهورية مصر للملاكمة للمدارس الثانوية (وزن الرشوة) وأيضاً على بطولة الجمهورية في العاب القوى في الجري مسافات طويلة ومتوسطة، ثم انضم إلى الفريق القومي المصري مع أعضاء النادي الأهلي، وفي 1960 تقرر أن يسافر الفريق القومي إلى روما للأولمبياد ، فأستخرجوا له بطاقة باعتباره من مواليد أسوان، وكان خط سير الرحلة إلى سوريا ثم إلى ألمانيا ثم من هناك إلى روما، ويوم السفر وبعد الصعود إلى الطائرة وبعد أن شحنت شنطته إلى روما ، أنزلوه وقالوا له لا بد من إستخراج جواز سفر، ولا بد له من الجنسية المصرية، وكلفوا ضابطاً ليأخذه في اليوم التالي إلى المجمع لاستخراج الجنسية والجواز ثم اللحاق بالفريق في سوريا مع الضابط . فتردد، ثم شاور إخوانه في الجمعية والنادي السوداني، فقالوا له (إذا اتجنست مصرى تاني ما تعب الجموعة والنادي) فقد كان التجلس بجنسية أخرى في ذلك الوقت عيباً ومرفوضاً، بالذات الجنسية المصرية، وفي صباح اليوم الثاني وهو في القهوة رأى الضابط المكلف قادماً، فأختبأ في الحمام، وجاء الضابط يبحث عنه، وبسؤال السودانيين (يا قماعة ما شفتوش عبدالادر، بناع الملاكمة، حيكون راح فين يعني ، يغرب بيته، ده حيطلعني من السفر، لازم تجيبيو من تحت طاطيق الأرض)، وفي اليوم التالي والضابط يبحث عنه سافر عبدالقادر وهرب إلى السودان، ووصل الخرطوم في أغسطس 1960 ، وذهب إلى طلعت فريد وزير الإعلام في حكومة عبود، وكان بينهم معرفة، فطلب منه طلعت المسفر إلى مدنى مسئولاً عن الإعلام الرياضي هناك، وفي اليوم التالي وبينما هو وجامعة خليلي ذاهبان إلى وزارة الإعلام، توقف في البنك العربي لنقدم إستماره طلب وظيفة، وكان المدير أردنياً، وبعد مقابلة قصيرة أرسله موظف حلفاوي اسمه حافظ البارودي، فأجلسوه إلى طاولة وسلموه الشغل فوراً، فبدأ العمل، وبعد أكثر من ساعة تذكر أن جامعة خليلي ينتظره في الخارج، فذهب وقال له (انت ممكن تمشي، أنا إشتغلت)، ثم ذهب إلى طلعت فريد وأعذر عن السفر إلى مدنى بحجة الوظيفة في البنك.

فطلبوه منه تدريب الملاكمه وألعاب القوى في الفريق القومي، ثم تقرر أن يسافر الفريق القومي إلى الرياط في الدورة العربية. فرفض البنك . فقامت (شكلة) بين البنك والوزارة. وتعاملت الوزارة بأسلوب العساكر فرفض البنك وسمح له بالسفر، وفي الرياط ، ونتيجة الفساد والإستهانه الذي يصاحب المسؤولين السودانيين فقد تم إختلاس الميزانية المخصصة للاعبين ولم يتم تجهيزهم كما يجب، فقد زودوا فريق الجري للمسافات المتوسطة والطويلة بأحذية (باتا) الرخيصة والتي لا تناسب تلك الرياضة، فلم يتمكن اللاعبون من احراز أي نتيجة، وقد وصل بعض اللاعبين إلى نهاية الخط وهم حفايا بعد أن تمزقت تلك الأحذية الرخيصة، وعندما عاد الفريق قدم عبدالقادر إستقالته إحتجاجاً على ما حدث.

بينما هو يعمل في البنك العربي التحق بالقسم الليفي في المعهد الفني (جامعة السودان حالياً) . وفي 1967 تحصل على الدبلوم العالي من معهد المصارف (الدفعة الثانية في المعهد). وفي 1971 كان مقرراً أن يسافر إلى لندن من قسم المحاسبين القانونيين ولكن صدر قرار جمهوري بمنع السفر. في 1973 إننقل إلى بنك النيلين فرع الأمم المتحدة، وبعد التدرج في وظائف إدارة البنك. وفي 1981 أنتدب لمدة 4 سنوات لتأسيس بنك التنمية الشعبية، حيث تم تأسيس 4 فروع.

في 1988 أنتدب مرة أخرى لتأسيس بنك العمال. ولا تسمح القوانين بإنتداب الموظف الحكومي مرتين. ولكن تدخل د. بشير عمر وزير المالية في ذلك الوقت واستعمل حق الوزير في إنتداب عبدالقادر مرتين، فأسس البنك وعمل مديرآ حتى 1993 . وبعد مجاهدة بينه وبين بعض الإسلاميين أحيل إلى المعاش.

في نفس العام 1993 سمع من الإذاعة وبصوت رئيس الجمهورية عمر البشير تعينه مديرآ للإتحاد التعاوني لولاية الخرطوم، وفي صباح اليوم الثاني سافر إلى بدين تبرياً من الوظيفة. فأرسل إليه يوسف عبدالفتاح نائب الوالي ومسنول العركة التعاونية في الولاية مذكرة صغيرة تقول (ممكن تقدر هناك سنة لكن حتجي تستلم التعاون). فعاد وذهب إلى اللواء الوزير نائب رئيس الجمهورية. فأفهمه الوزير أن هذا القرار تكليف ولا بد له من التنفيذ، فاستفسر عبدالقادر عن المدة. فقال له الوزير بالأشكر (سنة دج بتيفي) يعني حتى تقدر خمسة سنين، فذهب إلى يوسف عبدالفتاح. وكان يوسف يعرف راي عبدالقادر في إدارة التعاون التي كان هاجم فيها الفساد، فقال له يوسف أنه تم تعينه حتى يعارض الفساد، فأشرط هو تطبيق شروط البنوك التجارية في التعاون. فلم يمانع يوسف، وفور إسلامه العمل اجتمع ببعض الموظفين وطلب منهم الذهاب إلى 3 بنوك واحضار شروط العمل فيها. وخلال 48 ساعة تم تعديل شروط العمل فتمت الموافقة بكل إمتيازات موظفي البنك، وكان كل ذلك حافزاً لهم للالتزام الكامل بمواعيد العمل وترك التسيب، وأخذ الإتحاد التعاوني في تطور لا مثيل له، وتم استيراد عدد من المطاحن من الصين. ثم مصانع زيوت ومصانع صابون وجرا肯 وأفوان آلية من تركيا، وكان ذلك بداية التبادل التجاري الكبير بين تركيا والسودان، فقد مهد له هو بصفته المصانع، وأصبح الإتحاد التعاوني أحد أنجح المؤسسات في الدولة، ولكن (السوس) الذي يصيب كل نجاح زحف على التعاون، فقد تامر أصحاب العمل وإتحاد الصناعات

على هذا النجاح، فجاء توجيهه من أمانة التنظيم الى عبدالقادر بقفـل هذه المصانع وشراء المواد من مصانع التجار وتوزيعها على التعاونيات، بحجة أن التجار شريحة لا يمكن الاستغناء عنها وعن دعمها، وهكذا أحـبـض ذلك النجاح الاقتصادي الكبير، وقد تطورت المواجهة بينه وبين الجهات الفاعلة في الدولة وتم قـفـل المطاحن والمصانع التي تحولـتـ الي خرابـاتـ يـنـعـقـ فيهاـ الـبـومـ ، وـتـقـفـ شـاهـدـةـ عـلـيـ الفـسـادـ الـجـائـرـ، وهـكـذـاـ قـدـمـ عبدالـقـادـرـ إـسـتـقـالـتـهـ منـ التـعاـونـ، حـتـىـ مـعـاـشـهـ الرـسـميـ منـ الـبـنـكـ (وـمـعـهـ آخـرـونـ)ـ تـوقـفـ عـنـدـمـاـ باـعـواـ الـبـنـوـكـ، وـقـدـ رـفـعـواـ دـعـوـيـ أـمـامـ الـمـحاـكـمـ وـكـسـبـوهـاـ، وـلـكـنـ رـأـيـ مـحـاـفـظـ بنـكـ السـوـدـانـ أـكـبـرـ مـنـ الـقـضـاءـ فـرـضـ تـنـفـيـذـ قـرـارـ الـمـحـكـمـةـ، وهـكـذـاـ تـرـكـ كـلـ شـئـ وـتـرـغـبـ لـرـعـيـةـ أـبـنـاءـهـ وـأـحـفـادـهـ، أـلـاـ أـبـقـاهـ اللـهـ لـهـمـ وـأـبـقـاهـمـ لـهـ.

### محمد شريف فضل حاكم

وهـذـهـ سـيـرـةـ شـخـصـيـةـ أـخـرـيـ منـ بـدـينـ، هوـ السـيـدـ /ـ مـحمدـ شـرـيفـ فـضـلـ حـاـكـمـ، وـهـوـ مـوـالـيدـ 1940ـ مـيـلـادـيـ، تـلـقـيـ تـعـلـيمـهـ الـأـوـلـيـ فيـ مـدـرـسـةـ بـدـينـ الـأـوـلـيـ، ثـمـ أـرـقـوـ الـوـسـطـيـ وـالـتـيـ عـمـلـ فـيـهـاـ السـيـدـ عـزـالـدـيـنـ السـيـدـ مـعـلـمـاـ، وـرـبـماـ دـرـسـ السـيـدـ مـحمدـ شـرـيفـ، ثـمـ إـنـتـقـلـ السـيـدـ مـحمدـ شـرـيفـ إـلـيـ مـدـرـسـةـ وـادـيـ سـيـدـنـاـ الثـانـيـةـ، حـيـثـ بـدـأـ نـشـاطـهـ السـيـاسـيـ فيـ تـلـكـ المـرـحـلـةـ مـنـضـمـاـ إـلـيـ حـزـبـ الـأـمـةـ، إـلـتـحـقـ بـكـلـيـةـ الـآـدـابـ جـامـعـةـ الـخـرـطـومـ، وـكـانـ مـنـ الطـلـابـ النـشـطـينـ تـحـتـ رـايـةـ حـزـبـ الـأـمـةـ فيـ اـتـحـادـ الـطـلـبـةـ، وـكـانـ مـنـ الـذـينـ شـارـكـواـ فـيـ الـقـيـادـةـ الـطـلـابـيـةـ الـتـيـ سـاـمـهـتـ فـيـ إـسـقـاطـ نـظـامـ عـبـودـ الـعـسـكـريـ، تـخـرـجـ مـنـ الجـامـعـةـ فـيـ الـعـامـ 1968ـ، بـدـأـ حـيـاتـهـ الـعـمـلـيـةـ ضـابـطاـ إـدـارـياـ، وـبـعـدـ الـمـصالـحةـ فـيـ 1977ـ مـثـلـ الضـبـاطـ إـدـارـيـنـ فـيـ مـجـلـسـ الشـعـبـ لـدـورـتـيـنـ مـنـ مـوـقـعـهـ سـكـرـيـتـاـرـيـاـ للـضـبـاطـ إـدـارـيـنـ، بـعـدـ إـنـتـفـاـضـةـ أـبـرـيلـ 1985ـ تـرـشـحـ فـيـ الدـائـرـةـ 57ـ دـنـقـلـاـ الشـمـالـيـةـ (ـيـفـيـ أـرـقـوـ وـالـحـفـيرـ)، ضـدـ مـرـشـحـ الـجـمـهـيـةـ إـسـلامـيـةـ دـ.ـ عـبـدـ الـوـهـابـ عـثـمـانـ وـالـأـسـتـاذـ عـلـيـ مـحـمـودـ حـسـنـينـ مـرـشـحـ الـحـزـبـ الـوطـنـيـ الـإـتـحـادـيـ، وـلـكـنـ لـمـ يـحـالـفـهـ الـحـظـ حـيـثـ فـازـ مـرـشـحـ الـجـمـهـيـةـ.

فـيـ الـعـامـ 1987ـ نـالـ ثـقةـ رـئـيسـ حـزـبـ الـإـلـمـةـ وـرـئـيسـ الـوـزـرـاءـ الصـادـقـ الـمـهـديـ وـعـيـنـ نـائـبـاـ لـحاـكـمـ الـشـمـالـيـ وـإـسـتـمرـ فـيـ ذـلـكـ الـمـنـصبـ حـتـىـ تـشـكـيلـ حـكـومـةـ الـوـفـاقـ الـوطـنـيـ الـتـيـ بـمـوجـهـاـ دـخـلـتـ الـجـمـهـيـةـ إـسـلامـيـةـ الـقـوـمـيـةـ الـسـلـطـةـ.ـ عـرـفـ عـنـهـ الـوـطـنـيـةـ الـصـادـقـةـ وـالـإـلـحـاـصـ الـشـدـيـدـ لـحـزـبـهـ وـمـبـادـيـهـ، وـقـدـ كـانـ رـحـمـهـ اللـهـ عـفـيـفـاـ مـتوـاضـعـاـ لـمـ تـفـسـدـ إـغـرـاءـاتـ السـيـاسـةـ وـالـمـنـاصـبـ.

### الأـسـتـاذـ جـعـفـرـ عـبـاسـ (ـأـبـوـ الـجـعـافـرـ)



جـعـفـرـ عـبـاسـ سـيـدـ أـحـمـدـ حـاجـ شـيـخـ مـوسـىـ حـاجـ، وـلـدـ فـيـ الـخـرـطـومـ بـحـرـىـ، فـيـ يـوـمـ ماـ فـيـ سـنـةـ مـاـ مـنـ الـقـرـنـ الـمـاضـيـ، وـقـدـ ضـاعـ تـارـيـخـ الـمـيـلـادـ بـيـنـ الـخـرـطـومـ بـحـرـىـ الـتـيـ وـلـدـ هـاـ وـجـيـزةـ بـدـينـ الـتـيـ إـنـتـقـلـ إـلـيـهـ فـيـ طـفـولـتـهـ الـبـاكـرـةـ مـرـوـراـ بـكـوـسـتـىـ، حـتـىـ إـسـمـهـ تـبـدـلـ مـنـ جـعـفـرـ عـبـاسـ إـلـىـ جـاـفـرـ اـبـاسـ، ثـمـ تـبـدـلـ مـرـةـ أـخـرـىـ إـلـىـ إـبـوـ الـجـعـافـرـ فـيـ ظـرـوفـ غـامـضـةـ، وـأـبـوـ الـجـعـافـرـ يـقـولـ أـنـ يـتـذـكـرـ أـنـ مـوـلـدـهـ الـمـيـمـونـ كـانـ فـيـ شـهـرـ سـبـتمـبرـ، أـمـاـ السـنـةـ فـفـهـاـ خـلـافـ كـبـيرـيـنـ الـمـؤـرـخـيـنـ، إـذـ تـعـذـرـ عـلـىـ الـجـمـعـيـةـ تـحـدـيدـ الـعـقـدـ، مـنـهـمـ مـنـ يـقـولـ أـنـ ذـلـكـ كـانـ قـبـلـ الـثـورـةـ، وـلـيـسـ مـنـ

الواضح إذا كانت الثورة المعنية هي الثورة المهدية أو ثورة اللواء الأبيض، وهناك من يقول أن مولده كان قبل الحرب، ولكن أني العروب، يؤكد البعض أنها الحرب العالمية، ولكن الأولى أم الثانية، إن كانت الأولى ففي أي سنواها، يقول البعض أن ذلك كان بعد دخول فرنسا الحرب وقبل دخول تركيا العثمانية، والبعض الآخر يؤكد أن أبي الجعافر ولد بعد إنتهاء الحرب، غالباً أثناء أو بعد توقيع إتفاقية فرساي، وإذا كانا نعلم أن ذلك التوقيع كان في يونيو وأن مولد أبوالجعافر كان في سبتمبر، فذلك يعني أنه ولد بعد الإتفاقية، يبقى علينا أن نبحث عن السنة التي تمت فيها الإتفاقية، وبذلك يتم استبعاد أنه ولد بعد الحرب العالمية الثانية.

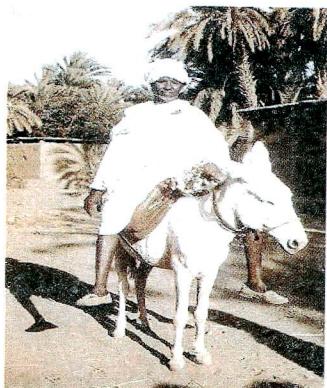
والده عباس سيداحمد، من قرية فيدي في شياحة تُشَى في جزيرة بدین، تمرد على العمل الزراعي وقرر أن يلتحق بشقيقه الأكبر الطيب في (بر مصر) كما كانوا يسمونها، وبعد عناه ووعناء تمكّن عباس من الوصول إلى الإسكندرية حيث أخيه، ولكن عباساً لم يهنا بالمدينة البحريّة المنوّطة بالمغارة، إذ قرر الطيب إرجاع عباس إلى بدین ليقوم بحراسة (الغاب). وبدلًا من العودة إلى بدین وصل عباس عن طريق الخطأ المعتمد إلى الغرطوم بحرى، حيث أخذ القطار إلى هناك، كما أخذ مصطفى سعيد إلى محطة فكتوريا، ونجح عباس في الحصول على وظيفة بحار في باخر مصلحة النقل النهري التي كانت تعرف باسم "الوابورات".

بعد أن استقر عباس سيداحمد في الغرطوم بحرى واستقدم زوجته آمنة فقير من بدین، وبعد ولادة ابنهم جعفر عادت الأم مع أطفالها إلى بدین بعد قضاء فترة وجيزة في كوسٌتى التي كانوا قد انتقلوا إليها بعد ولادة جعفر، وفي بدین التحق جعفر بمدرسة بدین الأولية، وبدلًا من أن يواصل تعلم العربية فقد نسيها وتعلم التوبية، ثم انتقل إلى المرحلة المتوسطة في البرقيق، حيث دخل في عشق غارم أو غرام معشوّق مع اللغة الإنجليزية، التي أصبحت مادته المفضلة، وقد برع في الإنجليزية بقدر خيالته في الرياضيات، وبجانب الإنجليزية يقال أبوالجعافر أنه بدأ في حفظ الكثير من الشعر العربي، ومع احتفاء الناظر محمد بشير الأحمدي بتفوق أبوالجعافر في الإنجليزية إلا أنه أيضًا شجعه على إجاد اللغة العربية وخاصة الشعر العربي، ثم أهداه ديوانًا الخمائل والجدواں لإيليا أبو ماضي فقام أبوالجعافر بحفظ قصائد الديوانين، ثم حفظ بعض شعر المتنبي، (فطلع) هذا الشعر الكبير في رأسه، وسبب له حمى شعرية، فأعتقد جعفر أنه أصبح شاعرًا، وهكذا إستدعى شيطان الشعر الذي نزل عليه في حصة اللغة العربية، فأخذ القلم وكتب في ورقة أمامه هذا البيت من الشعر (من نارك يا جاق == أنا طالب المطاف) وفعلاً جاءته المطاف ولكن في شكل علقة لاطمة من مدرس اللغة العربية، فأعجب بموهبة أبي الجعافر الشعرية في مهدها، وتحولت تلك الموهبة من الشعر إلى الكتابة الساخرة، فبلغ فيها أبوالجعافر شأواً عظيماً، ولبيت مدرس اللغة العربية عاش ورأى تلميذه أين وصل.

والدته هي آمنة حامد شوكت (فقير بحرية)، من أسرة دينية عريقة، وهي أسرة معروفة في بدین، وما يزال مسجدهم العريق قائماً بجوار قبة الشيخ (فقير بحرية).

من البرقق الوسطى إننقل جعفر إلى وادى سيدنا الثانوية . ثم جامعة الخرطوم ، ثم بدأ حياته العملية أستاذًا للغة الإنجليزية في مدارس السودان ، ثم بدأ سنوات الغربية الطويلة ، وما زال يكافح (ليكون) نفسه كما يقول ، عمل في تلفزيون بي بي سي ، وبعد سلسلة وظائف أخرى انتقل إلى قناة الجزيرة الفضائية حيث يعمل الآن في وظيفة مرموقة يساعده لعب الكثرين ، ما زال ينشر مقالات يومية في عدد من الصحف الخليجية والسودانية ، سمي عموده الصحفي (زاوية منفرجة) ولكنها قليلاً احتدلت مع إحداث الأحداث في العالم ، فأصبحت (زاوية حادة) وما لا يعرفه الكثرين هو أنه الكاتب الساخر العربي الوحيد (رغم انه نوبي تعلم العربية في المدرسة كلغة أجنبية) الذي أدرج في قائمة الكتاب الساخرين من مختلف القارات منذ مطلع القرن التاسع عشر.

### الزعيم عكاشه ادريس صالح



أما والدنا الزعيم عكاشه فرجل ولد بترعة زعامية أصيلة، وطموح سياسي كبير، ولكن غلبته الأممية. كان ذو بنية برمانية، ولو وجد فرصة تعليم لكان له شأن آخر، ترشح لعضوية البرلمان في أحد الانتخابات . ولكنه إنسحب لصالح مرشح آخر ، وكانت داره منزلًا لكبار زوار الجزيرة، وفي بيتهرأينا الدكتور محى الدين صابر بكدوسه الإنجليزي ونحن صغار. توفي الزعيم رحمة الله ولسان حاله يقول (أضعوني وأي في أضعوا)، رحل وترك كوكبة من أبناء ببرة ذوي أيد حاتمية بيضاء، أفاض الله عليهم من فضله ففضلوا به على من احتاج من ذوي القربي والغرباء، وهوسمى نفسه

زعيمًا بقولته الشهيرة {أنا زعيم شبة كما أن موسوليبي زعيم تشي } ، وله الكثير من الطرائف الخفيفة التي يرويها الشباب، ولأخي عبدالله فقير كثير من المواقف مع الزعيم، وقد جاءني هذا الحوار من حفيده محسن عبداللطيف، وهذا الحوار يمثل شخصية الزعيم في كثير من النواحي، وقد تحدث محسن مع جده في العالم الآخر، قال محسن: ((جي الزعيم عكاشه حينما اتصلت به في عالم البرزخ وعرفته أن ود الشيخ فقير علي كتب عن جزيرتك بدین في المدونات العنكبوتية العالمية، قال: مين فهم؟ قلت محمد، قال: لا إن كان محمد معليش ... قال: ماذا كتب عن بدین ... قلت سرد تاريخي بأسلوب سلس ورائع، عن تاريخها وقصصها وأحاجيتها... قال: قصصها عرقناه، أون أحجيتها ده شنو، أنت ياولد وماهبطل فلهمتك دا، معليش ياجدو زلة لسان ... قال: بعدين تعال أنت يا إبني أنت محمد فقير ده مش الكان عايز يهدم الكعبة الجنب الجامع حقنا .. قصدك القبه ياجدو ... قال: سبحانك يا دائم، آهن أنتو غيرتو أسمو ولا شنو ... قلت لا ياجدو داك شيخ طويل، ياجدو محمد بيكتب كلام جميل عن بدین وشعر من عندو، وكلام من هنا وهناك، زي ناس الطيب صالح والفيتوري .. قال: الطيب صالح كان صحي . وهو جانا هنا في الآخرة، وجاه سلم علي ، لكن الفيتوري ده ما عرفته، كان فوقه فايدة كنت عرفته .. بعدين وين أخوههم الوستاني عبدالله؟ لسع بيعاكيني؟، قلت برضو هو في أمريكا ... قال: أمريكا أمريكا، إنتو هسع عارفين أمريكا يعني شنو؟ قول ليه يا أبيني

يامحمد، بدين لومازتها قريب... زرها ياولدي ، كلكم زورا بدين، إنتو الألقاب، نحن عملنا العلينا ولاقينا رب العزة والجلة، إنتو عليكم الباقي)).

### الأستاذ سيد ادريس صالح شر

ومرة أخرى أنك على أحاديث الأمجاد جعفر عباس. لم يكن بمقدوري الكتابة عن سيد ادريس. لعدم معرفتي به، ولعدم وجود مصادر وثيقة توفر عنه أية معلومة، وهذا مقال كتبه أستاذنا جعفر في أحد أعداد جريدة الرأي العام، أورده هنا كما هو:

((كان مقالياً الأخبار عن صالح شير، الذي يعتبر بحق أول داعية إسلامي في جزيرة بدين.. قد يغضب هذا الكلام بعض أفراد عائلتي التي تحمل لقب «فقير نسي» أي أحقاد الفقهاء (الذين اضطلاعوا بتعليم القرآن وتعمير المساجد لعدة قرون). فمنذ أن نال الدرجات العلمية الرفيعة في العلوم الدينية جعل صالح شير الشاغل توعية الناس بأمور دينهم مع الانخراط في أمور دنياهم بالعمل معهم في الحقول وغيرها. الصالح هذا أخ يعيش الآن في الحاج يوسف، ويعاني من ويلات تعقيدات السكري وأسمه سيد ادريس صالح شير.. كان يسفي في المدرسة الابتدائية بعام أو اثنين، ولكننا كنا نتعامل معه كـ «مدرس» فقد كان فارع القوام وفصيحاً يقول كلاماً «كبيراً» بالعربية والبرطانية.. كان ذكياً فطناً و«لا يوق» وينشف ريق المدرسين بأسئلة صعبة لأنه لم يكن بيفاء مثلنا تردد كلام كتب الحكومة بلا نقاش.. ثم اختفى من شاشة راداري بعد أن التحق بمهد التربية وصار مدرساً في المرحلة الابتدائية، والتقيت به مجدداً وأنا طالب بجامعة الخرطوم.. وما أدرك ما جامعة الخرطوم في ذلك الزمان.. كان من يتخرج منها يجد القبول للدراسات العليا في كيمبردج واوكسفورد وهارفارد بالمزكوة وبلا حاجة إلى انترفيو او معادلة شهادة، وكنا نمارس الاستعلاء على الدارسين في الجامعات الأخرى أجنبية كانت ام محلية.. شخصياً كنت اعتبر نفسي قاراناً نهماً لكل صنوف الكتب، ثم اكتشفت اني «ولا حاجة» مقارنة بسيد ادريس.. فرأى كل شيء من مقدمة ابن خلدون إلى روایات هندي عوض الكريم (كان رجلاً شاطراً يصدر كتاباً يحمل كلمات الأغنيات الرانجة.. و.. بالمرة يكتب قصة طويلة مسلسلة بالاشتراك مع صديق له يدعى مصطفى الكضبي) وبعد نحو 15 سنة في التدريس قرر الحصول على درجة جامعية وجلس لامتحان الشهادة ونجح بتفوق.. تذكر أنه خريج معهد تربية ينبع مدرسي المرحلة الابتدائية وبالتالي فحصلته من الانجليزية مثلاً تحت الصفر بقليل.. ولم يكن بمقدوره لاعتبارات مالية التفرغ للدراسة الجامعية.. ومكذا التحق بكلية القانون بجامعة القاهرة فرع الخرطوم حيث الدراسة مسانية.. وطبعاً وزارة التربية تعجبك في النك و التنقلات العشوائية للمعلمين.. بعد التسجيل في الجامعة وجد سيد شير نفسه منقولاً إلى مدرسة في دارفور، فاقتربنا عليه أن يستقبل من التدريس والتفرغ للدراسة مع البحث عن عمل آخر (وكانت الوظائف وقتها بالهبل لكل ذي جدارة)، ولكنه توجه إلى دارفور وظل يأتى إلى الخرطوم مع موعد الامتحانات الجامعية وأكمل دراسته في أربع سنوات بتقدير ممتاز.. ثم «عملها» مرة أخرى.. جلس لامتحان المعادلة ونجح على الفور.. هناك من تخرج في الجامعة قبل 30 سنة ولم ينفعوا في ذلك الامتحان إلى يومنا هذا.. خذ في الاعتبار أن الامتحان كان بالإنجليزية وسيد شير كان شبه ماهي في تلك اللغة.

محمد محي الدين أحمد

تاریخ المیلاد: 1940 م . الولاية الشمالیة . دنقالا . جزیرة بدين

المراحل الدراسية:

المرحلة الأولى: مدرسة يدين الشمالية ببنين

الوسطى والثانوى: الأزهر الشريف

المراحل الجامعية: كلية الإعلام . جامعة الأزهر الشريف

درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة اوليا نوفسكي 1995

24 of 144

1-105-1-N

جعفر بن محبث

## مذکور آندره سبز و مسخر بیوگاره انتقام و پیشگیر

عضو مجلس الشعب ١٩٨١ م

عضو المجلس الوطني دوره 1996 عن الدائرة 30 سرق النيل

مؤسس الجمعيات الخيرية بشرق النيل

مؤسس داخلية الطالبات بالخرطوم بحري  
مؤسس نقاط بسط الأمن الشامل شرق النيل  
مؤسس دور اللجان الشعبية شرق النيل  
مؤسس مركز الأمومة والطفولة وتنظيم الأسرة  
المدارس الإبتدائية التي أسسها:  
1. مدرسة الفاروق بنين 2. مدرسة تاجوج بنات 3. مدرسة الزهراء بنات 4. مدرسة الإمتداد جنوب بنات  
المدارس الثانوية التي أسسها:  
1. مدرسة ود المائع الثانوية التموذجية بنات 2. مدرسة ودالسائع الثانوية بنين شمبات  
3. مدرسة محمد محي الدين الثانوية التموذجية بنين (ود المائع الثانوية سابقاً)  
من مؤسسي مستشفى البان جيد بشرق النيل  
من مؤسسي مركز صحي الكمبيوتر بالحاج يوسف  
من مؤسسي الأندية الرياضية والثقافية شرق النيل  
من مؤسسي الأسواق المحلية شرق النيل  
من مؤسسي نادي جمعية سلناري الخيرية بالخرطوم بحري  
من مؤسسي نادي جزيرة بدین الخيرية بالخرطوم بحري  
رئيس تحرير جريدة رايات العز  
رئيس نادي الحاج يوسف  
رئيس جمعية جزيرة بدین الخيرية  
رئيس جمعية سلناري الخيرية  
رئيس لجنة توزيع الأراضي السكنية لإمتداد الحاج يوسف  
رئيس لجنة توزيع المشاريع الزراعية بمشرع ارقين بالولاية الشمالية 2006 م  
رئيس الإتحاد العام لمعاشي الخدمة المدنية بالسودان  
مؤسس دار اتحاد معاشي الخدمة المدنية شرق النيل  
توفي في 18 / 6 / 2007 .

الخليفة محمد عثمان الخليفة يعتبر اول شخص من جزيرة بدین تخرج من الأزهر الشريف، حسب ما جاء في منتديات بدین، فقد تخرج العلامة محمد عثمان خليفة من الأزهر في 1914 وساعده في ذلك تقلد والده عثمان الخليفة لأب منصب كبير خلفاء السادة الأدارسة الذين كان لهم علاقة وثيقة بمشيخة الأزهر وتقلد بعد ذلك كبير خلفاء الأدارسة، وللعلم هو والد المرحوم عثمان الخليفة امام مسجد شبة الشرقية (مسجد الخليفة) رحمهم الله

جميعاً. أما أول من توظف في الدواوين الحكومية من أبناء بدين كان محمد أفندي . ومن هنا أخذ لقب أفندي الذي عرف به، ويقال أنه والشيخ عبد العزيز زمرواي كانا يدرسان في خلوة الشيخ فقير محمد احمد الكبير في فيدي، وهي خلوة عريقة جداً، وفي زيارة للمأمور الانجليزي للخلوة تم اختبارهما لحسن خططهما في الكتابة، وربما كان توظيفهم في اولى القرن العشرين، لأن الشيخ عبد العزيز زمرواي كان يعمل في مصلحة السكة الحديد وأحيل للمعاش في عام 1938 . وجدير بالذكر أن أول من تخصص في علم الإحصاء في السودان هو (صالح تور) واسمه الكامل هو صالح أحمد طه صالح تور ، من شبهة.

وفي الجزيرة شخصيات عرفت بالمبالغات، والتعليقات الساخرة، والموافق الطريفة، ودعنا نبدأ بعنوانا أدم ، وقد كان أدم رجلاً أمياً، لم يفتح الله عليه بعرف، إلا أنه كان يملك خبالاً واسعاً، وذهناً مبدعاً، لو وجد فرصة تعليم لكان روائياً شهيراً، كان يعتمد الكذب ويتجاهله بصدق وإصرار، بيدأ قصصه القصيرة، والتي كانت في منتهي الجودة من حيث العجك والسبك وترتيب الأحداث، بإبتسامة (ظاهرة)، تقول لك أنه يعرف أنك تعرف أنه كذاب، ولكنها يلمع لك أن تستمع له متغاضياً . فالمتهم ان يعكي هو وان تستمع انت، والقضية كلها بالنسبة له ترفية، وكنت كلما وجدته اتعمد الجلوس بجانبه لأن له بعض التعليقات الساخرة والجرينة جداً والتي كان يطلقها بصوت خافت، وكان يحتفي بي ويعتبرني مستمعاً جيداً ومثاليًا، ومرة ونون جلوس بجانبه، اخذ الناس يتحدثون عن قطع الأرضي وأسعارها، فجاء أحدهم من المسجد بعد الصلاة، ولما وجد الناس يتحدثون عن الأرضي طلب منهم السكوت، فانلأ ان الإمام قال ان كل الناس سوف يحملون أراضيهم علي رفوسه أثناء الحساب يوم القيمة، فما كان منه إلا ان سخر من هذا القول وعلق بصوت خافت (طيب الناس حيشيلو الأرضي فوق رءوس وحبيقو وين؟ ، يا غشيم إنت وإمامك ) . وحكي انه مرة غضب من شخص عاكسه امام جمع من الناس، فرفع المسكين وقذف به الي أعلى، فانطلق كالصاروخ حتى اخترق في الفضاء، فانتظره الناس وهو في دهشة حائزون، فلم يظهر، وبعد ان يأس الجميع وقرروا الذهاب، إذا بعذاء المسكين يرطم بالأرض، ويتحول الي قطع صغيرة، وإذا به يظهر نازلاً من السماء، وما ان إقترب من الأرض ووُقعت عيناه عليه، حتى طار عائداً الي السماء، ولم ينزل المسكين حتى الآن . رحم الله عمنا أدم.

اما عمنا (مخтар شركابة) فكان لا يقل سخرية عن أي كوميدي معروف، يذكرك بفلسفه التشاؤم والإلحاد، او الشعراه الصعاليك. شخصية متميزة، نادر على طبقته، لو وجد فرصة تعليم، وصادق الطيب صالح، لقام بدور منسي تماماً، كان يعمل مزارعاً في جزيرة زراعية تابعة لجزيرة بدين، اسمها موقة، وكان الموسم موسم حصاد الفول، فجاء مختار الي المركب وهو يحمل علي حماره شوال فول واحد، هو كل الذي خرج به من الموسم، ثم وضع الشوال في المركب، واستلقي علي جنبه متكتناً علي الشوال، وانحني برأسه مغمضاً عينيه، فسألته احدهم، اها يا حال، الفول السنة دي طلع كم ؟؟، فما كان منه ، ودون ان يرفع راسه او يفتح عينيه الا ان قال، وهو يتتبّع علي الشوال: والله ياخي أرقن حسابمو . يعني لسع ما حسبته) . كان ساخراً، حاضر البدئية بصورة مذلة، وكان يتحدث

مع نفسه في الطريق، معلقاً علي كل الذي يراه، وكان يأتي الي بدین يوم الجمعة للصلوة. كان الدين كله يتلخص عنده في ركعتي الجمعة، يأتي بنفس ملابسه التي يعمل بها (عربي وسروال وطاقة)، ويطبق الجلابة ويضعها على كتفه مع العممة، ويؤدي الصلاة ويعود الي مزرعته دون ان یهیش الجلابة والعممة، وكما قلت كان یعمل مزارعاً في جزيرة موقة، وله زرع وبقر وبهائم، تحتاج الي رعاية يومية، وذهب اليه واحد من اصحاب الدعوة، الذين یخرون في سبیل الله، ویسافرون بالأسابيع والشهور، الي باکستان وافغانستان والشیشان، (وكان السودانستان استقام امره). زاره شیخنا الداعیة، وطلب منه الخروج في سبیل الله معهم، فأعترض العم مختار بموضوعة شديدة، موضحاً ظروفه العملية التي لا تسمح له بالغياب، الزرع والبهائم، من يتركهم ویسافر، فقال له صاحبنا الداعیة (اتركهم الله وسافر) فقال له مختار (إن أاما بوم خالصا) وهي جملة تقویرية تفید بعدم موضوعية الطلب . رحم الله العم مختار واجزل له العطاء.

اما صاحبنا الثالث، فمن أكثر الناس إستهبالاً علي سطح الأرض ، يذکرک بالمثل المصري أحمد بدیر، ویومک سعید اذا لاقيته، بيدأ معک الحديث متفضلًا عليك برتبة ملازم ثاني، وبعد دقیقتین من الكلام المتواصل، والذي لا تفهم منه شيئاً. یعطي لنفسه الحق في ترقیتك الي ملازم، ثم یخاطبك قائلاً، شفت يا سیادة الرائد، وقبل ان تستمتع بهذه الترقیات السريعة، یقنعنک بانک عقید، ثم یواصل حديثه مذکراً ایاك بذلك اليوم الذي اصبحت فيه عمیداً، وكيف انک من کرمک الحاتمی ذبحت توراً أکله الناس، ودون إکثراث لدهشتک یواصل حديثه المتسارع قائلاً: تعرف يا سعادة اللواء، وهکذا في خمس دقائق تكون أنت قد دخلت الكلية الحربية وتخرجت منها ووصلت رتبة لواء، ویكون صاحبنا السعید قد تحصل منک علی (حركة) وذهب لاستھمال ضحیة أخرى. أما إذا عملت نائم، ولم یجد منک شيئاً ، فأنت في رأي صاحبنا السعید. (أمة متقللة أرض الله ساكت). ویسافر (صاحب السعادة) بطريق عجيبة، فيقول لك أنا ماشي بورتسودان لكن يمكن أخشن الكويت یہنالك، أو يقول أنا ماشي کسلا لكن يمكن أخشن لبیبا یہنالك، فالنسبة له كل الطرق تؤدي إلى الاستھمال.



اما أشهر الكوميديين على نطاق النوبة فهو (سید تلول)، هو حکیم النوبة وجحافم ، من أبناء جزيرة صای ، من مواليد بداية العشرينات من القرن الماضی ، سافر إلى مصر في 1937 م ، عمل هناك لمدة 10 سنوات . بعدها عاد إلى صای وتزوج ، ثم عاد إلى مصر وعمل بالسكة حديد ، ثم إلى صای ، ثم (شد) إلى الخرطوم ، عمل بمطار الخرطوم . وإنطلق منه إلى العمل بمطار حلفا حتى عام 1964 م ، حين غرفت مدينة حلفا عاد إلى صای ، وكما ینسب معظم الفکاهات في العربية إلى جحا فکذلك ینسب معظمها إلى سید تلول في النوبة . وقد لاقيته شخصياً في عربى عندما کنا ندرس بها ، والحديث عنه وعن نکاته يحتاج إلى مجلد كامل ، والنکات تفقد (روحها) عندما تترجم ، وقد حاولت ترجمة بعض نکاته ، ولكنني صرفت النظر عن كتابتها هنا ، لأن الترجمة لا تعبر عن روح النکته.

فيما برق ليس الكوخ داري وإنما رمانى إليه الدهرً متذ ليا.

فهل فيك من ماء المعرَّة قطرة، تغيث بها ولهاًن ليس بسال.

تمثلت قول الحكيم الفيلسوف وأنا وابني علي، أو إبني علي وأنا، نعافر Snow لتخليص عربتي من الثلوج الذي ارتفع  
لعدة سنتيمرات عن الأرض. قال Snow shovel قال، مالي أنا وما للإسنوا، مالي أنا وما للشفل، مالي وما لهاًن  
الصحيح أصلًا، مالي وما لهاًن الشقاوة، كنت هناك مرتاحاً، هناك في بدین، جزيرة في شمال السودان، هناك ولدت  
ونشأت، طفولي وصباي وبداية شبابي، هناك في ذلك الطقططس الدافن الحميم، جزيرة في منتصف النيل، يحيط بها  
الماء من كل جانب، Swimming pool طبيعي يا إبني، تنزل وتسير مع الأسماك والتماسيع والسلاحف، تشرب من  
نفس الماء ولا يصيبك ضرر، لا برد هناك ولا ثلوج ولا جليد، جزيرة (ممضة) إذا قسنها بالمعلميات العصرية، ولكنها  
جزيرة منعشة جداً في (العصريه). تخرج من البيت فيتقاذك الهواء رقيقاً نظيفاً منعشأ، هواء نقى، مشبع برائحة  
الجروف، لم يتلوث بسموم العربات ولا الموررات، ولا المصانع ولا Green House ، فلا قرين هاوس هناك ولا وايت  
هاوس، هناك طين هاوس، بيت من الطين، مسقوف (بالأمبوب) ومروق السيسبان وجريد التخل، دافن حميم شتاًء،  
بارد لطيف صيفاً، هناك يا إبني تسير الحياة بهدوء، علي فطرتها، دون عجلة، تخرج من البيت فتجد الناس هاشين

باشن، ضاحكين مبتسمين :

و عم عبد الرحيم ما بيغير زعل

كل الناس هناك ما تخبر زعل

يزعلوا لشنو، يزعلوا من منو

كل الناس هناك، كل الناس صحاب

كل الناس أهل .

نعم، كل الناس صحاب، كل الناس أهل، ولكنك لن تعرف عم عبد الرحيم، ولن تعرف الحاج ود عجبنا، ولا حميد  
ولا الفرجوني ولا مصطفى سيداحمد :

الحاج ود عجبنا في الفريق يا هو الراكزة

هو البشيل حمل الرضااعة، وعندو كلمة علي الجماعة

في الطريق باقلينا .. تاية، وكل طيب ليه غاية

للضعف تلقاء سائد، وبقهر الكعب المعاند

وللضيوف ديوانو فاتح، ديل چلو، وديل يقومو

عننا الحاج ودعجبنا، من سنين ايام جهلو

يسأل المولى السلامة، وسترة الحال والكرامة

نعم يا بني، عندنا عم عبدالرحيم، وعندنا الحاج ود عجينا، في كل بيت، في كل حي وكل حلة، كبار المقام، محترمون مبجلون، اصحاب كلمة علي الصغير والكبير، بسطاء انقياء، عفيفو القلب واليد واللسان، ما كانوا ليهانوا، ولكن جاءهم زمان تعيس اهينوا فيه، ولن يرحم الله ولا التاريخ من اهانوهم، وتلك قضية اخري، وما أكثر القضايا الأخرى.

هناك يا ابني يعيش الناس في امان، يقضبون أغراضهم بتأنى وهدوء، والوقت هناك غير محسوب، واليوم طول طويل، وليس ك أيام هذا البلد المستعجلة، Shovel. يا ابني، فأنت مستمتع بهذا البرد وهذا الاسنو، أما أنا فقد تجمدت أطرافي، واصطككت أضرامي، وتوقف الدم في عروقي، وليس لي في هذه متنة، أنا لا أتنمي إلى هنا، لا أتنمي إلى هذا الطقس، إنما أتنمي إلى هناك ، إلى بدین، حيث لم تكن فيها عربات، فلم نكن نحتاج إليها، ماذا نفعل بها؟ المشاوير تُقضى على الأرجل، مشياً على الأقدام، او علي ظهور الدواب، هناك الحمار يعتبر *The man's best friend* وليس الكلاب كما هنا، لم يكن في الجزيرة بوليس، فالناس لا يخالفون القانون أصلًا ، لم يكن في الجزيرة مستشفي ولا Family Doctor ، ولا اسعاف ولا مطافئ ولا 911 ، لم نكن نعرف الحكومة، ولا الحكومة تعرفنا، تركتنا الحكومة في حالنا، وتركناها في حالها، رغم كل هذا التهبيش، كانت الحياة سهلة ويسيرة، لا عناء فيها ولا شقاء، فيا برق ليس الكوخ داري وإنما .... ، أقرأ أبيات المعري علي ابني، ذو الثلاثة عشر عاماً ( حين كتبت هذه الفقرة وقد أكمل عامه العشرين الآن ) ، وهو يقول لي *Dad, what are you talking about?* . فاقول له *never mind, never* ، فأنت لن تفهم، وأنا ماذا فعلت؟، ماذا صنعت بك؟، أتيت بك إلى هنا وما تكمل عامك الأول، ويبدو ابني سوف أتركك هنا وارحل عن الدنيا، ولا ادرى انفعتك ام أصبتك بضرر، هل أذببت في حفك؟، هل كان يجدر بي ان اربيك هناك؟، ام ان هذا افضل، لست ادرى، ولكني ادرى اني سعيت للأفضل، للحياة الكريمة، من هناك، من بدین سافرت الي الخرطوم، بحثا عن حياة أخرى، تخيلناها افضل، ولما ( غرب حامد وشرق بلة )، تركنا الوطن بأكمله وإغترينا، وطاب لنا المقام في الخليج سنوات طوال، صعدت بنا الحياة وزلت، واستوت وتعرجت، أفرحت وأحزنت، ثم رمتنا الأقدار في ضواحي الإسكندرية،وها أنا الآن، اقف معك هنا، ألبس الكوفت والبوت والبهات والقلفل والإسكارف، وأعافر معك الإسنوا، هناك يا ابني، هناك في بلدي يا حبوب، نلبس العجلبية والتوب، ولكن أين هناك من هنا ، وأنت، ماذا تعرف عني، ماذا تعرف عن ماضي، ماذا تعرف عن أبي وامي، ماذا تعرف عن أهلي وعشيقتي، ماذا تعرف عن وطني، أنت لن تعرف شيئاً عن حلفا، ولا عن نمولي، ولا عن الجنينة، ولا عن الكرمك، وتلك أركان الوطن الأربع، أنت لن تعرف وردي، ولا مسونكيل، ولا فقن ونعي، ولا صواردن شو، وكما أنت لن تعرف وردي فإليك لن تعرف أبوأمنة، أبوأمنة حامد، ولن تعرف أنهم غنو، وما أحلي ما غنو، حينما إلتقوا في حلفا بام الصفار، النافرة الأليفة، وفي كرمي شايقة بشلوخا، وفي شندي بنات جعل، تايرات خودون زي فجراء اطل، وفي منكبات سمرا أبية، حلوة هندنوية، وفي قلب الجزيرة العلوة النضبرة، وفي الغرب أغيد، تراقص المشاعر مع دقة النقارة، وفي الجنوب ساحرات يمشين في السهل والغابة، أنت لن تعرف عبدالقادر سالم، ولن تفني معه لكردفان، أنت لن تعرف محجوب شريف، ولن تجلس معه في حضرة الوطن حيث يطيب الجلوس، وأنت لن تعرف ود المكي، محمد ابراهيم المكي، ولن

تشعل معه العقول قمحاً ووعداً ونفي، أنت لن تعرف ودالأمين، ولن تشدو معه لاكتوبر، ولن تتعلم معه من الأيام،  
أنت لن تعرف عثمان حسين، ولن تعمق معه الجمال، أنت لن تستمتع بذلك اللحن الشعبي الذي ينبعث من زمان  
الناس، وضيئن الوعد، وتفضي الخبر، لن يطريك صوت الطنبور في (بت البلد عرفت تحب) او (حتى الطيف رحل  
خلاتي)، لن يشلوك ذلك الصوت الأسطورة، صوت أبو داؤود، في زهرة الروض الظليل او آلة المجرح او هات لينا  
صباح، لن تعرف ابراهيم عوض، ولن (تجنن) النام معه طرباً، أنت لن تعرف الصوفى المذنب، ولن تستمع له وهو  
يحدثك عن النيل، سليل الفراديس، لن تعرف جماع، ادرس جماع، لن تمشي معه في مواكب الليل، حاسر الرأس،  
تستكشف معه من كل شيء جمالاً، أنت لن تعرف عنا شيئاً شيئاً، لن تعرف الفرقة والقرمصبصين، لن تعرف قطع الرحط ،  
لن تعرف الخمرة والدلكة، والطلع والدخان، أنت لن تعرف المجنوب، محمد المهدى المجنوب، ولن تقرأ غمامـ

الطلح، ولكنني أروي لك منه::

وحفرة بدخان، الطلاح، فاغمة؛؛ نندي الرؤاد في تلويناً وتعطيراً

مدت بنانا يه الجناء يانعة :: ترد ثوباً الى النهدن مخمسورا

قد لفها العطاء لف الغيم منتشرأً: يدر الدجى وروي عن نورها نوراً

**يزيد صُفْرَتِها لِمَا وَجَدَتْهَا :: صَفَّلًا وَنَاهِدَهَا المَشْدُودُ تَدوِيرًا**

آخر الدخان ليا ستراً فيعدها :: كدرة في ضمير البحر منسجوراً

أنت لن ترافق عمنا صالح جبريل الى كسل، ولن تزور معه حدائق العشاق، بين صب في حبه متلاش وحبب مستغرق  
ف، عنانق. أنت لن تعرف البادي ادم، ولن تكتب معه الشعر علي ضوء ثقاب.

انت لن تعرف كوش ولا كرمة ولا مروي ، لا نوباتيا ولا المقرة ولا علوة، لن تعرف بعانخي وتهارقا، لن تعرف السلطنة الزرقاء ولا سلطنة دارفور، لن تعرف تقلي ولا المسبعات، لن تعرف معركة القلابات ولا كوري ولا ام دبىكرات، لن تعرف على عبد اللطيف، لن تعرف حريق الملك في قلب الدخبل، لن تعرف الجسارة، حينما أستشهد في مدفعة عبد الفضيل، لن تعرف مهيره، ملهمة الفرسان جيلاً بعد جيل، لن تعرف الإمام المهدي، لن تعرف القرشي ولا التاية . انت لن تعرف عبدالخالق مجحوب، كل هؤلاء رايات فوق هامة الوطن، فوق رؤوس الجنادل، وجريد النخل، كلهم في صوت العاصفة، وصبرير الريح، كلهم في رمل الصحراء، وثمار الغابة، كلهم في كل عين وفؤاد، وأنت لن تعرف العيامي، محمد سعيد العيامي، ذاك شاعر يا بني مجبد، وما أكثر الشعراء المجيدين في بلادي، لا احصيهم، ولكنني

اقتطف لك من عهد جيرون :-

اقتبس من طول هم بات يعروني :::: يشير من لاعج الذكري وشجوني

منيت نفسي، أما لا يماطلني ::::ها زمانى من حين الى حين

الله، بصري، حسام الحادثات ولـ::: عزم أصدق به ما قد يلاقيني

ولست أرض من الدنيا وإن عظمت:: إلا الذي يجميل الذكر برضياني

وقد سلا القلب عن سلبي وجاراتها:: وربما كنت ادعوه فيعصيني  
يا بنت عشرين والأيام مقبلة :: ماذا تريدين من موعد خمسين  
قد كان لي قبل هذا اليوم فبك هوی :: احبهه وحديث ذو افاني  
ازمان امرح في برد الشباب علي :: مسارح اللهو بين الغرد العين  
والعود أخضر والأيام مشرقة :: وحالة الأنس تفري بي وتغريني  
في ذمة الله محبوب كفلت به :: كالريم جيداً وكالغورو في اللبن  
وانـت لـن تـعـرـفـ الـأـزـهـرـيـ وـلـاـ الـمـعـجـوبـ، لـنـ تـعـرـفـ قـادـةـ الـإـسـتـقـلـالـ فـيـ وـطـنـيـ وـلـاـ فـيـ الـقـارـةـ السـمـراـءـ، لـنـ تـعـرـفـ جـمـالـ  
عبدـالـناـصـرـ، وـلـاـ نـكـرـوـمـاـ وـلـاـ نـايـرـيـ وـلـاـ سـيـكـتـورـيـ، وـلـاـ سـنـقـورـ وـلـاـ لـوـمـبـاـ، اـنـتـ لـنـ تـعـرـفـ مـانـدـيـلـاـ، ذـلـكـ  
الـرـجـلـ الـقـارـةـ، جـديـرـ بـكـ اـنـ تـعـرـفـهـ، وـسـوـفـ اـحـدـثـ عـنـهـ، كـمـاـ اـنـفـيـ سـوـفـ اـحـدـثـ عـنـ مـعـاوـيـةـ مـحـمـدـ نـورـ وـجـمـالـ  
مـحـمـدـ أـحـمـدـ وـالـأـسـتـاذـ مـحـمـودـ مـحـمـدـ طـهـ وـغـيرـهـ كـثـيرـ.  
فيـاـ بـرـقـ لـيـسـ الـكـرـخـ !ـ فيـقـولـ إـبـنـيـ ....Dad, what are you saying? Never mind فـانتـ لـاـ تـفـهـمـ ماـ  
أـقـولـ، فـانتـ لـنـ تـعـرـفـ أـبـوـالـعـلـاءـ، حـكـيمـ الـمـعـرـةـ، رـهـينـ الـمـجـسـيـنـ، فـيـلـسـوـفـ الـشـعـرـاءـ، وـشـاعـرـ الـفـلـاسـفـةـ، اـنـتـ لـنـ  
تـعـرـفـهـ، وـلـكـنـهـ قـالـ: .

إـذـاـ لـمـ تـكـنـ دـنـيـاـ دـاـرـ إـقـامـةـ:::ـفـمـاـ لـكـ تـبـنـيـاـ بـنـاءـ مـقـيمـ .  
وـجـدـتـ بـنـيـ الدـنـيـاـ لـدـيـ كـلـ مـوـطـنـ:::ـيـعـدـونـ فـيـهاـ شـقـوةـ كـنـعـيمـ .  
يـزـيدـ فـقـرـاـ كـلـاـ اـزـدـدـ ثـرـوـةـ:::ـفـتـلـقـيـ غـنـيـاـ فـيـ ثـيـابـ عـدـيـمـ .  
فـسـادـ وـكـوـنـ حـادـثـاـنـ كـلـاهـماـ:::ـشـهـيـدـ بـأـنـ الـخـلـقـ صـنـعـ حـكـيمـ .

هـكـنـاـ قـالـ حـكـيمـ الـمـعـرـةـ فـيـ الـلـزـومـيـاتـ، وـلـكـنـ مـاـ لـيـ أحـكـيـ لـكـ؟ـ، اـنـتـ لـنـ تـعـرـفـ كـعـبـ اـبـنـ زـهـرـ وـلـاـ إـمـرـأـالـقـيـسـ، اـنـتـ لـنـ  
تـعـرـفـ الـبـحـتـرـيـ وـلـاـ اـبـوـتـمـاـمـ، لـنـ تـعـرـفـ التـوـحـيدـيـ وـلـاـ اـبـنـ المـقـعـ، لـنـ تـعـرـفـ جـعـدـ بـنـ دـرـهـ وـلـاـ مـعـبدـ الـجـبـيـ، لـنـ تـعـرـفـ  
الـنـظـامـ، اـبـرـاهـيمـ النـظـامـ، وـلـاـ الـجـاحـظـ، وـلـاـ اـبـنـ سـيـنـاءـ وـلـاـ اـبـنـ رـشـدـ، لـنـ تـعـرـفـ اـبـوـنـوـاـسـ وـلـاـ بـشـارـ بـنـ بـرـدـ وـلـاـ اـبـنـ  
الـرـوـمـيـ، لـنـ تـعـرـفـ الـسـيـوطـيـ وـلـنـ تـقـرـأـ تـارـيـخـ الـخـلـفـاءـ لـتـعـرـفـ الـعـقـائقـ، لـاـ جـرـيرـ وـلـاـ الـفـرـزـدقـ، لـنـ تـعـرـفـ اـمـلـ دـنـقلـ وـلـاـ  
مـحـمـودـ درـوـيشـ، لـاـ طـهـ حـسـينـ وـلـاـ الـعـقـادـ، لـاـ نـجـيبـ مـحـفـوظـ وـلـاـ يـوسـفـ إـدـرـيسـ، لـاـ إـلـمـامـ مـحـمـدـ عـبـدـهـ وـلـاـ الشـيـخـ  
الـشـعـراـويـ، اـنـتـ مـنـ سـتـعـرـفـ؟ـ، إـلـيـ اـيـ الـحـضـارتـ تـنـتـيـ؟ـ، إـلـيـ اـيـ مـسـتـقـبـلـ؟ـ، اـنـتـ لـنـ تـعـرـفـ حـتـىـ الـمـنـتـيـ، أـسـتـاذـ  
الـشـعـرـاءـ، وـلـكـنـهـ قـالـ: .

مـائـاـ كـلـنـاـ جـوـاـ يـاـ رـسـوـلـ ::ـأـنـاـ أـهـمـيـ وـقـلـبـكـ الـتـبـولـ  
كـلـمـاـ عـادـ مـنـ بـعـثـتـ إـلـيـهاـ ::ـغـازـيـ وـخـانـ فـيـماـ يـقـولـ  
رـؤـدـيـنـاـ يـنـ حـسـينـ وـجـهـكـ مـادـامـ ::ـفـحـسـنـ الـوـجـوهـ حـالـ تـحـوـلـ  
وـصـلـيـنـاـ تـصـلـيـكـ فـيـ هـذـيـ الـدـنـيـاـ ::ـفـلـيـنـ المـفـاظـ فـيـهاـ قـلـيلـ

إن ثريبي أديمث بعدَ بياضِ :: فُخميَّد من القناةِ الذُّبول  
 صُجنتني على الفلاةِ فتاةً :: عادةُ اللونِ عندها التبديل  
 سترتكِ العجالَ عنها ولَكِن :: بِكِ منها من اللَّمَى تَقْبِيل  
 مثُلها أنتِ لَوْحَتني وأَسْقَمْ :: بَتْ وزادتْ أَهَا كُما الغُطْبُول  
 نَعْنَ أَدْرِي وَفَدْ سَأْلَنا يَنْجِدْ :: أَقْصِيرْ طَرِيقُنا أَمْ يَطْوُل  
 وَكَثِيرْ مِنْ السُّؤَالِ إِشْتِيَاقْ :: وَكَثِيرْ مِنْ رَدَهْ تَعْلِيمْ  
 لَا أَقْسَنَا عَلَى مَكَانٍ فَإِنْ طَابْ :: وَلَا يُمْكِنُ المَكَانَ الزَّجِيل  
 كُلُّمَا رَحَبْتِ بِنَا الرَّوْضُ قُلْنَا :: حَلَّبْ قَصْدُنَا وَأَنْتِ السَّبِيل  
 فِيكِ مَرْعِي جَبَادُنَا وَالْمَطَالِيَا :: قَالَهَا وَجَبِيفُنَا وَالْذَّمِيل

ذلك هو المتنبي، مالئ الدنيا وشاغل الناس، لم يكن الدهر بالنسبة له إلا راوية من رواة قصائده، اذا قال شعراً أصبح الدهر منشداً، ذلك الذي نظر الأعمى إلى أدبه، وأسمع كلماه من به صمم، ذلك الذي عرفه الخيل والليل والبيداء، والمسيف والرمج والقرطامن والقلم، ذلك هو المتنبي، قال ما قال ونام قبر العين هانها، وسهر الخلق جرامها واختصموا، أنت لن تعرف عبدالرحمن منيف ولا ابراهيم الكوني، لن تعرف حسين مروءة ولا نصر حامد أبو زيد، لن تعرف فرانسيس دينق ولن تقرأ طائر الشؤم، لن تعرف محمد ابوالقاسم حاج حمد ولن تفهم جدلية التركيب، والمأرق التاريخي في السودان، لن تعرف الشهيد جون فرنق، نجم سبامي آخر، رفع لواء المساواة في الوطن الواحد، ولكنه مات، ليلاً فوق الجبال، من يدرى كيف مات، لن تعرف أبيل أlier، حكيم علاق، لو تركوا له ولأمثاله الحكم في السودان لكننا الآن في وضع آخر، أنت لن تعرف عبدالله الطيب ولا على الملك ، لا شنوا اشبي ولا وول سوينكا ولا سنجور ليوبولد، لن تعرف منابع النيل ولا مصبها، لن تعرف الهلال ولا المريخ، لن تعرف الزين ولا ضبو البيت ولا الظاهر و الروامي ولا سعيد عشا البايات، لن تعرف حسنة بت محمود ولا دوالرس ولا بت مجنوب، واذا لم تقل لك بت مجنوب كل شيء، فلن يقل لك احد شيئا، ربما اخذك القطار يوماً الى محطة فكتوريا، وعالم جين موريس وايزابلا سيمور وأن همند، ربما زرت قاعة البيرت، ومسرح البرئمن اوفر ويلز، ولكنك لن تذهب الى هناك برفة مصطفى سعيد، لأنك لن تقرأ موسم الهجرة الى الشمال، رواية العصر، تحفة نادرة، ولوحة بد菊花، معين لا ينضب، عمل عبقرى، عمل كتبه ذلك الساحر، وحقن به عروق الثقافة والأدب، واجراه في شراین الإبداع، استودعه رفوف المكتبات فلم تقدر، فطبع ثم طبع، وترجم وترجم، إنه عمل خالد، والخوالد قليل.

أنت لن تعرف الدويبيت ولا المسدار، لن تعرف العردلو، ابوسن، ولكنه قال:-  
 الشَّمْ خَوَّثَ بِرْدَنْ لِيَالِي الْحَرَّة  
 وَالْبَرَّاقْ بِرْقْ مِنْ مِنَا جَابَ الْقَبْرَة  
 شَوْفَ عَيْنِي الصَّقِيرَبِيْ جَنَاحُو كَفْتَ الْفَرَّة

البَارِخُ أَنَا وَقَصْبَةُ مَدَالِقِ السَّيْلِ  
فِي وَنْسَةٍ وَضِحْكٌ لَمَنْ قَسَمْنَا الْلَّيلِ  
وَكَتِينَ النَّعَامِ إِتْشَقْلَبِيَّا الْخَيْلِ  
لَا يَخْلُثُ وَلَا جَادَثُ عَلَى بَلْحِيلِ.

وانت لن تعرف المديح، ولن تعرف البرعي، ولا حاج الماحي، ذلك المتبتل في محراب الحب النبوي، ذاب وجداً حين إهتدى، انت لن تعرفه ولكنكه قال:-

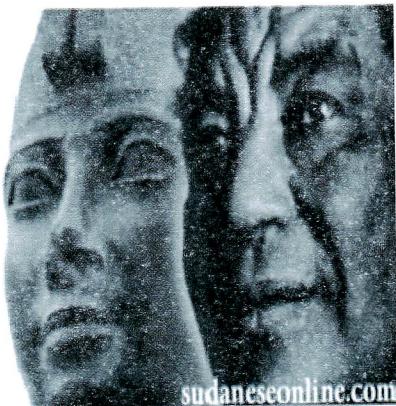
عَيْب شَبَابِيَ الْسَّرَّ :: وَاللَّهُ لَأَبْ شَوْقًا جَرْحٌ  
قَامَ الْعَبِيدُ مِنْ نُومِهِ صَبَّ :: لَقِيْ جَنْبِهِ لَبَنًا فِي قَدْحٍ  
سَمِيَ وَشَرْبُ زَنِ إِنْتَخُ :: حَمْدُ إِلَهِ حَالَهُ اَنْصَلَحَ  
جَدُّ فِي السُّؤَالِ لَرَبِّهِ لَحُ :: قَالَ يَا كَرِيمَ بَابِهِ إِنْفَتَحَ  
اعْطَوْهُ تُفَاحَاتَ بَلْحٌ :: حِينَ ذَاقَهَا قَالَ دَمَاعَهُ تَحْ  
رَادَ الْجَلِيلَ قَلْبُهُ إِنْشَرَحُ :: طَابَ عَقْلُهُ مَسْرُورٌ بِالْفَرْحَ  
جَابُ لِي شَفِيعَ النَّاسِ مَدْحُ :: شَتَّمَهُ الْمَبِيسُ دَقَّ وَنَبَحَ  
السَّمْعُهُ فِي جَوْفِهِ إِنْجَرَحُ :: مِنْ شَوْفِ حَبِيبِهِ يَسْوِي أَحَ.

ذَكَرْتُ لَكَ وَرْدِي ، مُحَمَّد عُثْمَان وَرْدِي ، وَلَكِنِي لَمْ أَحْدُثَكَ عَنْهُ ، أَنَّهُ يَا بَنِي مِنْ أَهْرَامَاتِ الْوَطَنِ ، جَاءَ إِلَى الْخَرْطُومِ  
مَهَاجِرًا مِنَ الشَّمَال .. مَعَ عَصَافِيرِ الْخَرِيفِ فِي مَوْسِمِ الشَّوْقِ الْحَلوِ

...

مِنْ ضَوَاحِي النَّوْبَةِ جَاءَ .. وَعَلَيْهِ رَحَالَهُ .. جَاءَ يَحْمِلُ عَلَيْ كَتْفِيهِ  
سَبْعَةُ آلَافِ عَامٍ مِنَ الْحَضَارَةِ .. جَاءَ وَفِي يَدِهِ مَعْوِلٌ صَغِيرٌ .. رِيشَةٌ  
مَصْقُولَةٌ عَلَى أَنْفَامِ الطَّنبُورِ بَفْنِ نُوبِي عَتِيقٌ .. جَاءَ شَبَلًا مِنْ ذَاكِ  
الْأَسْدِ .. قَيْثَارَةِ الْوَطَنِ .. خَلِيلَ عَزَّةٍ .. جَاءَ لِيغْنِي لِلْوَطَنِ .. كَمَا غَنِيَ  
الْخَلِيلِ .. مَثْلَمَا غَنَتْ مَهِيرَةً .

غَرَا حَاضِرَةً بِلَادِهِ بِعِقْرِبِرَةِ فَذَّةٍ، وَذَكَاءً مَدْوَنٍ ، وَإِمْكَانِيَّاتٍ مَنْغَمَةٍ .  
وَصَوْتٌ فَخِيمٌ ، وَطَاقَةٌ مَتَفَجِّرَةٌ ، وَمَوهَبَةٌ أَكِيدَةٌ .. تِبْنَاهُ الْوَادِي نَهْرًا ثَالِثًا مَنْسَابًا مِنْ عَرَبِ الشَّمَالِ جَنْوِبًا هَوَاهُ ....  
جَاءَ وَلِسَانُ حَالَهُ يَقُولُ . يَا صَبَبَةَ ، الرَّبِيعَ وَرَايَا ، خَلِيَّ مِنْ حَضِينَكَ ضَرَايَا .. فَاحْتَضَنَتْهُ الْعَاصِمَةُ الصَّبَبَةُ مَعَ رِيحَةِ  
جَرَوْفِ النَّيلِ .. مَعَ الْمَوْجَةِ الصَّبَابَيةِ .. عَنْدَ مَلْتَقِي النَّيلَيْنِ .. عَلَى ضَفَافِ الْمَقْرَنِ الْجَمِيلِ .



جاء ووجد في ساحة الفن جيل عطاء من العمالقة .. الذين موسقوا ليلالي العاصمة ونهاياتها بموسيقى رائعة وجادة ومعبرة .. كان أثير العاصمة ينماوج لحناً مع الكاشف وعثمان حسين وأحمد المصطفى ... وكانت المجالس تستغفها الطرب مع حسن عطيه وإبراهيم عوض .. فباسترق فنانتنا السمع .. وسرعان ما التقط السر .. وخطف الأضواء .. وسار نحو القمة في شموخ وكبراء .. وتحت شكوك أهل البندر في هذا الرطانى القادم من أقاليم الشمال .. لعن وغنى .. فأدھشم بالملتهة ومتعمم بالدهشة .. بيد سحرية وضع رياضاً وزهوراً على خدي الأغنية السودانية .. فأصبحت ما أحلاها .. طروبة وحلوة بين يدي فنه البديع .. ومنذ أن غنى أول غرام دخل الجمهور معه في غرام .. كان لهم منه أجمل هدية .. وكان له منهم أثيل مودة .. ثم انفجر النبع وتتدفق الشلال.

تمحرب في صومعة إتخاذها سكناً في جنوب العاصمة .. هناك اختي بالأنقام.. والعود في يده.. بهمن للأوقار.. فتخرج الألحان كفراشات مجنة .. تطير عبر السماء الممدوّد .. سما الوطن اللي مالو حدود .. حمامه جناحاً لا خائف ولا مفقود .. هناك حرك ريشته السحرية الصغيرة .. فرسم لوحات من الفن .. تخرج منها الألحان تسمعها وكأنك تراها .. ألحان تذوب فيها وتنبوب فيك .. كأنها منك إليك .. وكأنها فيك من الأزل .. الألحان ملأت سماء الوطن كمسحابة صيف.. لم تجافي بلاد وتسقى بلاد .. بل كانت كالطرفة في عز الخريف بكاي .. هطلت علي أرض المليون ميل .. فسقت كل البلاد .. حرارة حارة .. وروت كل العذاري والحياري ..

بات يشكو حرقه الوجد علي لسان كل عاشق أحضر القلب .. في رعنان الشباب .. يعيش في دنيا المصباة .. ويفتح الباب للسعادة .. أرسل المراسيل نيابة عن كل ملهوف فقد صبره وشد نومه ونحل جسمه وشحب لونه، سار في طرقات البلد الحبوب .. هنا وهناك .. وهو يخلد الألحان لزمن ماشي وزمن جاري وزمن لسع .. نصب خيامه تحت شمس، الوطن .. ونادي علي الناس .. وزعم كل (زول) ليرتاح تحت ظلال فنه الوريف.

جا به مستحبات الألحان وطوعها فغدت المستحبة جميلة .. هَوْم الليل وساهر وحده كشمعة في مهب الريح ..  
تاه من مرفا قصيدة إلى مرفا قصيدة أخرى ليعود البنا بفرح كفرح البعيد العاد .. وتأهله مرة أخرى في بحور الشوق  
وأمواج الحنان .. وجاء إلى بر الأمان في رفقة أمير الحسن .. رب المحسن والبراءة والوداعة.  
سافر في العتمامير ليلاً .. وشق التيه .. وشد سرجه فوق الريح (صنفر) فوق سحاب الري .. وعد نجوم الليل التي  
جوهرت سطح النيل من غير نظام .. ثم مَد يده للرهاق .. وأمسك به .. وأمساله حوضاً من النغم الزلال .. فارتادته  
الربلة .. ومسونكيل .. ذات الشامة .. وملاك.

في صومته تلك كان يجدوه الأمل .. فيغخي وينتدد وهدي لحنه الغالي لأعز الناس .. والحنينة السكرة .. وشبه القمرا .. وكجنون ونجقو .. هناك صارع غضبة الهبياي فارداها لحننا .. وأخرج منها مقطعين دويأي نزلوا علي الدنيا أشواط .. وحنية من ليله ونباره نسج أغان بديعة .. أرسلها مع الطير المهاجر تحت المطر وسط الرياح إلي كل حوش مرشوش .. وديوان مفروش. سنين وأيام قضي عمره وهو يفتشر تراب البلد .. في الغابات وفي الوديان .. في التاريخ وفي اللوحات .. وفي أحزان عيون الناس .. وفي الضل الوقف ما زاد .

ذوب شبابه في اللون الأسموّر وأسمّر اللونا وفّقَن ونعي مسلمي الذوق ونور العين وأمّر الحسن. ومن غير ميعاد التقى في حلفاً بام الضفافـ النافرةـ الأليفة .. وفي كربـيـ شـايـقةـ بشـلـوخـا .. وفي شـنـديـ بـنـاتـ جـعـلـ نـايـرـاتـ خـدـودـنـ زـيـ فـجـراـ أـطـلـ .. وفي سنـكـاتـ سـمـراـ أـبـيـةـ ، حـلـوةـ هـدـنـدـوـيـةـ .. وفي قـلـبـ الجـزـيرـةـ السـمـحةـ النـضـيرـةـ .. وفي الغـرـبـ أـغـيـدـ تـرـاقـصـ المـشـاعـرـ معـ دـقـةـ النـقاـرـةـ .. وفي الجنـوـبـ سـاحـرـاتـ سـارـحـاتـ فيـ السـهـلـ وـالـغاـبةـ. قضـيـ أحـلـيـ فـصـولـ عمرـهـ وـهـ يـرـطـنـ يـاسـمـ الـوطـنـ . وـيـغـنـيـ لـهـ رـفـعـ صـوـتـهـ هـبـيـةـ وجـبـرـةـ .. وـكـانـ نـشـيدـ عـالـىـ النـبـرـةـ.

جلس في حضرة الوطن حيث يطيب الجلوس .. وأخذ عنه عميق الدروس .. وتعلم منه المشي بهبابة في الضجي والظلام. ثم نادي وتنادي وغنى في عرس الفداء .. لأرض البطولات .. وميراث الحضارـاتـ . كان هناك .. حينما ابتسـمـ الـهـرـ القـدـيمـ لـبعـانـيـ وـلـهـرـافـاـ وـلـهـمـهـيـ .. لـعـلـيـ عـبـدـالـلـطـيفـ .. وـلـعـبـدـالـقـادـرـ الـحـبـوـيـةـ .. وـلـلـقـرـشـيـ . صـدـحـ وـصـدـحـ مـعـهـ شـعـبـ يـتـسـاميـ .. يـفـجـ الدـنـيـاـ يـاماـ .. وـيـطـلـعـ مـنـ زـحـاماـ .. زـيـ بـدـرـ التـنـامـ . مـنـذـ فـجـرـ الإـسـتـقـلـالـ رـفـعـ رـاـيـةـ الـوطـنـ .. وـغـنـيـ لـهـ غـنـاءـ عـاطـرـاـ تـفـدوـهـ الـرـيـخـ فـتـخـالـ الـهـبـوـنـاـ .. غـنـيـ لـاـكتـوـبـ الـأـخـضـرـ .. فـغـنـتـ الـأـرـضـ مـعـهـ .. وـأـشـتـعـلـتـ الـحـقـولـ قـمـحـاـ وـوـعـدـاـ وـتـمـيـ.

عزـفـ أغـنـيـاتـ لـلـكـمالـ فـمـلـاـ الـكـأسـ وـفـاضـ بـالـجـمـالـ . سـجـلـ حـضـورـهـ بـقـلـبـ الـإـبـدـاعـ .. وـاـشـرـأـبـ إـلـىـ سـمـاءـ الشـعـرـ لـيـنـتـفـيـ درـرـ القـصـانـدـ .. مـنـخـيرـاـ كـلـ لـحـنـ عـبـقـريـ سـيـلـ مـمـتنـعـ.

وفي زـمـنـ الـغـرـيـةـ وـالـإـرـتـحـالـ ، وـفـفـ فيـ شـرـفـاتـ الـمـدـنـ رـافـعـاـ رـاـيـةـ مـنـسـوجـةـ منـ شـمـوخـ النـسـاءـ وـكـبـرـاءـ الـرـجـالـ . كانـ قدـ نـذـرـ عـمـرـهـ قـرـيـانـاـ لـفـنـهـ .. وـأـوـفـيـ بـالـنـذـرـ .. وـبـيـ جـبـلـاـ شـامـخـاـ مـنـ الـإـبـدـاعـ وـجـلـسـ عـلـيـهـ كـنـسـورـ الـجـبـالـ . أنهـ مـحـمـدـ عـثـمـانـ وـرـدـيـ ، أـقـولـ هـذـاـ مـعـ التـعـيـةـ لـكـلـ شـاعـرـ إـقـتـبـسـتـ مـنـ شـعـرـهـ فـبـسـأـنـ أـضـاءـ هـذـهـ الصـيـغـةـ الـمـتـواـضـةـ فيـ حـضـرـةـ فـنـهـ الرـفـعـ. (الـصـوـرـةـ فـيـ أـعـلـىـ الصـفـحـاتـ مـنـ سـوـدـانـيـزـ أـوـنـ لـاـيـنـ وـهـيـ مـنـ تـصـمـيمـ الـأـخـ مدـحـتـ عـثـمـانـ مـنـ أـبـنـاءـ فـرـيقـ وـهـوـ شـابـ نـوـبـيـ هـمـيـمـ وـنـشـطـ).

وـقـبـلـ هـذـاـ وـذـاكـ . فـأـنـتـ لـنـ تـعـرـفـ الـخـلـيلـ . خـلـيلـ فـرـحـ، قـيـثـارـةـ الـوـطـنـ، ذـلـكـ الشـرـفـ الـبـاـذـخـ، وـالـصـبـاحـ الـفـالـقـ، وـالـنـجـمـ الـأـلـقـ، خـلـيلـ. قـامـةـ الـوـطـنـ السـاـمـقـةـ، عـنـدـمـاـ يـذـكـرـ الـوـطـنـ يـذـكـرـ الـخـلـيلـ، وـعـنـدـمـاـ يـذـكـرـ الـخـلـيلـ، يـذـكـرـ الـوـطـنـ، يـذـكـرـ الـخـلـيلـ. اـنتـ لـنـ تـذـهـبـ مـعـهـ إـلـىـ الـضـوـاهـيـ، وـطـرـفـ الـمـدـانـ، لـنـ تـنـتـرـعـ مـعـهـ شـفـقـ الصـبـاحـ، وـلـكـنـيـ أـحـدـكـ عـنـهـ، فـغـيـ شـخـصـهـ يـتـمـثـلـ حـبـ الـوـطـنـ وـالـكـفـاحـ ضـدـ الـمـسـتـعـمرـ، فـشـخـصـهـ يـتـمـثـلـ الـأـدـبـ، وـالـشـعـرـ، وـالـلـحـنـ، وـالـفـنـاءـ السـوـدـانـيـ:

ولـدـ خـلـيلـ فـرـحـ بـقـرـيـةـ دـبـرـوـسـةـ مـرـكـزـ حـلـفـاـ فـيـ عـامـ 1894ـ مـ نـالـ جـزـءـاـ مـنـ تـعـلـيمـهـ فـيـ خـلـوةـ الشـيـخـ أـحـمـدـ هـاشـمـ فـيـ جـزـيرـةـ صـاـيـ، فـمـوـطـنـ أـسـرـتـهـ فـيـ صـابـسـابـ قـرـيـةـ (هـبـيـابـ). كـمـاـ إـخـلـفـ إـلـىـ الـكـتـابـ فـيـ مـنـطـقـةـ دـنـقـلاـ، كـانـ وـالـدـهـ الشـيـخـ فـرـحـ بـدـرـيـ يـعـمـلـ بـالـتـجـارـةـ، وـكـانـ كـثـيرـ التـنـقـلـ بـيـنـ حـلـفـاـ وـدـنـقـلاـ وـأـمـدـرـمانـ .. وـكـانـ خـلـيلـ كـثـيرـاـ مـاـ يـصـاحـبـ وـالـدـهـ فـيـ هـذـهـ الـرـحـلـاتـ. وـكـانـ جـدـهـ بـدـرـيـ كـاـشـفـ قـدـ إـسـتـقـرـ فـيـ جـزـيرـةـ مـقـاصـرـ، هـنـاكـ دـرـسـ خـلـيلـ (الـكـتـابـ). وـكـانـ هـذـهـ الـرـحـلـاتـ تـمـ فـيـ الـفـالـبـ عـنـ طـرـيقـ الـمـراكـبـ فـيـ النـيـلـ، أـوـ قـوـافـلـ الـجـمـالـ .. فـيـ صـحـبـةـ فـرـيقـ مـنـ الـعـرـبـ الـبـدـوـ .. وـكـانـ هـذـهـ الـقـوـافـلـ

تسافر فجراً وعصرأً وتستريح نهاراً، وكان أولئك العرب البدو يتندون بـ (الحداء) الذي يحثون به الجمال على السير، ويتطاوحون الشعر والإنشاد . في المدح والهجاء والتغزل . ومن هنا نستطيع أن نفهم رمزية أو قل (وجودية) مفردات (بدوية) كثيرة تتردد في شعر الخليل. مثل الليل والنجموم والكواكب والركاب والرحال . (وأجمع الفصل الخامس من كتاب الدكتور محمد جلال هاشم {جزيرة صاي .. قصةُ الحضارة؛ صراغُ الثقافات وقضايا التنمية والتَّميُّز في بلاد النوبة}) المنشور في جريدة حرفيات . النسخة الإلكترونية . بتاريخ 4 يناير 2011 . وقد ارتبطت شعر الخليل فيما بعد بالنيل والطبيعة. توفي والده في 1927 وأمه في 1910، تزوج من المسيدة سلامة أغا إبراهيم في جزيرة صاي في 1923 . له من الأبناء إثنان، فرج وعائشة.

هاجر خليل فرح إلى الخرطوم، وسكن في أمدرمان، والتحق بكلية غردون التذكارية قسم البرادة الميكانيكية ونال فيها إجازة الهندسة المكانية، ثم عمل بمصلحة البوستة والتلغراف. شارك الخليل في العمل الوطني آنذاك ، صار عضواً بجمعية الإنتحاد السوداني التي تكونت في 1921. وكان خليل داعية للتتحرر من الإنجليز والإتحاد مع مصر. شارك بكلماته القوية في مقاومة المستعمر حتى قامت ثورة (24). له شعر قومي ووطني رصين. الهب به العجاهير التي كانت تقاوم المستمر آنذاك.

عندما هاجر الخليل إلى الخرطوم. كان (أعجمياً) نوبياً لا يبعد العربية، وكان عليه أن يواجه فصحاء المدينة. وأن يجارهم في اللغة التي يجيدونها. واضح أنه يستعد لذلك. فأطلع على الشعر العربي كله، ذلك واضح فيما كتبه من الشعر بعد ذلك، ما لبث خليل أن دخل في الوسط الفني، ونال شعراً الساحة، وأنتفع منهم قصب السبق. كانت ماحلة الشعر في ذلك الوقت يسيطر عليها اساطين الشعر الثلاثة. لهم فيها صولات وجولات. ولا تحرر شهادة ميلاد شاعر جديد ما لم يزكيه أولئك الثلاثة وهم: يوسف حسب الله الذي كان يلقب بـ (سلطان العاشقين). ومحمد علي عثمان بدري، وابو عثمان جقود، وجاء الثلاثة لإمتحان خليل فرج. فاجتاز الإمتحان بجدارة، ومحمد علي عثمان بدري هو ابن عم خليل فرج بدري. كان قد سبقة بوقت طويل إلى أمدرمان. ومحمد علي من شعراء الحقيقة الكبار، وكان دائماً ما يكون حكماً بين الشعراء عند المقارنة، فقد كان إلى جانب شاعريته أدبيةً متفقاً ملماً بقواعد اللغة وأصولها. من قصائد المشهورة :

رمضان باكي فاقد :: في علاج طببي  
قالو ترك سكونك :: يا دار وين حبيبي

والتي لغتها عمر البنا وغناتها كرومة والأمين برها وآولاد المأمون وبادي محمد الطيب وبعده كثير جداً من المغنيين. بعد إجازة شاعريته إنطلق الخليل فكتب بسلالة البدائية. وفريحة الدوبيت والمسدار. كأنه من أرض البطانة، أو مراح الشركية. ثم كتب بالفصحي، فجاري فطاحلة الشعر. ثم كتب أغانياته التي جاءت بما لم تألفه عين قارئ، وجاءت بالحان لم تألفها أذن مستمع. ذاع صيتها سريعاً. وتوسعت علاقاته بالشعراء والأدباء والملحنين. وتمكن من ارتقاء المنتديات . ك منتدى أبو روف و منتدى الباشمب و منتدى الموردة ، كان خليل و صحبه يرتادون شواطئ النيل في

برى وغابة الخرطوم والمقرن، ومن الأماكن المشهورة التي كانوا يرتادونها (دار فوز). وما دار فوز إلا صالون أدبي ، من تلك الصالونات التي كانت تنتشر في امدرمان في ذلك الوقت ، في شعره كثير من وصف الجلسات وما دار فيها من صفة الخمر والساقي والنديمان:

دَنْكَ دَمْهُ سَايِلْ أَظْنَهُ مَاتَ مَفْلُوقٌ :: عَبَقْ طَيْبُهُ فَاحْ عَسَفْ مَلَانَا خَلْوَقْ  
دَرِيَا سَاقِي دُونَ نُدَمَّاكَ عَلَّمِي مَطْبُوقٌ :: وَصَبَلْ يَا نَدِيمَ وَأَسْمَعِي مَا يَرَوْقْ  
زِيمَ يَا شَادِي زِيمَ شَنَفْ مَسَاعِي السُّوقِ :: وَأَنْشَدْ فِي مَعْنَى الْبَابِلِيَّةِ وَسُوقِ  
دَعْ مَا قَالَ مَالِكَ فَهِيَا وَابْنَ دُسْوَقْ :: كُرُومَ بَابِلْ قَبِيلَ سَاقِيَتِنَا لَهَا تَسْوِقْ  
كَاسِكَ مِنْ سَلَافَةِ خَدَكَ الْمَعْشُوقِ :: وَنَفْعَمَكَ مِنْ لَدَانَةِ قَدَكَ الْمَمْشُوقِ  
صَافِيَةَ وَرَايَقَةَ طَابَ مَزْجَكَ صَبُوحَ وَغَبَوْقَ :: وَلَهُ غَبِيتَ أَنَا وَنَظَرَةَ نَدِيمَ وَعَشْوَقِ

كان الخليل يخرج العمل الغنائي كاملاً، كلمات ولحن وأداء، وتقريراً كل أغانيه كانت مسجلة بصوته في الأسطوانات. كان الخليل، ثالث ثلاثة قاما بتهذيب الأغاني، بل قاما بثورة تجدidية، (إبراهيم العبادي، صلاح عبد السيد {أبوصلاح} وخليل فرج)، ومن الأغنيات الكبيرة التي سجلها في مصر أغانيه الشهيرة (عزبة في هواك) وربما كان الخليل أول من لحن وغنى من الشعر الجاهلي، فقد سجل في مصر أيضاً قصيدة عمر بن أبي ربيعة (أعبدة ما ينسى مودتك القلب)، والحقيقة أن خليل من الشعراء المظلومين، فالناس لا يعرفون من شعره غير قصائده الدارجية المغناة، رغم أن له من الشعر الفصيح درر تعتبر من عيون الشعر، ويقال أنه غنى باللغة النوبية، ولكن أغانيه النوبية لم تسجل ولم ينقلها من جاءوا بعده، ففقدت وما أعظمها من فقد.



في عام 1929 أصيب بداء عضال، ألممه سرير المستشفى لمدة طويلة، وأصبح حديث

المدينة، فقال فيه:

تَلْكَ سِتُونَ لِيَلَّا ، هِيَ كَالسِّجِنِيْنِ أَوْ أَشَدُ  
عِلْتِي وَهِيَ عِلْتِي ، قَصَّةَ النَّاسِ فِي الْبَلْدِ  
عاش خليل فرج فترة وجيزة لا تزيد عن التسع عشرة سنة منذ تخرجه عام 1913 م من كلية غردون إلى وفاته في 30 يونيو 1932 م، ولكنه في هذه الفترة الوجيزة ملأ الساحة بانتاج رائع كما وكيفاً.  
كتب الكثير عن الخليل ، ولعل أشهر ما كتب عنه كتاب إبنة عمّه، حاجة كاشف، [الخليل الشاعر، 1945]، ثم كتب عنه حسن نجيبة [ملامح من المجتمع السوداني، 1965]، فعبد الهادي الصديق، فعلى الملك محققاً لديوانه، ثم دكتور محمد جلال هاشم في كتابه سابق الذكر، ثم آخرون.  
فلنأخذ مع الخليل جولة قصيرة. نتجول في روشه الزاهي، وحديقته الغناء، تعال وشنف سمعك بهذه النماذج

ابدع الخليل حين مدح الرسول في المولد النبوى المشريف:  
صرخة، في الشرق من فرد أغز :: ملأ العالم ديناً فاستقر  
وتمشي العدل في أرجائه :: بطاً الظلم وبحمو كان شر  
فإنجلت عناً غيومً جمّه :: ولبسنا كلنا نسخ القمر  
تساوي نحن والأتباع لا :: فرق بين العبد والهر الأغز  
يا لها من دعوة لم تُنها :: دولة السيف وتآليب البشر  
بل ولم يكثُر الداعي لها :: مركب الصعب ولا الترب الوعز  
ثابت المبدأ والجأش رأى المس :: يَرْمِقُونَا بِنُجُجٍ، فاستمر  
كمُثُت أخلاقه طرأً لذا :: كملت أفعاله فيما أمر  
وفي الوطن قال:

وقفاً عليك وإن نايلت فؤادي :: سِيَانْ فري في الهوى وبعادِي  
يا داز عانكتي ومهد صبابي :: ومثار أهوانِي واصل رشادي  
كم في سمائِك للنبوغ وفي ثري :: يَوَادِيكَ كَمْ لِلْعَبْرِيَّةِ وَإِ  
لك في الطبيعة في الخماںِ روعة :: وعليك من سُحبِ الجلال هوا  
إذا وصفتُك فالبلاغة لا تفي :: وصفِي ولا تُدْنِي عظيمَ مُرادِي  
إيه فديتك يا بلاطي الأبي :: من حاضر بين القلوبِ وباءِ  
فعلي كلا الحالين نحن ودانع :: كودانع لك في السحابِ غواصِي  
ومن عيون شعرة الفصيح:

ما بال طرفِ عنه النوم قد أبقا :: واسترسل الدمغ حتى أخجل الورقا  
في يوم عربِ أرانا كل فاتكة :: باللحظ بالقد بالخصر الذي نطقا  
ونغمة من رخيم الصوت كاد لها :: عقولنا ان تربينا الطيش والتزقا  
قابلتنا بعيون زانها حَوْرٌ :: والسرجُ معنى على اطرافها نطقا  
واصطفَ جمعهم المأнос وانفردت :: منه جوزة تحكي المها الحدفا  
وخلفها سائق يحدو اذا خشيت :: منه اللحاق تمد الردف والعنقا  
ان رامت البعـد عنه قام يجذـها :: من الروادـف حـقـف او كـثـيبـ نـقا  
بقامة مثل غصنـ البـانـ يـعـطـهـاـ :: فـرـغـ اـثـيـثـ كـزـيـ اللـيلـ إـذـ غـسـقاـ  
ووجهـهاـ القـمـرـ الـوضـاحـ بـمـسـمهـ :: قد زـانـهـ لـعـسـ السـفـلـ وما نـطـقاـ  
وـشـلـغـهـاـ فـيـ اـنـتـصـابـ لـاـ عـوـجـاجـ لـهـ :: كـأـلـفـ فـارـمـ بـالـخـدـينـ مـلـتصـقاـ

والجيد لو لا حلي فيه نكنته ::::رأبته فبه حباب الماء مندفنا  
كأنما هي بلور تعهد ::::وصائف الروم لم تنظر به رتفا  
يزهو بها الوشي ادللا بروتفها ::::وان تجرد كان الحسن متقدما  
تلك الفتاة التي هام الفواد لها ::::والطرف من عائدات الشوق قد أرقا  
تهافت نحوها أبصارنا عجبا ::::بخليقها فأرتنا أحسن الخلائق  
وأيضاً هذه:

قريباً عودي ونابي . للطرب :: وادز كنسك عني يا رب  
واصطبح في الروض وانظري يا تُرى :: أين ندمي الألبي صاغوا الأدب  
اتراهم يبن مصروع قضي :: نعيه سكرأ ومغمور، رب  
يا نديمي قل لمساقينا إذا :: مال كالغضن علينا وانتصب  
رطب الجو علينا واستتنا :: كلنا تحت جفي الكرم رطب  
هذه الدنيا علي علامتها :: مقلة إنسانها بنت العنبر  
فاسقنيها في الضجي ممزوجة :: ومع الليل برقاً من لهب  
دع عزوبي وحسودي جانباً :: لست بالعاذل والحاسد صب  
إن تخف ودي فمانع من ترى :: أو تخف عنني فعاتب من عتب  
ما علي الهجر بقاء للهوي :: لا ولا في الصمت معنى للأدب  
أما شعره العامي فكثير:

شوف صباح الوادي وجماله  
شوف خدارو وصيده ورماته  
شوف يمينو وعابن شماله  
شوف نسيم الليل صاحي ماله  
شوف فريع الشاو مين أماله  
القمر خجلان من كماله  
والصبح لاح ہل الوشاح

\*\*\*\*\*

وقت الليل برد طلع البدركواكب  
ولعقت الإبل وادي الأراك برواكب  
جادت وأسبلت عين المحب بسواكب

## واحتل الفؤاد ملك الغرام بمواكبتو

\*\*\*\*\*

نجومك يا ليل ولا جيش معنوي وغابر  
ومشتاق مثلي يا ليل ولا ساكت غابر  
طويل مسيخ ومعتم لاك مرتع لا غابر  
أضابير في همومك ويمشي جرحك غابر

\*\*\*\*\*

او ان شلت فأسمع هذه :-  
باليـل صباـحـكـ مـالـوـ  
اصـحـاـبـكـ جـفـونـيـ وـمـالـوـ  
شـوـفـ صـبـحـكـ فـقـدـ رـاسـ مـالـوـ  
لاـ يـعـرـفـ يـمـينـ لاـ شـمـالـوـ  
ياـ لـيـلـ بـدـريـ شـاغـلـكـ مـالـوـ  
نـايـمـ وـصـاحـيـ مـالـكـ وـمـالـوـ  
لـانـقـولـ لـيـ هـواـهـ اـمـالـوـ  
اـيـهـ ضـيـعـيـ غـيـرـ إـهـمـالـوـ

وأنظر إليه كيف يغتر بقومه بأحسن مما فعل العردلوا أو ودشوراني أو ودضحوية:  
أبواتك ملوك من أرقولي سكوت  
وكان دم الرجال لهم شراب ومقوت  
غرب صابساب جبوشم ذلت أب جبروت  
كتلوا الجردة تسعه وفيها سروا الفوت  
أتحنا المحس يحمس ولبدنا حتفو  
متحمل جبال الواقعه سانده كتفو  
ناره بتوقد الغيرة وتنادي ضيوفو  
فرة سنو في داره تحاكي سيفوفو

حدث أن إجتمع ذات مرة أربعة من كبار الشعراء في بيت أحدهم. وكان بالبيت صورة معلقة لفتاة، وطلبوها من  
هؤلاء الشعراء إسترجال أبيات شعر في وصف الصورة، فقالوا:

١. محمد علي عثمان بدري

أحسن من ظلي في حُسنتها وفي نوره  
أبيي من البدُر وصفاًها كالبنّورة  
في جيلنا يتفوق أم سُرْتني ونوره  
نجلاء العيون ألقتنا في تنوره

2 . يوسف حمب الله:

سيمات الجمال في صورته محصورة  
رقنة في النظر وأنامله ومحصورة  
أبيي من الحواري الفي الخيام مقصورة  
عجبًا شوف جماله في هذه التصصورة

3 . ابراهيم العبادي:

شوف ريمة الأراث كيف جالسة في تصصورة  
معيّها كالبدُر في نوره والتَّدويره  
انظر لعيونه ودَعْجَته وتحويره  
من كُثر الدلال تنشاف عويرة عويرة

4 . خليل فرج:

يا ريم الفلا الفي الدنيا ما في مثالك  
من عدم الأنفاس والوحشة قلي ربّالك  
حياك الفؤاذ لكنه ما بثالك  
عجبًا شوف عيشق كل الأئم تمثالك  
ثم هذا اللعن الخالد، الذي تسمعه كل يوم، فيتجدد في سمعك:-

عازة في هواك عازة نعن الجبال  
وللبخوض صفالك عازة نعن القبال

::::::::::

عازة ما سلبت وطن الجمال  
ولا ابتفيت بديل غير الكمال  
وقلبي لسواك ما شفتوا مال  
خذيني باليمين وانا راقد شمال

::::::::::

عازة ما نسيت جنات بلال  
وملعب الشباب تحت الظل  
ونحن كالزهور فوق النلال  
نشابي للنجوم وانا ضاير البلال

::::::::::

عازة في الفؤاد دوا يشفى الوبال  
عازة في الفؤاد سحرك حلال  
ونار هواك شفي وتهك دلال  
ودمعي في هواك حلو كالزلزال  
تربيدي كل يوم عظمة وازاد جلال

::::::::::

ودعنا في الختام نأمل بلقاء الوطن ونفني هنا المقطع:  
ما ينسنا الخير عوده سائق  
الجي يعود إن أتي دونه عايق  
الي يوم اللقا وإن كنت رايق  
السلام يا وطني السلام

خريطة المناطق النوبية





صغير  
صراخة و قبة سليم  
أردو نلوة  
أشجعتوه جزيرة أو شبه

راوة و صلاب  
جزيرة وادره

معنترة

عين كيمتو

معنترة

كويلا

أوصاره و توندي

و حضر

سعدتكرو و فرقور

عاد، بقا

جبل ميسية

اقترى و لشدة

جزيرة آفرود

كذبه و الـ جزءة الـ بـ لـ بـ

ـ شـ دـ هـ

ـ التـ رـ هـ

ـ جـ زـ هـ

ـ خـ فـ رـ

ـ سـ سـ

ـ جـ دـ هـ

ـ فـ زـ بـ

ـ مـ شـ كـ لـ

ـ تـ اـ بـ

ـ دـ زـ بـ

ـ مـ سـ بـ

ـ حـ سـ بـ

ـ سـ لـ لـ

## إقليم المحس

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

ـ

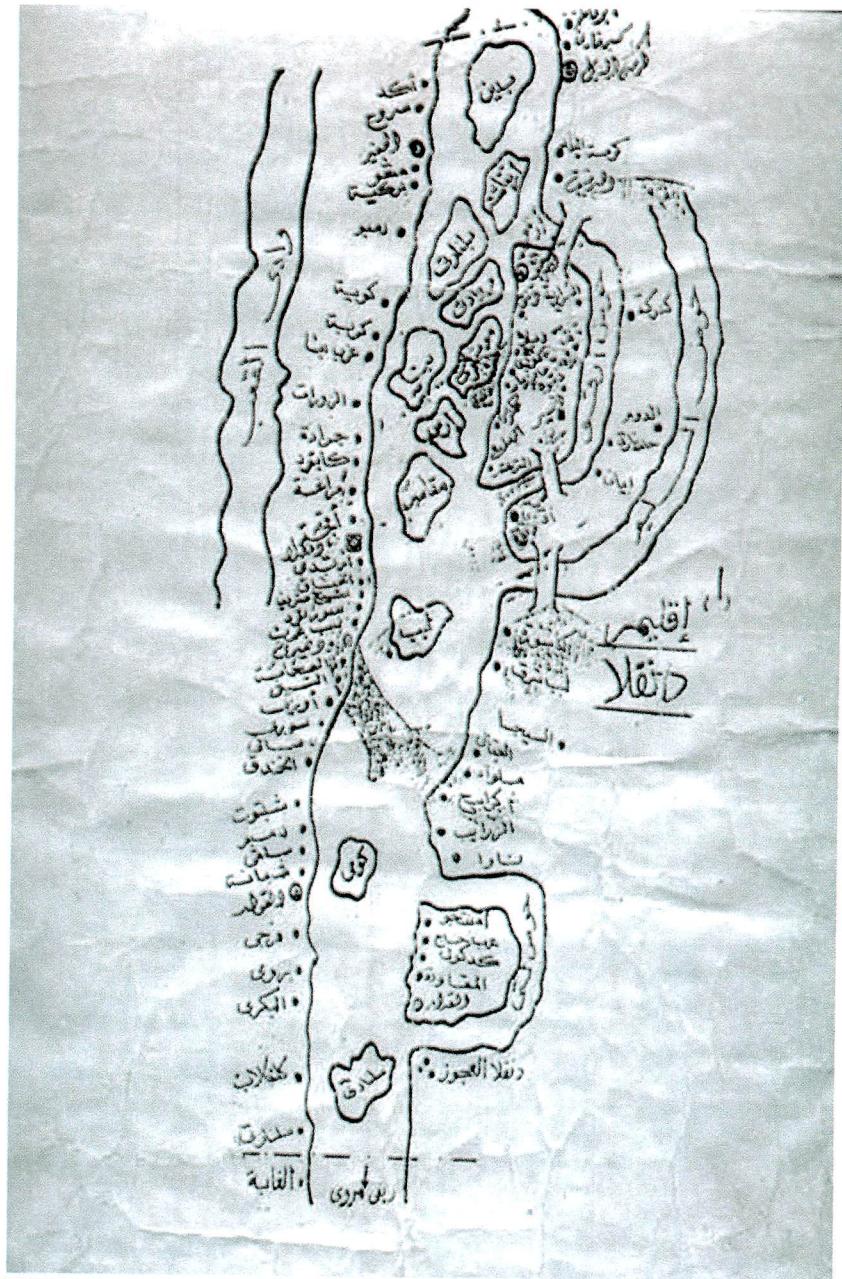
ـ

ـ

ـ

ـ

ـ



خريطة المناطق النوبية وجدتها عند الشيخ أحمد عزالدين ، وقد جاء بها من أحد أصدقائه في القاهرة ، ولم أتمكن من معرفة المصدر الأصلي، ولكن وحسب معرفتي للمنطقة في تبدو دقيقة.

خاتمة

قصائد في الخاطر

في خاطري قصيدة لوجهك الوضني

وجهك الذي يُؤنسن ليل غربتي

بأطفالي

يا زينة القبيلة

في خاطري قصيدة لوجهك الذئبي

وجهك الساحري والبديع

كوردة الربيع

كرهوة الخاميلة

في خاطري قصيدة لوجهك التهري

وجهك الذي إستعى الزمان من بهاءه

علم يطأ سماءه

بغلوه الثقيلة

في خاطري قصيدة لوجهك الشهي

وجهك الذي أحلم أن أراه

بالشوق مُنتهاه

في ليلة كحيلة

في خاطري قصيدة لوجهك الوريف

كشلة يانعة قامت علي شط المني

كبسمة حاملة تختال بالسنا

كقيمة ظليلة

في خاطري قصيدة لوجهك الغائب  
 وجهك الذي إستدار وانتدي  
 وجهك الذي إنتعي  
 بجانب الفضيلة .....  
 في خاطري قصيدة لوجهك الرقيق  
 وجهك النصير  
 وجهك الأسر والأثير  
 كلؤحة جميلة .....  
 في خاطري قصيدة لوجهك الأنيد  
 وجهك الذي يخرج في الزحام  
 كطلة الأحلام  
 في الغربة البخلية .....  
 في خاطري قصيدة، لوجهك البليل  
 وجهك الذي زرعت في ساحاته  
 وذعث في باحاته  
 أمال النبيلة .....  
 في خاطري قصيدة لوجهك الغليل  
 وجهك الذي أكتب في الصبح له  
 أعزف في الليل له  
 العانى الجليلة .....  
 في خاطري قصيدة، لوجهك السعيد  
 كفرحة عنيدة عنيدة  
 كنجمة بعيدة بعيدة  
 وخطوتي كليلة .....  
 في خاطري قصيدة لوجهك الـ .....  
 وجهك الذي .....  
 غنوا جميلاً ..  
 فآخرني علىلية .